محمود عبد الرحمن

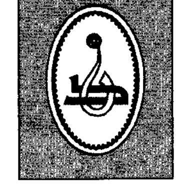


التنصير

والاستغلال السياسي



دار النفائس



التنصير والاستغلال السياسي

بسم الله الرحمن الرحيم

القدس عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٩

التنصير

والاستغلال السياسي

محمود عبد الرحمٰن

دار النفائس

التنصير والاستغلال السياسي

تأليف: محمود عبد الرحمن

الطبعة الأولى: 1430هـ ـ 2009م

ISBN 978 - 9953 - 18 - 459 - 3

Publisher نشر



DAR AN-NAFAES

Printing-Publishing-distribution

Verdun Str - Safiedine bldg.
P.o.Box 14-5152
Zip code 1105-2020
Fax: 009611 861367
Tel: 00961 1 803152 - 810194.
Beirut - Lebanon



للطباعة والنشر والتوزيع

شارع فردان ـ بناية الصباح
وصفي الدين ـ ص.ب 5152 ـ 14
الرمز البريدي: 2020 ـ 1105
فاكس: 009611861367
هاتف: 803152 ـ 009611810194
بيروت ـ لبنان

Email: alnafaes@alnafaes.com

Web Site: WWW.alnafaes.com

الإهـــداء

إلى المسلمين الذين يعيشون بين فكي تشتت الهوية وتكالب الأعداء من منصِّرين وصهاينة: أنتم على حق، وما تدعون إليه هو الحق، فلماذا التقاعس، وأين أنتم من تلبية نداء الله والتصدي بكل حزم لأولئك الأوغاد الذين تطاولوا عليكم وعلى إسلامكم وعلى ثرواتكم.. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۞ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال| ١٥، ١٦].

وثقوا بأن النصر سيكون حليفكم عندما تهبُّون للدفاع عن دينكم وأرضكم وحقوقكم المُنتهكة: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران| ١٣٩].

محمود عبد الرحمن


http://kotob.has.it

تقديم

إذا نظرنا إلى خريطة العالم الإسلامي، نلاحظ أنه يقع في البر القديم، وأننا أمام عالم يمتد ٧٠ درجة عرضية و١٤٠ درجة طولية ويشغل أكثر من ثلث مساحة آسيا وثلثي مساحة أفريقيا. وتمتد أراضي العالم الإسلامي من المحيط الأطلسي في غرب أفريقيا إلى المحيط الهادي في شرق آسيا، ومن جنوب خط الاستواء والمحيط الهندي إلى خط عرض ٥٥ شمالاً في بلاد التتار، وتزيد مساحته على مساحة القارة الأفريقية، وتزيد على مساحة قارة أوروبا وأمريكا الجنوبية مجتمعتين. وفي هذا العالم الرحب تتنوع المناخات وتتباين التضاريس مما يؤدي إلى تنوُّع الإنتاج الزراعي.

يشكِّل المسلمون ثاني مجموعة عقيدية في العالم من حيث العدد بعد النصارى، ويبلغ عددهم ملياراً وثلاثماية وخمسين مليون نسمة، ويعيش أكثر من ثلثي المسلمين على أرضٍ يتمم بعضها بعضاً، وهو ما يُعرف بالعالم الإسلامي، وهو الذي تبلغ فيه نسبة المسلمين في أية دولة أكثر من ٥٠٪، أما الثلث الباقي فهم عبارة عن أقليات إسلامية تعيش في دول غير إسلامية.

يعيش ثلثا المسلمين في آسيا ويتوزعون في «٢٩» دولة، وتبلغ نسبتهم في هذه القارة ٢٧٪ من السكان، ويقطن الثلث الباقي في أفريقيا ويتوزعون في ثلاثين دولة إلّا أنهم يشكلون ٥٩٪ من سكان هذه القارة، وفي أوروبا يقيم أكثر من ٢٣ مليوناً من المسلمين،

وهناك ستة ملايين يعيشون في الولايات المتحدة الأمريكية، وبضعة ملايين يقيمون في أمريكا الجنوبية، وهناك في سيبيريا يقيم نحو أربعة ملايين مسلم. وهناك عدة بلاد إسلامية استقلت عن روسيا، بعد تفكُّك الاتحاد السوفييتي، وعدد آخر من الجمهوريات ذات حكم ذاتي ترتبط بروسيا الاتحادية مباشرة، مثل جمهوريات القوقاز وتتاريا وغيرها، وتبلغ نسبة المسلمين في العالم ما يزيد عن ٢٥٪ من مجموع سكانه.

واللافت للنظر أن الإسلام يمضي في عملية العولمة الجغرافية وأن نقطة تمركزه لم تعد عربية أو شرق أوسطية، فأكثر من نصف المسلمين يعيشون شرق نهر «الأندوس» حيث إن الغرب يعتقد خطأً أن تلك المناطق مكرَّسة للأديان الشرقية من بوذية وهندوسية بشكل خاص، فالدول ذات الصبغة الإسلامية الأربع الأولى في العالم هي: أندونيسيا وباكستان وبنغلادش والهند، وهذه الدول جميعها تعيش توترات اجتماعية وإثنية معقدة.

ويمتاز العالم الإسلامي بأن سكانه يرتبطون مع بعضهم بعقيدة واحدة على خلاف أصحاب العقائد الأخرى الذين توجد بينهم خلافات كبيرة، وأكثر سكان العالم الإسلامي يعرفون اللغة العربية، لغة القرآن الكريم والعبادة، إذ لتأتي عبادة المسلم على أفضل وجه يجب أن تؤدَّى باللغة العربية، لذا فإن المسلمين، وأينما كانوا، يحرصون على تعلُّمها سواء في المساجد أو المدارس أو الجامعات، وكانت اللغة السائدة في أنحاء العالم الإسلامي عندما كان للمسلمين دورهم؛ وعندما نشأت العصبيات القومية وقامت كل مجموعة تدعو إلى لغتها، عندها ضعفت اللغة العربية وفقدت مركزها الأول، ومع ذلك بقيت حروف اللغة العربية سائدة في أكثر

اللغات المعروفة في العالم الإسلامي شأن التركية والفارسية والأوردو في باكستان والبشتو في أفغانستان ولغة أندونيسيا والملايو، وعندما جاء الاستعمار الغربي وسيطر على مقدرات العالم الإسلامي شجَّع بعض الحكام الذين صنعهم ودعمهم على تبديل الحروف العربية، وأول من فعل ذلك «أتاتورك» في تركيا، وقام الهولنديون في أندونيسيا بإلغاء اعتماد الحروف العربية في كتابة اللغة الملاوية، وكذلك فعل الروس في أواسط آسيا، ومع ذلك لا تزال بقية اللغات وإلى اليوم تكتب بالحرف العربي مثل لغة جنوبي الفلبين وفطاني والأوردو والبشتو والفارسية.

يضم العالم الإسلامي مجموعة من الأعراق والألوان والشعوب، إذ يشمل مجموعة القوقازيين ومجموعة المغول ومجموعة الزنوج، ويضم العالم الإسلامي العِرق الآري الذي يعيش أتباعه في إيران والقوقاز، ويقطن الساميون في جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا، وينتقل الحاميون في شرق أفريقيا وجهات محدودة في شمالها، وتنتشر على أرض العالم الإسلامي عدة ألوان، فالأسود لون الزنوج والأصفر لون المغول والأبيض لون بقية الجماعات، وتنتسب إليه عدة أقوام من عرب وترك وفرس وهنود وملاويين وفولانيين وهاوسا وأحباش وماندنيغ وبانتو وغيرهم كثير.

أما من الناحية الاقتصادية، ونظراً لتباين المناطق المناخية واتِّساع مساحة العالم الإسلامي فإنه يقدم الخير الكثير للعالم كله، إذ يقدم العالم الإسلامي ١٥٪ من إنتاج القمح في العالم، ويحتل المرتبة الثالثة في إنتاج قصب السكر والسادسة في إنتاج الشمندر السكري، و٩٩٪ من إنتاج التمور في العالم، ويحتل المرتبة الثانية في إنتاج زيت الزيتون والبن، ويحتل المرتبة الأولى في العالم

بإنتاج الكاكاو، والثانية بإنتاج «النارجيل» جوز الهند، والمرتبة الأولى بإنتاج النخيل الزيتي والمطاط والبهارات، ونصف إنتاج القطن في العالم، و٧٥٪ في إنتاج مادة الجوت، والمرتبة الأولى في إنتاج الفول السوداني، بالإضافة إلى كميات هائلة من الخضار والفواكه.

أما بالنسبة للطاقة فيكفي أن أذكر أن البلدان الإسلامية تقدم ٦٥ مليون طن من الفحم، و٢٨ مليون طن من الحديد، ومليون طن من النحاس، و٦٠٪ من إنتاج النفط في العالم، وأكثر من هذه النسبة من الاحتياطي العالمي، وهناك كميات كبيرة وهائلة من الغاز الطبيعي.

وهكذا يمكن القول إن العالم الإسلامي يقدم الخير الوفير للعالم بما يحمله من مبادئ وقِيَم، ويقدم الخير المادي بما تحويه أرضه من ثروات وخيرات متنوعة. والسؤال الآن: لماذا لا يحتل العالم الإسلامي مكانة تليق به وبثرواته؟ جواباً عن ذلك أقول: إن ثروات العالم الإسلامي تعرَّضت ولا تزال لعمليات السطو والنهب المنظم، فالاستعمار الغربي وضع نصب عينيه، وفي صميم أهدافه، خطة لنهب الثروات الإسلامية منذ قرون عديدة، وقد نفَّذ تلك الخطة ولا يزال. وملخَّص الخطة أن الغرب يقوم بنهب هذه الثروات الإسلامية من المواد الخام ثم يقوم بإعادة تصنيعها وتصديرها إلى بلدان العالم الإسلامي التي تحولت إلى أسواق لترويج البضائع الغربية، كما قام الغرب ولا يزال باتباع سياسة حجب التكنولوجيا الغربية عن بلدان العالم الإسلامي لتظلَّ تلك البلدان متخلِّفة وغير قادرة على بناء أية صناعات أساسية، كما يقوم الغرب بتحويل بلدان العالم الإسلامي إلى بلدان مُهمَّشة ومتخلِّفة وتابعة له إعلامياً واقتصادياً وثقافياً

وسياسياً، لتظل تلك البلدان معتمدة على الغرب في كل شيء، كما يقوم الغرب بخلق الفتن والحروب الأهلية بين بلدان العالم الإسلامي، ويسعى لبلقنة دولهِ وإثارة النعرات الطائفية والإثنية والدينية، ويسعى لنشر الأفكار الهدامة والمُضلِّلة، ويعمل على إضعاف الروابط الإسلامية ويساند الحركات الانفصالية التي تظهر هنا وهناك في أرجاء العالم الإسلامي(*).

هذا في العالم الإسلامي، أما الأقليات الإسلامية المنتشرة في العالم والتي تعدُّ بالملايين، فإنها تعاني من عقباتٍ ومصاعب كثيرة، وأهم هذه المصاعب مشكلة التحرر الديني. ففي معظم الدول التي تعيش فيها أقليات إسلامية، وخاصة في أوروبا، لا يستطيع المسلم أن يجاهر بصلاته وإقامة العبادات الأخرى، حتى الحج إلى بيت الله الحرام وُضعت لمنعه العقبات والصعاب، ومن المشكلات أيضاً محاولة أفراد الأقليات المسلمة في بلادٍ غير إسلامية التمسك باللغة العربية باعتبارها الوسيلة للمحافظة على الكيان الإسلامي، ومن أروع ما قاله الأديب عباس العقاد رحمه الله: «فإنَّ زوالَ اللغة العربية لا يُبقي للعربي أو المسلم قواماً يميزه في سائر الأقوام ولا يعصمه أن يذوب في غمار الأمم، فلا يبقى له باقية من بيان ولا معرفة ولا إيمان». وهناك من المشكلات الكثير الكثير التي يواجهها المسلمون سواء في العالم الإسلامي أو في البلدان غير الإسلامية، ولعل في مقدمتها التنصير، وهو موضوع

(*) عقدت دول البلاد الإسلامية عدة مؤاتمرات لتحديد موقفها من المشكلات التي تعانيها ووضع الخطط للتصدي للسياسات الغربية، ولكن هذه المؤتمرات كان مصيرها الفشل، وذلك لضعف الإرادة وغموض الأهداف وافتقاد التنظيم، وخضوع هذه المؤتمرات لإرادة الدولة الداعية، ولأن قرارات المؤتمرات غير ملزمة لا للحكومات ولا للمؤسسات ذات الشأن.

هذه الدراسة. فرغم أننا كمسلمين على حق وما ندعو إليه هو الحق، فلماذا إذن التقاعس؟ وأين نحن اليوم والإسلام يتطاول عليه كل وغد، وأين نحن من تلبية نداء الله والوقوف بكل حزم وأمانة ومسؤولية ووعي وحكمة في وجه الحركات التنصيرية التي أخذت تصول وتجول وتجتاح أمتنا الإسلامية بلا هوادة، وإني لأسأل الله أن لا نكون ممن يصدق فيهم قول رسول الله ﷺ: (توشك أن تتداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأَكَلَةُ إلى قصعتها) قيل: يا رسول الله فمن قلةٍ يومئذٍ؟ قال: (لا. ولكنكم غثاء كغثاء السيل...)[1].

إن التنصير المدعوم من كل قوى الغرب يريد استئصالنا من الجذور إن استطاع، ولست هنا أثبط من همة المسلمين ولا أرسم صورة قاتمة لهم ولمستقبلهم، ولكن ما ذكرتُه في هذه الدراسة يشير إلى واقعنا المتردي، ورغم ذلك فأنا على ثقة بأن النصر سيكون في النهاية لله ولرسوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة/ ٣٢].

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين.

محمود عبد الرحمن

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه رقم (٤٢٩٧) عن ثوبان عن رسول الله ﷺ، ولفظه: (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: ومن قلَّة نحن يومئذٍ؟ قال: بل أنتم يومئذٍ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل. ولينزعنَّ الله من صدور عدوِّكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن. فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: حُبُّ الدنيا وكراهية الموت). قال عنه الألباني: صحيح، في السلسلة الصحيحة برقم (٣٦١٠)، وأخرجه أحمد (٢٢٧٨٠).

الفَصْـلُ الأولُ

حقيقة التنصير وبواعثه

العداء الغربي للإسلام، أسبابه ونتائجه

على الرغم من ضعف العالم الإسلامي وكثرة مشاكله والأزمات التي يواجهها، وعلى الرغم من تشتته وتبعيته للغرب وتخلُّفه التكنولوجي، إلّا أن الغرب يعتبر الإسلام هو العدو الأول، فلماذا هذا العداء الغربي للإسلام؟

في الحقيقة، إن عداء الغرب للإسلام ليس وليد اليوم، وإنما هو قديم يرجع إلى عصر الفتوحات الإسلامية الكبرى. فما أن بدأت حركة الفتوح حتى توجَّهت الأنظار إلى المسلمين وعقيدتهم، وسرعان ما ارتعدت القلوب من سُرعة زحفهم وتوسيع سيادتهم، ومنذ ذلك الحين اشتعلت جذوة الحقد في نفوس الأوروبيين، ولم تهدأ هذه الجذوة على مر الأيام، بل ربما كان يزيد اضطرامها ليزيدها توهجاً، ومما يدعم صحة ما ذهبت إليه أنه صدر في باريس سنة ١٩٢٨م كتاب بعنوان: «البحث عن الدين الحقيقي»، عن مؤسسة التعليم، وصدرت له طبعات في الأربعينات، وقد ورد في الصفحة «٢٢٠»: «إن الإسلام ظهر في القرن السابع للميلاد ومعه ظهر عدو جديد»، وكذلك ما ورد في مجلة العالم الإسلامي التنصيرية، التي تصدر بالإنجليزية، في عدد حزيران «١٩٣٠»: «إن

شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على أوروبا، ولهذا الخوف أسباب منها أن الإسلام منذ أن ظهر في مكة لم يضعف عددياً بل ظل دائماً في ازدياد واتساع، وأن الإسلام ليس ديناً فحسب بل من أركانه الجهاد، ولم يحدث قط أنَّ شعباً دخل الإسلام ثم تنصَّر»، وكذلك ما صرح به الرئيس الأمريكي نيكسون في كتابه «الفرصة الأخيرة»، حيث قال إنه بعد سقوط الشيوعية لم يعد هناك عدو للغرب سوى الإسلام. ومن ينشِّط ذاكرته التاريخية يتذكر أن أول عمل قامت به فرنسا، بعد احتلالها للجزائر عام ١٨٣٠م، هو تحويل أكبر مسجد في مدينة الجزائر إلى كاتدرائية، وأصدرت هيئة البريد الفرنسية طابعاً تذكارياً يمثل الهلال، رمز الإسلام، يسقط منحدراً إلى قاع البحر، في حين أن الصليب يرتفع أعلى ليغمر بسناه الأفق، وكذلك فقد أعلن أحد ملوك إسبانيا أمام البابا: إن إسبانيا جنَّدت نفسها حتى تغرس الصليب في أفريقيا وفي كل ديار الإسلام، وتجعل أتباع محمد يتبعون له ـ للصليب ـ قهراً، وحتى عندما انتهى العمل بحفر قناة السويس أرسل «ديلسبس» برقية إلى البابا أعلن فيها: «إنَّ الطريق إلى قلب العالم الإسلامي أصبح ممهداً».

والسؤال: ما أسباب كل هذا الحقد الغربي على الإسلام؟

في الحقيقة إن الأسباب كثيرة، وسأكتفي بعرض بعض هذه الأسباب على سبيل المثال لا الحصر.

١ ـ شكَّلت الدعوة الإسلامية خطراً داهماً على الغرب لكونها تتعارض مع بربرية الغرب وكفره وظلمه واستعباده وماديته.

٢ ـ قيام الدولة العربية الإسلامية ونجاحها في تقويض أركان الدولة الفارسية، وتجريد الدولة البيزنطية من أغنى ولاياتها في مصر

والشام وشمالي أفريقيا، وامتداد الإسلام في العمقين الأسيوي والأفريقي، بل إلى العمق الأوروبي، أي إلى عقر ديار الأوروبيين في إسبانيا وبعض مناطق فرنسا «معركة بواتييه».

٣ ـ ترحيب سكان البلاد المفتوحة بالمسلمين الذين خلصوهم من الظلم والقهر والاضطهاد والعبودية والاستغلال والكفر.

٤ ـ هزيمة الغرب في الحملات الصليبية وعدم تمكُّنه من استئصال جذور الإسلام، ويؤكد المفكر الإسلامي «محمد أسد»: «إن الحروب الصليبية هي التي حددت، في المقام الأول والأهم، موقف أوروبا من الإسلام. ويمكننا القول، من دون مبالغة، إن أوروبا الحديثة ولدت من روح الحروب الصليبية، وقد وردت أثناء الحروب الصليبية فكرة المدنية الغربية، وبالرغم من أنه كان في الجانب الإسلامي دائماً رغبة مخلصة في التعاون إلّا أنه لم يلقَ أبداً المعاملة بالمثل». ويقول «غوستاف لوبون»: «لقد استمر التعصب الذي ورثناه ضد الإسلام جزءاً من تركيبنا العضوي».

٥ ـ دخول الإسلام إلى وسط أوروبا وإلى يوغسلافيا ومناطق أخرى في البلقان قبل ما يزيد على ستة قرون حين فتحها العثمانيون، وهذا ما أقضَّ مضاجع الأوروبيين الذين شعروا بخطر الإسلام على العالم المسيحي.

٦ ـ إدراك الأوروبيين بأن الأمة الإسلامية تمتاز بأنها تنهض بعد كل كبوة وتفيق بعد كل غفلة وتتعافى بعد كل وعكة، وهي أمة وإن أجبرت على الانحناء فإنها لا تعرف الفناء، وقد كانت هذه الأمة قادرة على النهوض بشكل دائم، وعلى الرغم من المحن التي تعرضت لها فقد كانت دائماً تأخذ بأسباب النصر ولم تيأس خاصة عندما تتحرك فيها روح الجهاد. وأدرك الأوروبيون أن الأمة

الإسلامية قادرة على الوقوف من جديد وبكل عزة وشموخ، ومما زاد من حدة العداء الغربي للإسلام هو خيبة أمل الغرب في رؤية الإسلام وهو ينهار.

لقد كان الغرب يعتقد أن الأمة الإسلامية ستُمحى كما مُحيت حضارة الفراعنة والآشوريين واليونان والرومان والفرس والسوفييت وغيرهم، وإن ذلك يُعَدُّ من طبيعة الأشياء، ولكن الذي حدث أن الأمة الإسلامية كانت دائماً تنهض من جديد، وأن الإسلام ينتشر ويزداد تألُّقاً حتى في أوروبا ذاتها. ففي فرنسا وحدها اليوم خمسة ملايين مسلم، وفي بريطانيا ٢,٥ مليون مسلم، وكذلك في ألمانيا، ويُقَدَّر عدد المسلمين في أوروبا بنحو ٢٣ مليون مسلم، أي ما يعادل ٢,٦٪ من سكان أوروبا، وهذا يعني أن عدد المسلمين في أوروبا يفوق عدد المسلمين في تسع دول أعضاء في جامعة الدول العربية. من هنا أدرك الغرب أن مَنْ يملك القيم يملك النصر ويتمكن من الصمود في الساحة العالمية، وهذا هو سر الهجمة الشرسة على المسلمين. فالمسلمون ليسوا بأغنياء إذا ما قورنوا بالغرب، فميزانية شركة «جنرال موتورز» الأمريكية تعادل ميزانية العديد من الدول الإسلامية، وميزانية إيطاليا التي تُعد فقيرة تعادل ميزانية الدول العربية كلها، والمسلمون في مجال التكنولوجيا يقفون في آخر الطابور، ومع هذا يصنِّفهم الغرب العدو رقم واحد، لأنه يدرك أن الإسلام والإيمان والقِيَم هي التي تحفظ للأمة وزنها. لهذه الأسباب امتلأت أذهان الأوروبيين بالحقد على الإسلام ولم تستطع بعض الكتابات الغربية المعتدلة عن الإسلام، والتي ظهرت في العصور الحديثة، أن تمحو شيئاً من هذه الأحقاد المتراكمة في نفوس الأوروبيين، وظلوا يتوارثون هذه الأحقاد جيلاً بعد جيل

ورضعوها من ألبان أمهاتهم، فبقيت حتى هذه اللحظة متمثلة في نظرة الغرب للإسلام والمسلمين.

ومن الجدير ذكره أنَّ الغربيين، وحتى عندما استعمروا بلاد العرب والمسلمين في العصور الحديثة، ظلوا ينظرون إلى الإسلام على أنه العدو الأول، لأن الحركة الإسلامية هي التي كانت تتزعم المقاومة ضد الاستعمار. وهكذا فالغرب يعتبر الإسلام عدوَّهُ سواء في حالات الضعف ليصد الهجوم المُضاد في كل بقعة إسلامية، وهو أيضاً العدو الذي يقوم اليوم وكأنه مارد أسطوري يحاول أن يعيد الأمور إلى ما كانت عليه في عصر الازدهار الإسلامي.

والسؤال الآن: كيف تجلّى هذا الحقد الغربي على الإسلام؟

في الواقع إنَّ الحقد دفع الأوروبيين إلى الشروع بتنفيذ مخطط هدفه إفناء المسلمين وإبادتهم، وقد نفذوا هذا المخطط ببرودة أعصاب وبدون أن تهتز شعرة في أجسامهم وبدون وازع ديني أو ضابط أخلاقي، ويكفي لإدراك مدى ضراوة هذا الحقد أنْ نطل على التاريخ عن كثب وهو يورد ما تشيب منه ذوائب الولدان؛ فحين دخل الصليبيون القدس عام ١٠٩٩م قتلوا فيها نحو سبعين ألف رجل من المسلمين والمسيحيين على السواء. ففي مسجد عُمر وحده في القدس ذبحوا عشرةَ آلاف مسلم، ويذكر المؤرخون[١]: «أنَّ الحاقدين قد أعملوا السيف في الرجال والنساء دونما تمييز حتى شوهدت أكوام الرؤوس والأيدي والأرجل في شوارع المدينة أكواماً تعلو مباني المدينة، وبلغت الدماء من شدة التدفق أن خاض الصليبيون بخيولهم فيها، ولما أسدل الليل أستاره أقبل الصليبيون

(١) انظر: جوستاف لوبون، «حضارة العرب»، ص٣٢٦.

إلى مدينتهم وبكوا من شدة الفرح ورفعوا أيديهم المخضبة بالدماء». وفي قيسارية احتمى بعض الأهالي بجامع المدينة لكن الصليبيين لاحقوهم وذبحوهم داخل الجامع عن آخرهم مُحولين بذلك الجامع إلى بركة كبيرة من دماء المسلمين(١)، والأشنع من ذلك إحراق الحرث والنسل وهتك الأعراض، واستباحة المحرَّمات، كما يقول «ابن العديم» المتوفى سنة «١٢٦٢م»: «إنَّ القائمين على هذه الغزوة نبشوا قبور الموتى وأخذوا توابيتهم إلى الخيام وجعلوها أوعية لطعامهم، وسلبوا الأكفان، ثم عمدوا إلى موتى المسلمين فربطوا في أرجلهم الحبال وسحبوهم أمام المسلمين وهم يقولون: «هذا مُحمدكم!! وهذا عَليُّكم»(٢).

أما في الأندلس فلم يخسر المسلمون سوى ثلاثة ملايين من إخوانهم ذهبوا بين ذبيح وحريق وقتيل، ويذكر الأستاذ محمد عبد الله عنان، في كتابه «نهاية الأندلس»، أنه في سنة ١٤٩٩م/ ٩٠٥هـ، ذهب الكردينال «كمنيس» إلى غرناطة وحثَّ مطرانها «الدوق تالافيرا» على اتخاذ وسائل فعّالة لتنصير المسلمين مستعملاً الوعد والوعيد والإرغام، وزاد «كمنيس» فأمر بجمع ما يستطيع جمعه من كتب علمية وفلسفية ومصاحف، قُدِّرت بأكثر من مليون كتاب، وأضرم فيها النار، وأكد الباحث المذكور أنَّ الإسبان كانوا يستعملون كل طرق التعذيب المتصوَّرة، من الأسياخ المُحماة، والقوالب المُحماة الثقيلة للبطن، وسحق العظام بالآلات الضاغطة وتمزيق الأرجل وفسخ الفك، وغير ذلك من الوسائل الهمجية مثل

---

(١) انظر: سعيد عاشور، «الحركة الصليبية»، ص٢٩٤.

(٢) المرجع سابق، ص٢٥٤، نقلاً عن ابن العديم.

قتل مائة ألف مهاجر من قافلة واحدة كانت متجهة من الأندلس إلى أفريقيا، كما يقول المستشرق «جوستاف لوبون»[1]، حتى من سمَّوهم بـ«الموريشكيين»، أي العرب المتنصرين تحت التعذيب، لم يتركوهم، فكانوا يعدمونهم بالجملة أو يبيعونهم عبيداً أو يجمعونهم في سفينة ويغرقونهم جملة، أو ينفونهم إلى أي مكان بعد مصادرة أموالهم. وخلال حركة الكشوف الجغرافية قام الأوروبيون بإبادة المسلمين وأقاموا امبراطورياتهم على أشلاء المسلمين، ففي تقرير «البوكرك» الذي رفعه إلى ملك البرتغال «مانويل الثاني» عن سير عملياته قال: «إن جنوده وبحارته أبادوا جميع المسلمين حيثما كانوا، أما الذين لم يقطعوا رؤوسهم فقد ساقوهم إلى الجوامع ثم أحرقوهم»[*].

وفي البلقان، وبعد اضطرار العثمانيين للانسحاب منه، قام الصرب بقتل آلاف المسلمين ولم يرحموا النساء ولا الأطفال الذين لجأوا إلى الجوامع، وقام البلغار أيضاً بإحراق المسلمين وهم أحياء وألقوا بهم في النهر وهم مكتوفو الأيدي، والجروح تقطر دماً من أبدانهم ورؤوسهم، وكذلك فعل اليونان في القرى المُسلمة، فبعد أن هاجموها ذبحوا المسلمين ونزعوا الحلي من آذان النساء واعتدوا عليهن، وحدث أن النساء والأطفال لجأوا إلى الأديرة بعد قتل الرجال، ولكن الأهالي المسيحيين هجموا عليهم وقتلوهم،

---

(١) انظر: غوستاف لوبون، «حضارة العرب»، ص٢٧٠ وما بعدها.

(*) وقام فاسكو داجاما والميدا ويارتلمودياز بارتكاب جرائم مماثلة، بما في ذلك قتل المسلمين الذين ألقوا أنفسهم إلى البحر هرباً من مدفعية داجاما، كما لجأ إلى التمثيل بجثث الملوك والسلاطين العرب والأفارقة الذين حاولوا مقاومته أو الامتناع عن اعتناق النصرانية.

ومما يزيد تلك الفظائع وحشية أن القساوسة والمطارنة هم الذين يشهدون بها أو يقودونها.

وبعد سقوط المعسكر الشرقي قام الصرب بارتكاب مجازر ضد المسلمين في البوسنة والهرسك، ولم يوفروا وسيلة من ذبح وقتل واغتصاب وتهجير وتشريد، واليوم يقوم الصرب في «كوسوفو» بتنفيذ أبشع الجرائم ضد المسلمين من قتل وتشريد وتهجير واغتصاب وإحراق، ولست أظن أن جرائم النازية والفاشية تبلغ شراسة وصفاقة جرائم الصرب في كوسوفو، فمجرمو النازية مثلاً كانوا يقتلون الضحية أو يحرقونها وكفى، أما الصرب فإنها يسملون العينين ويقطعون الأذنين ويرسمون الصليب على الضحية بالسكين وهو حي، ويقطّعونه قبل الموت وبعده. ومن جرائمهم ما تحكيه إحدى النساء اللاجئات أنها كانت في منزلها آمنة مطمئنة مع أولادها حتى داهمهم الصرب فقالوا لها: ماذا تصنعين؟ فقالت: أطبخ الغذاء. فقالوا لها: ألا تحتاجين إلى اللحم؟ فقالت: كلا. فقالوا لها: إننا سنوفر لك اللحم بالمجان. فأخذوا طفلها الصغير وذبحوه أمامها، ثم قطعوا منه قطعة لحم ووضعوها في قدر الطعام[1].

ومن جرائمهم اغتصاب النساء المسلمات، وتتم هذه العمليات بشكل جماعي وتحت إشراف السلطات الصربية الرسمية، ويردد الجنود الذين اغتصبوا المسلمات: «سوف تحملن أطفالاً صربيين رغم أنوفكن»، «إذهبن إلى ألبانيا وأبلغن من خلفكن بأننا نفعل ذلك

---

(١) انظر: جريدة «الرياض» السعودية، عدد الجمعة ٢١ مايو ١٩٩٩م، وجريدة «القبس» الكويتية و«البيان» و«الاتحاد» الصادرة في يوم الجمعة ٣٠/٤/١٩٩٩م.

بمن يرجع إلى كوسوفو»، وما هذا إلا غيض من فيض وقليل من كثير من ثمار الحقد الصليبي على الإسلام والمسلمين.

وإلى جانب هذه المجازر البشعة التي مارسها الغرب ضد الإسلام، والتي يعرفها العالم كله، هناك ثمار أخرى للحقد الصليبي على الإسلام، ومنها أن الغرب قد وضع خططاً سرية شاركت في وضعها الدوائر السياسية ومراكز الاستشراق وأجهزة المخابرات لمواجهة العدو الإسلامي ـ بنظرهم ـ، وهناك أيضاً خطط مُعلنة وضعها الغرب منذ نهاية الحروب الصليبية ولا يزال مُصراً على تنفيذها، وتأتي حملات التنصير في مقدمة هذه الخطط المُعلنة، ومن الملاحظ أن هدف هذه الحملات لم يتغير منذ نهاية الحروب الصليبية ألا وهو القضاء على الإسلام وعلى وحدة المسلمين وأخوَّتهم وزرع عوامل التحلل والفساد في صفوفهم!

حقيقة التنصير وبواعثه

عندما خرج الصليبيون من ديار المسلمين يجرون أذيال الخيبة والهزيمة، بعد أن ردَّ الله كيدهم في نحورهم ودارت الدائرة عليهم ولم يتمكنوا من النيل من الإسلام، عندها أدركوا أنه لم يعد في وسعهم مواجهة الإسلام، وإن هذا العبء لا بد أن تقوم به أوروبا كلها لتضييق الخناق على الإسلام ومن ثَم الإجهاز عليه، وبذلك يتسنّى لهم التخلُّص من العقبات التي تحول دون سيطرتهم على العالم.

لقد أنهكت الحروب الصليبية قوى الغرب البشرية والمالية، وكان على الصليبيين أن يغيِّروا طريقة غزوهم، وأخيراً توصل الحاقدون على الإسلام والمتخوفون من الوحدة الإسلامية إلى سلاح خالوه يجدي في شقِّ عصا المسلمين وسلخ الولاء المتبادل

من قلوبهم، ورأوْا أنه بدلاً من الحروب والتدمير يجب استخدام سيوف ورصاص من نوع جديد فسيَّروا حملات التنصير، وجنَّدوا في خدمتها مليارات الدولارات لضرب الوحدة الإسلامية التي تؤكد على مبدأ «الولاء والبراء في الإسلام»، وهو يعني أن المسلم في أيِّ بلد هو أخ للمسلم وعليه أن ينصره ويساعده إذا احتاج إلى ذلك، الأقرب فالأقرب، وهنا لبس الذئاب جلود الضأن، وتفتحت أعينهم لبعض مواطن الضعف في العالم الإسلامي، وأخذوا يقدمون المساعدات الطبية والاجتماعية، وينتهزون الفرص والظروف الملائمة، وأخذوا يرصدون مواطن التفكك والتحلل لدى المسلمين، وبذلك يحاربون الإسلام ويوقفون زحفه المتواصل منذ القرن السابع الميلادي ويوجهون إليه ضربة قوية، وبدأوا بشنِّ غاراتهم على العالم الإسلامي، ولكن، كما ذكرت، في لبوس العلم والمعرفة بعد الفشل الذريع الذي حل بهم بعد المواجهات العسكريَّة الخاسرة.

تنصير لا تبشير!

إذا نظرنا إلى أساس العداوة بين الإسلام والغرب نظرة موضوعية نستنتج أنَّ أساس العداء هو دنيوي لا ديني، ومن هنا أستطيع التأكيد وبكل ثقة أن التنصير هو عمل سياسي لا علاقة له بالدين من أي جانب، أو من أدنى اتجاه، وذلك لعدة أسباب أهمها:

١ ـ عندما تطالعنا كلمة التبشير تتجه أذهاننا إلى ما يسمى بالتبشير النصراني أو الاستعماري الذي هو التنصير بكل ما تحمله الكلمة من معنى، ولعلَّ السبب في ذلك هو الحملات الظالمة التي يقوم بها المنصِّرون والتي تستهدف الإسلام ولغته وأهله حتى في عُقْر دار المسلمين.

ولكن، ما هو التنصير؟ التنصير هو الدعوة إلى النصرانية ومحاولة إقناع الناس بشتى الوسائل والمُغريات للدخول فيها، وإذا نظرنا في الأدبيات الغربية نجد أنهم يسمون هذه الدعوة تبشيراً، وهذا يعني وبكل وضوح أنهم «سرقوا» هذا اللفظ وأعني التبشير وأطلقوه على حملاتهم التنصيرية، ودليل ذلك أنه لو عدنا إلى القرآن الكريم لوجدنا آيات كثيرة تحثنا على التبشير بالإسلام مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء/ ٩] وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۞ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف/ ١، ٢].

وورد لفظ التبشير في مواضع كثيرة في القرآن مثل: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة/ ١٥٥] وكذلك جاء التبشير أساساً من أسس رسالة الرسول ﷺ، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة/ ١١٩]، وفي الحديث الشريف يقول الرسول ﷺ: (وكان كل نبي يُبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس عامة).

ورغم أن النصرانية الأصيلة تتفق مع الإسلام في أن كلًّا منهما دين سماوي وتوحيدي، ولكن هناك فرقاً أساسياً بين الديانتين، وذلك أن النصرانية دين خاص ببني إسرائيل، بينما الإسلام دين عام شامل لكافة الناس، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ/ ٢٨].

إذن فالإسلام للناس كافة بسبب نص القرآن على عالمية التبليغ، أما النصرانية فهي ديانة خاصة ببني إسرائيل لخصوصية رسالة عيسى حينها، رغم مضمونها التوحيدي الذي هو روح الإسلام، وعلى

هذا لا يجوز الخروج بها كشريعة من نطاق بني إسرائيل، وهذا ما أكَّده عيسى عليه السلام في قوله: «ما جئت إلا لخراف بني إسرائيل الضالة» إنجيل متى، الإصحاح الخامس، عدد ١٥، ص٢١ ـ ٢٨.

وعلى هذا، فعندما جاء المسيح عليه السلام يبشر بملكوت السمٰوات لم يكن داعياً إلى عقيدة جديدة غير ما يدين به إبراهيم وإسحٰق وموسى عليهم السلام، وإنما جاء ليُعلي من شأن الأخلاق والقِيَم الروحية التي ضاعت في المجتمع اليهودي. وبكلمة، فإن المسيحية لم تبدع ديناً جديداً غير الإسلام وهو الدين الذي ارتضاه الله لكل رسله، وإنما اكتفت بالمناداة بالمحبة والبر والتعاطف وإعلاء الفضائل الإنسانية، وهي في ذلك تتفق مع الرسائل الأخرى، وهي واحدة لا تختلف في المنشأ ولا في الغاية، ولكن الإنسان صيَّرها إلى الفساد أقرب منها إلى الصلاح بما أدخله فيها من الخرافات التي اخترعتها أوهامه وزينتها له تصوراته الخاطئة.

وبالنسبة للمسيحية، فقد قام أتباع السيد المسيح عليه السلام بإدخال بعض التعاليم والعقائد الوثنية التي كانوا يعتقدون بها قبل مجيئه، ولم يقفوا عند هذا الحد بل اقتبسوا من بعض الديانات الوثنية أشياء وتعاليم يحشرونها إلى أناجيلهم المحرَّفة[1]، وقد أكَّد المرحوم «محمد طاهر التنير» في كتابه «العقائد الوثنية في الديانة النصرانية» أن أتباع المسيحية قد اقتبسوا عقيدة التثليث من البراهمة، وفكرة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداءً عن الخطيئة، وأن فكرة صلب السيد

(١) انظر: كتاب «العقائد الوثنية في الديانة النصرانية»، تأليف المرحوم محمد طاهر التنير المطبوع سنة ١٩١٢م، وقد أعيدت طباعته في بيروت سنة ١٩٩٨م، وهناك عشرات الكتب التي تناولت الموضوع ذاته، وكلها تتفق مع ما أكَّده المرحوم محمد طاهر التنير.

المسيح مُستوحاة من موت «كرشنا»، أحد آلهة الهنود، وكذلك أكَّد أن الاعتقاد بحلول الظلمة عند موت أحد المخلِّصين للعالم مأخوذة من الديانات الوثنية الهندية وغيرها، وكذلك الاعتقاد بأن النجوم التي ظهرت في الشرق عند ولادة أحد الآلهة وحتى الاستدلال على الطفل الإلهي وإكرامه بالهدايا، والقول عن الآلهة المتجسدة إنها من سلالة ملوكانية، كلها مقتبسة من الوثنية البوذية والصينية، وأيضاً تجربة الشيطان لأبناء الآلهة ـ كما يعتقدون ـ وصيامهم مدة أربعين يوماً، مقتبسة من البوذية، وكذلك نزول الآلهة المتجسدين إلى الجحيم لأجل خلاص الأموات، مقتبسة أيضاً من الديانات الوثنية الهندية، وحتى الاعتقاد بأن الابن هو الخالق والمصور للكائنات الذي يعتقد به المسيحيون مأخوذ من البوذية، وحتى العمادة لإزالة الخطيئة اقتبسها المسيحيون من البوذيين والرومان والهنود القدماء.

وقبل أن يختم المرحوم محمد طاهر التنير كتابه أورد جدولاً تضمن مقابلة النص الصريح بين بوذا ويسوع المسيح، وذكر في المقابلة ما يقوله الهنود الوثنيون عن بوذا بما تقوَّله النصارى عن يسوع المسيح، وبإلقاء نظرة سريعة على هذه المقابلة يتضح التطابق الواضح بين أقوال الهنود الوثنيين في بوذا، ابن الله المزعوم، وأقوال النصارى المسيحيين في يسوع المسيح، ابن الله كذباً وبهتاناً[1]، ونخلص إلى نتيجة وهي أن المنصِّرين لا يبشرون بالمسيحية الحقيقية التي تبشِّر برسالة محمد ﷺ وإنما بالمسيحية التي أدخلوا إليها الكثير الكثير من العقائد الوثنية، وأيّاً كان الأمر

(١) راجع نص المقابلة في كتاب المرحوم محمد طاهر التنير، من ص١٩٥ إلى ص٢١٠.

فإن الإسلام عندما جاء نَسَخَ ما قبله من الشرائع وهيمن عليها، ولذا فلا يجوز التمسك إلا بالإسلام ولا يُقبل غيره، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران/ ٨٥].

وعلى هذا أقول: إن التبشير هو من صميم واجب المسلمين، وذلك لأن رسالة الإسلام رسالة عالمية تحتاج إلى تبليغ وتبشير ويجب إيصالها للناس كافة، ولكن الذي حصل أن المسلمين تقاعسوا عن واجبهم التبشيري وتركوا الساحة للمنصِّرين الذين لم يكونوا أوفياء لتعاليم المسيحية، ورأينا كيف أنزلوا بخصومهم كل ضروب العسف والقهر والاضطهاد، وبهذا خرج أتباع المسيح عليه السلام عن تعاليمه وخالفوا منهجه وحاولوا تنصير سائر الأمم وإرغامها على عقيدة التثليث الباطلة، ووصل بهم الأمر إلى استغلال فكرة التنصير أسوأ استغلال، وفي العصر الحديث اتخذوها سلاحاً خطيراً لتجريد المسلمين من إسلامهم ولتشويه صورة الإسلام السمحة وللحدِّ من عالمية رسالته الرحيمة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء/ ١٠٧].

٢ ـ زعم المنصِّرون أن هدفهم هو نشر المسيحية بين أبناء المعمورة، ولو كانت القضية كما زعموا لهان الأمر، ولكن الواقع أثبت أن القضية أخطر من ذلك بكثير، فالتنصير حركة ظاهرها دينيٌّ تتستر بنشر المسيحية ولكنها في الجوهر مؤامرة صليبية عالمية استعمارية توسعية تستهدف السيطرة على العالم وفي المقدمة العالم الإسلامي، وللتنصير أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وفكرية، إنها مؤامرة ضد الوجود الإسلامي برمَّته لتحقيق الأطماع الصليبية في استغلال كل تفوُّق مادي ومعنوي في الوقت الحاضر،

وهدفها تسخير طاقات العالم الإسلامي لخدمة الإنسان الصليبي في أي مكان. والسؤال الآن: متى تنبَّه العالم الإسلامي لخطورة حملات التنصير؟ وهل أدرك المسلمون حقيقة التنصير؟

في الحقيقة لقد انبرى عدد من المفكرين المسلمين إلى كشف أهداف التنصير وعرفوا أن التنصير عمل سياسي لا علاقة له بالدين، وأن تعاليم المسيحية ليس فيها ما يقتضي تجهيز هذه الجيوش الجرارة من المنصِّرين الذين يجوبون بلاد العرب المسلمين تحت شعارات خادعة، وبهدف إحداث الغارات الفكرية الوافدة التي يكون نتيجتها حدوث الفرقة الفكرية وتعدد الانتماءات الثقافية في صفوف المسلمين، وقد تأكَّد لهم حقيقة التنصير بعد أن عرفوا أن المنصِّرين لا يطلبون من الذين ينصِّرونهم التزاماً معيناً بقواعد تعاليم النصرانية وإنما يكتفون منهم بأن يقيِّدوا أسماءهم في سجلات النصارى، وأن لا يقوموا بأي عمل يؤكد فهمهم أو تمسكهم بتعاليم الدين الجديد الذي انتقلوا إليه وقيدوا أسماءهم في سجلاته وكشوفه باعتبارهم تابعين له، ومن هنا يبرز جلياً الهدف الرئيسي للمنصِّرين ألا وهو إخراج المسلمين عن إسلامهم حتى ولو لم يدخلوا في المسيحية. إنها مؤامرة سياسية ضد مستقبل المسلمين ليس إلَّا، وكان المرحوم الدكتور عمر فروخ وزميله الدكتور مصطفى خالدي أول من كشفا حقيقة التنصير وأكَّدا أنه مؤامرة سياسية[1].

جاء في كتاب التبشير والاستعمار، الذي ألَّفه عمر فروخ

---

(١) انظر: كتاب «التبشير والاستعمار في البلاد العربية»، تأليف د. مصطفى خالدي ود. عمر فروخ، الطبعة الثانية ١٩٥٧م، منشورات المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، ص٣٤.

ومصطفى خالدي: «إذا تأملنا العالم الغربي وجدناه عالماً ملحداً لا يؤمن بدين، وعالماً مادياً لا يعرف للروح معنى. إنَّ أمريكة التي تعبد الحديد والذهب والبترول، كما يقول أمين الريحاني، قد غطت نصف الأرض بمبشرين يزعمون أنهم يدعون إلى حياة روحية وسلام ديني، وبينما نرى فرنسة دولة علمانية في بلادها نجدها الدولة التي تحمي رجال الدين في الخارج. إن اليسوعيين المطرودين من فرنسة هم خصوم فرنسة في الداخل وأصدقاؤها الحميمون في مستعمراتها، وكذلك إيطاليا التي ناصبت الكنيسة العداء وحجزت البابا في الفاتيكان كانت تبني جميع سياستها الاستعمارية على جهود الرهبان والمبشرين، حتى روسيا السوفيتية التي تدعو في بلادها إلى الإلحاد رأيناها، بعد الحرب العالمية الثانية، حينما أرادت أن تحقق لنفوذها توسعاً إقليمياً وسياسياً، قد تظاهرت بالعطف على رجال الدين ودعت إلى مجمع مسكوني في موسكو وحملت إليه المؤتمرين في طائراتها، ثم شرَّف «ستالين» نفسه أولئك المؤتمرين بمقابلته، وكان العسكريون الإنجليز يحضون حكوماتهم على بثِّ المبشرين في العالم».

إذن فالقضية غير دينية بل هي سياسية محضة هدفها فرض الهيمنة الغربية على العالم الإسلامي وتمزيقه والإجهاز على وحدته، وتشويه فكره وعقيدته المتمثلة بالتوحيد ومنهج الحق في الدين والدنيا.

٣ ـ كان التنصير خير ممهد للاستعمار قبل قدومه وأصبح خير وريث للقوى الاستعمارية التي اضطرت للانسحاب من البلدان التي كانت تستعمرها، وخير مثال على مهمة التنصير نجده في الوطن العربي وفي القارة الأفريقية. ففي هذه القارة مهَّد المنصِّرون

للمستعمرين وتفاعلوا معهم وباركوا أعمالهم وعملوا معاً على صهر الشخصية الأفريقية في الشخصية الأوروبية، وهذه الحقيقة اعترف بها ساسة الغرب كما اعترف بها المنصِّرون وبعض المنصفين من المثقفين الغربيين، وهذه شهادات موثقة تؤكد صحة ما ذهبت إليه.

يقول «سونو»: «اتجه المستعمرون إلى استعباد جسد الأفريقي، أما المنصِّرون فقد استهدفوا روحه! ماذا يعني ذلك!؟ إنه يعني، وبكل وضوح، أنَّ التنصير كان عبارة عن مُنوِّم يُسهِّل إلقاء حبل الاستعمار على عنق الأفريقي»[1]، وهذا كان سبباً من الأسباب التي اضطرت أو ألجأت «ليوبولد سنجور» إلى تأسيس ما يسمى بحركة الزنوجة والدعوة إلى تحرير الإنسان الأفريقي من أية ديانة كانت عدا الوثنية إذا أراد أن يعيش حراً ومستقلاً ذا سيادة. أمّا الكاتب الغربي «سيمون» فقد علَّق على دور البعثات التنصيرية في أفريقيا بالقول: «جاء الرجل الأبيض إلى أفريقيا وبيده الإنجيل، وكان الأفريقي يمتلك الأرض، ثم دارت الأيام فأصبح هو يمتلك الأرض بينما الأفريقي يمتلك الإنجيل»[2].

أما القس «بوشار»، من البعثة الروحية، فيقول في كتابه «البعثة الكاثوليكية» الجزء الثالث صفحة «٢٠٩» عام ١٩٥٧م: «إن التنصير في أفريقيا كان صنوَ الاستعمار، وتغلغلا معاً في هذه القارة للتنمية الاقتصادية واستتباب الأمن اللذين يصبان في فائدة السكان الأصليين والبعثات التنصيرية، فساهم الاستعمار في نشر وتوسعة

---

(١) انظر: مقال «التنصير في أفريقيا وغياب المواجهة»، المنشور في جريدة «الشرق الأوسط»، تاريخ ١٠/٨/١٩٩٥م الموافق ١٤ ربيع الأول ١٤١٦هـ، العدد ٦٠٩٩.

(٢) انظر: كتاب «من الأدب الأفريقي»، د. علي شلش، ص٨٨.

رقعة التبشير، فهما تقدما معاً في وقت واحد، ولكن المبشرين وصلوا قبل المستعمرين وذهبوا أبعد منهم، كحالة المستعمرين في الكاميرون مع الإنجليزي «ساكير» والأنتيلين من أسلاف الرقيق «ميريك»، وفولير عام ١٨٤٥م حوالي أربعين سنة قبل الاستعمار، والأب «دورجير» في داهومي عام ١٨٦٤م، أو الآباء الروحيين في الكونغو ١٨٧٤م، والراعي الطبيب «ديفيد ليفنجستون» ١٨١٣ ـ ١٨٧٣م، وهذا معنى التمهيد للاستعمار. أما الدكتور «والتر رودني» فقال: «أعطت البعثات التبشيرية التعليمية المبكرة أولوية فائقة للصبغة الدينية والأخلاقية للتدريس، وهو أمر كان يتلاشى في أوروبا، ومن الواضح أن دور الكنيسة المسيحية في العملية التعليمية يحتاج إلى اهتمام خاص، وقد كانت البعثات التبشيرية المسيحية جزءاً من قوى الاستعمار إلى حد كبير، مثلها في ذلك مثل المكتشفين والتجار والجنود، وربما يكون هناك مجالٌ للمجادلة حول ما إذا كانت البعثات التبشيرية في مستعمرة ما هي التي جلبت قوى الاستعمار الأخرى، أم أن العكس هو الصحيح، ولكن ليس هناك شك في حقيقة أن البعثات التبشيرية كانت من أدوات الاستعمار من الناحية العملية، وقد كان السير «هنري جونستون» المغامر الإمبريالي، يكره تلك البعثات التبشيرية، لكنه قال في الثناء عليها إن «كل موقع لبعثة تبشيرية هو تدريب على الاستعمار»[1].

وهكذا يتضح أن المنصِّرين مهَّدوا للاستعمار، وتعاونوا معه إلى

---

(١) انظر: كتاب «أوروبا والتخلُّف في أفريقيا»، تأليف د. والتر رودني، ترجمة د. أحمد القصير، عالم المعرفة، الكويت، العدد ١٣٢، ديسمبر ١٩٨٨م، ص٣٦٩.

ساعة استقلال معظم الدول الأفريقية في الستينات، وبما أنَّ الاستقلال في أفريقيا يقف في حدود رسم علم وطني ونشيد وطني تُكرَّس فيه العبادة الشخصية لرئيس الجمهورية المعيَّن من قبل القوة الاستعمارية نفسها، فقد ظل التعاون مستمراً إلى اليوم، فما عجز عنه التنصير تقوم به شبكة الاستعمار الجديد، وما عجزت عنه الشبكة يقوم به التنصير ومن دون إظهار علاقة بينهما.

سأختم هذا الفصل بوثيقة سرية وزَّعها وزير المستعمرات البلجيكية «رنكين» في عام «١٩٢٠م» على البعثات التنصرية البلجيكية، وقد كانت هذه الوثيقة سرية في حينها، ورغم أن الملك «ليوبولد الثاني»، ملك بلجيكا خلال الفترة الواقعة بين عام ١٨٨٠م ونهاية الحرب العالمية الأولى، قد أحرق، قبل وفاته بفترة قصيرة، جميع الوثائق التي تثبت أفعاله البشعة من قتل وبتر أعضاء وتجويع، ولكن هذه الوثيقة ظلت سرية حتى مطلع الثمانينات ومصنَّفة تحت عنوان «سري للغاية»، ولا حاجة للتذكير بأفعال «ليوبولد الثاني»، إذ يكفي أن أذكر أنه مارس الإرهاب في الكونغو، وكانت المحصلة النهائية لإرهابه سقوط ما بين خمسة إلى عشرة ملايين قتيل من الأفارقة فقط، وكان «مارك توين»، الكاتب الأمريكي الساخر، أول من تحدث عن التعسف الذي مارسه الاستعمار الأوروبي في القارة السوداء، فقال في كتيب بعنوان «مناجاة الملك ليوبولد دفاعاً عن حكمه في الكونغو»، وقد تهكم فيه على السياسة الاستعمارية، ودلَّل على ذلك بأسلوبه الساخر قائلاً: «إن دم الضحايا الأبرياء الذي أراقه الملك ليوبولد في الكونغو لو صُبَّ في دِلاء، ولو صُفَّت هذه الدلاء لامتدَّ الصف ألفي ميل، ولو قُدِّر للهياكل العظمية، للملايين العشرة الذين قتلوا أو ماتوا جوعاً، أن تنهض وتمشي في

خط واحد لاستغرق مرورها من نقطة واحدة سبعة أشهر وأربعة أيام». ومن الضروري التنويه أن حرب الإبادة[١] المنسية التي قام بها الملك «ليوبولد الثاني» قد تم تنفيذها بالتعاون مع البعثات التنصيرية العاملة في الكونغو والمناطق الأفريقية الأخرى، وهذه وثيقة تروي قصة التعاون بين الاستعمار والتنصير، وتظهر لنا بشكل جلي أن هدف التنصير في أفريقيا ليس نشر النصرانية، وإليكم ترجمتها عن الفرنسية:

مهمة التبشير في أفريقيا[٢]

«آباؤنا المبجَّلون، مواطنونا الأعزاء، مرحباً بكم في وطنكم الثاني الكونجو البلجيكية. إن المهمة التي كُلِّفتم أداءها حساسة جداً وتتطلب الكثير من الحذر والحيطة. أيها الآباء، إنكم جئتم للتنصير، ولكن هذا يجب أن يكون ممثلاً لروح أهدافنا الكبرى، وقبل كل شيء منفعة بلدنا الأم، وليس من أهدافنا الأساسية جعل الأسود أنْ يعرف الله ـ وهو يعرفه من قبل ـ هو يثرثر ويأكل «زامبيا وأنجولا» وماذا يعرف أيضاً؟ لا يعرف غير القتل ومواقعة زوج غيره وكلام فارغ والظلم إلى آخره وهذا مكروه، فلتكن لديكم الجسارة الكافية لتقولوا لهم إنكم لم تأتوا لتعلموهم ما كانوا يعرفونه، ومهمتكم تكمن أساساً في تسهيل المهمة للإداريين والصناعيين، وهذا يعني تفسير الإنجيل بطريقة تخدم مصالحنا في هذا العالم، وليتم ذلك عليكم بالتعليمات التالية:

---

(١) انظر: كتاب «من الأدب الأفريقي»، تأليف المرحوم د. علي شلش، سلسلة اقرأ «٢٤٨»، دار المعارف، القاهرة، ص٣١، أغسطس ١٩٦٣م.

(٢) راجع: نص الوثيقة في جريدة «الشرق الأوسط»، العدد ٦٠٩٩، تاريخ ١٠/٨/١٩٩٥م الموافق ١٤ ربيع الأول ١٤١٦هـ.

١ ـ جرِّدوا المتوحشين من الاستفادة من عنادهم الطبيعي، واذبحوا أرضهم، وانهبوا ثرواتهم الباطنية، وامنعوهم من الاهتمام والتفكير بثروتهم ومزاحمتنا، وحتى الحُلم يوماً بمناقشتنا، ومعرفتكم بالإنجيل تسمح لكم أن تجدوا بالسهولة النصوص التي تنصح بحبِّ الفقر والفاقة، وعلى سبيل المثال ما ورد في إنجيل «متى» الفقرة الخامسة الآية «١٢»، و«لوقا» الفقرة السادسة الآيات من «٢٠» إلى «٢٤»: «طوبى للفقراء لأن ملكوت السماوات يكون لهم»، «لا يدخل ملكوت السماوات الغني حتى يدخل الجمل في سُمِّ الخياط».

٢ ـ أن تؤمِّنوا للإداريين والصناعيين ثروة هؤلاء، واللجوء إلى الانتقام ولا تعطوا للأسود راحة ليستفيد من الانتقام، ولذلك انصحوهم ليتحملوا كل شيءٍ وأن يتبعوا القديسين الذين تحملوا العذاب من دون التشكي من الاعتداء، حسب إنجيل «متى».

٣ ـ يجب الاستهزاء بكل ما يعطيهم الشجاعة لمواجهتنا، وأن تجعلوا طقوسهم الحربية وهمية، ولا تنتظروا من كبار السن أن يتركوها أو يهملوها ولكنكم تحاولون مع صغار السن أمَّا كبار السن فسيذهبون.

٤ ـ ركِّزوا، بصورة خاصة، على الخضوع والطاعة العمياء، وهذا يكون طالما ابتعدتم عن روح النقد، فتجنبوا في مدارسكم روح النقد ومواضع النقد، وعلِّموهم الإيمان والاعتقاد بالشيء لا على تمنطق الأشياء، وابدوا نظاماً نفسياً وروحياً يمكِّنكم من إقناع كل أسود له روح الاستقلال بأنكم أحكمُ منه.

٥ ـ علِّموهم أشياء أنتم أنفسكم لا تستطيعون العمل بها، وإذا قالوا لكم لماذا تفعلون عكس ما تعلِّمون الناس، قولوا لهم أنتم

السود، اتبعوا ما نقوله لكم، وإذا رأيتم أنهم غير مقتنعين قولوا لهم: ما أسعد أولئك الذين يقتنعون ولا يتضجرون أو يحتجون.

٦ ـ قولوا لهم: إنَّ أصنامهم يغشاها الشيطان إن لم يذهبوا إلى متاحفنا وإلى الفاتيكان.

٧ ـ لا تقدموا كرسياً للأسود عندما يأتي عندكم ولا سيجارة ولا تدعوه إلى طعام العشاء.

٨ ـ اعتبروا كل السود مثل الأطفال وحتى ما بعد الاستقلال، وأكدوا لهم على أن ينادوكم بـ«أبي».

٩ ـ اصرخوا عليهم عندما يحتجون على تعذيبكم لهم، أو عندما يطلبون منكم أن تتوقفوا عن استغلالهم وغشهم.

وهنا، مواطنيَّ الأعزاء، بعض الأمور العملية والتطبيقية التي يجب أن تتحلوا بها من دون إهمال، وهناك الكثير الذي سيأتيكم مكتوباً في نهاية هذه الجلسة، والملك يعطي أهمية كبيرة لبعثتكم التبشيرية، وقرر أن يسهِّل لكم أموركم ولذلك تتمتعون بحماية الإداريين وتحصلون على مال للتبشير ولتنقلاتكم، وتمنحون أراضي للبناء وتحصلون على أيدي عاملة مجاناً من التلاميذ.

وهكذا، آبائي المبجَّلون ومواطني الأعزاء، أبلغتكم ما طُلب مني أن أعلمكم به في هذا اليوم يداً بيد لعظمة وطننا، عاشت السيادة وعاشت بلجيكا».

التوقيع: وزير المستعمرات البلجيكية في عام «١٩٢٠م» «رنكين».

لن أُعلِّق على هذه الوثيقة، فهي واضحة لا تحتاج إلى تعليق، ففي ثناياها ما يكشف طبيعة التنصير وأهدافه الاستعمارية. وإذا قارنا بين أحوال أفريقيا اليوم ومحتويات هذه الوثيقة فلا نجد فرقاً

بين اليوم وأيام كتابة هذه الوثيقة بالرغم من أنَّ انسحاب الأوروبيين قد تم منذ الستينات، ولكن التنصير كما كان خير ممهد للاستعمار فإنه اليوم أصبح خير وريث للقوى الاستعمارية، وسيتضح ذلك في الفصول القادمة عندما أتعرض لوسائل التنصير في العالم الإسلامي، فهذه الوسائل ستكشف المزيد من الحقائق الدامغة والرهيبة، وستظهر بوضوح التحالف الوثيق بين التنصير والاستعمار الغربي، وأن المنصِّرين اليوم يكملون السياسة الاستعمارية كما طلب منهم أسيادهم في الغرب، وربما فعلوا أكثر مما طلب منهم أن يفعلوه!

الفَصْلُ الثَّاني

لمحة موجزة إلى تاريخ التنصير

إنَّ الهدف من هذه الدراسة إيضاح مخاطر التنصير ومضاره السياسية والاجتماعية على العرب والمسلمين، لذلك لن أقدم تاريخاً مفصلاً للتنصير بل سأتوقف عند المحطات الرئيسية في تاريخ التنصير، لأن ذلك يخدم الهدف الأساسي لهذه الدراسة.

يتفق معظم الباحثين المعنيين بدراسة تاريخ التنصير أن أوروبا عندما هُزمت في الحروب الصليبية أرادت أن توقد نار حرب صليبية أخرى، وهي حرب ثقافية وحرب تنصيرية استخدمت فيها الكنائس والمدارس والمستشفيات وكل وسيلة، وخاصة بعد أن عرف الصليبيون أنَّ الإسلام هو سر القوة التي مكَّنت المسلمين من دحرهم وردهم على أعقابهم. لقد كان الإسلام، كما يقول «براون»: «الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي، كما كان رافد المقاومة الشعبية له». وبذلك يكون العقبة الكؤود التي تحطمت عليها قوة الغرب، وانحنت أمام شموخها هامات المستعمرين، ولذلك بدأ الأوروبيون يخططون للسيطرة على المناطق العربية والإسلامية ثقافياً وسياسياً، ولتحقيق هذه الغاية كان لا بد لهؤلاء من البحث[1] عن طرق أخرى لمحاربة الإسلام تكون أجدى

(١) انظر: كتاب «الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري»، تأليف د. محمد حمدي زقزوق، ص٢.

من القوة وأمضى من السيف، والبديل، كما يقترح الكثيرون، يجب أن يكون الغزو الثقافي والفكري الذي تتقدمه دراسات فاحصة للتعرف على الإسلام تكون المقدمة لمحاربته بطريقة أجدى من البطش والشدة، ولذلك يقول «ريلاند»: «إن الأحرى هو أن يسعى المرء للتعرف على الإسلام في حقيقته لكي يحاربه بطريقة أكثر أماناً وأشد قوة». واستجابة لهذه الفكرة أعاد الغرب الصليبي غاراته على العالم الإسلامي ولكن في لبوس العلم، وهذا ما فرض على الأوروبيين دراسة اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، وقد تزعَّم هذه المهمة كلٌّ من «روجر بيكون» «١٢١٤ ـ ١٢٩٤م» ومن بعده «ريموند لال» «١٢٣٥ ـ ١٣١٦م».

وهكذا اندفع الأوروبيون إلى البحث في العقيدة الإسلامية وإلى تعلُّم اللغات الشرقية وخاصة العربية للنفاذ إلى صميم الفكر الإسلامي بغية تخريبه وتشويهه وتدميره من داخله. أكَّد «أدوين بلس»، في كتابه: «ملخص تاريخ التبشير»[1] أن «ريمولاند لال» الإسباني الأصل هو أول من تولى التبشير بالنصرانية بعد أن أدرك أنه قد حان الوقت لإخضاع المسلمين عن طريق التنصير كي تزول العقبة الكبيرة التي تقف في سبيل تحوُّل الإنسانية كلها إلى العقيدة الكاثوليكية، ومن ثم الخضوع للاستعمار الغربي، ومن الجدير ذكره أن مجمع «فيينا» الكنسي، المنعقد عام ١٣١٢م، قد صادق على أفكار «روجر بيكون وريموند لال» بشأن تعلُّم اللغات العربية والإسلامية، وتم تحديد خمس جامعات أوروبية هي: باريس

---

(١) راجع: كتاب «الغارة على العالم الإسلامي»، تأليف: أ.ل. شاتليه، لخَّصها ونقلها إلى العربية محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، إصدار مكتبة أسامة بن زيد، بيروت، ص١٢ وما بعدها.

وأكسفورد وبولونيا وسلمنكا وجامعة المدينة البابوية، لتدريس هذه اللغات. .

وتقول الأبحاث المعنية بتاريخ التنصير إن «ريموند لال» قد تعلَّم العربية بكل مشقة، ثم قام بشق الطريق للمنصِّرين، ومن بعدهم جاء المستشرقون. وهكذا كان التنصير مدخلاً للاستشراق أو سابقاً عليه أو مقدمة تمهيدية له، وفيما بعد التحم التنصير والاستشراق معاً في قيادة وتوجيه وتزويد حركة الاستعمار، منذ تلك الفترة وحتى اليوم، بكل ما يلزمها من وسائل ودراسات مفيدة في التمهيد لقدوم المستعمرين.

وإذا كان التنصير، بكل مؤسساته الطبية والتعليمية والهندسية والاقتصادية والإنسانية، قد استخدم التعليم في كافة مراحل الدراسة، من الحضانة إلى الجامعة، وسلك سُبل العمل الإنساني والإحسان والأعمال الخيرية(*)، وأنشأ المستشفيات والملاجئ ودور الأيتام وإيواء اللقطاء، فإننا نجد أن الاستشراق قد سلك سبلاً أخرى، مثل المقال والمحاضرة والكتاب وكرسي التدريس في الجامعات، والاشتراك في سائر المؤتمرات العربية والإسلامية بالدراسات المختلفة في سائر العلوم والفنون العربية والإسلامية، وتؤكد الدراسات التاريخية أنَّ الأوروبيين بدأوا، منذ ذلك الوقت، بإعداد جيوش المنصرين، وبدأوا يتنافسون في إعداد وتدريب وتنظيم هذه الجيوش، وكانوا يختارون المنصِّرين من الأذكياء

(*) هناك علاقة واضحة بين التنصير ونمو التجارة العالمية، فبعض المنصِّرين تستروا بالعمليات التجارية التي كانت الأساس الذي بنى عليه الاستعمار القديم صرحه، ومن هنا يتضح تداعي الأسس الفكرية الدينية في رسالة التنصير، لأن المنصِّرين تكيَّفوا مع التوجهات الاستعمارية وخدموها.

والنابهين ثم يقومون بتدريبهم وتدريسهم دراسات خاصة تعدُّهم للعمل في الأوساط والمجتمعات العربية والإسلامية. وتتضمن تلك المناهج دراسات لأحوال البلاد التي يبتعثون إليها ومعرفة مشوهة بالإسلام، وقد يتلقون تدريباً عسكرياً لاستخدام القوة في عمليات التنصير، إذا اقتضت الضرورة ذلك[١]. وهكذا توافدت قوى التنصير إلى البلاد العربية والإسلامية وأخذت توزع خلاياها في كل أرجاء العالم الإسلامي، ولم تترك بقعة من بقاع المسلمين إلا وزرعت فيها خلاياها، وحاولت هذه القوة التستر بستار الدين.

يستفاد من كتاب «ملخص تاريخ التبشير»، السابق ذكره، أنَّ أول بعثة تنصيرية دخلت القارة الأفريقية كان في القرن الخامس عشر الميلادي[٢]، أما جاوة في أندونيسيا فقد وصلها المنصرون عام ١٧٢١م، ثم تناول الكتاب تاريخ تنظيم الإرساليات البروتستانتية، من دانمركية وإنكليزية وهولندية، وأخبار اتصال بعضها ببعض، وأسماء الملوك والأمراء الذين كانوا يدعمونها ويؤيدون أعمالها في القرن السابع عشر. ثم تطرق الكتاب إلى جهود الأوروبيين التي تُوِّجت بتأسيس الجمعيات التنصيرية، وذكر منها جمعية لندن التبشيرية التي تأسست عام ١٧٩٥م، ثم قاموا بتأسيس فروع لها في اسكوتلندا ونيويورك وألمانيا والدانمرك والسويد والنرويج وسويسرا وغيرها، وذكر أنه تعذر على الفرنسيين المشاركة في هذه الجهود التنصيرية المُبكرة لانشغالهم بالثورة الفرنسية التي قامت عام ١٧٩٨م، ثم ظهرت جمعيات تنصيرية فرعية اقتصر نشاطها على

---

(١) انظر: «المدخل إلى الثقافة الإسلامية»، تأليف محمد رشاد سالم، دار القلم، الكويت، طبعة ثانية، ١٩٨٧م، ص٢٩، ٣٠.

(٢) انظر: كتاب «الغارة على العالم الإسلامي»، مصدر سابق، ص١٣.

المجال الطبي لتلتحق بالإرساليات العامة فنجحت نجاحاً باهراً، وبعدها قام الأوروبيون بتأسيس العديد من الجمعيات التنصيرية، مثل جمعية الشبان المسيحيين عام ١٨٥٥م وجمعية اتحاد الطلبة المسيحيين عام ١٨٩٥م وجمعية تبشير الشبان عام ١٩٠٢م، وكان من مهام هذه الجمعية الأخيرة استمالة النساء والبنات والشبان. وفي عام ١٩٠٧م قام الأوروبيون بتأسيس جمعية تنصيرية خاصة بالكهول... وبدأت طلائع المنصرين تفد إلى البلاد العربية والإسلامية.

وبالنسبة للدولة العثمانية فقد كان للمُنَصِّر «هنري مارتين» اليد الطولى في إرسال المنصرين إلى أنحاء هذه الامبراطورية، وقد ازداد حجم النشاط التنصيري في الأراضي العثمانية بعد توقيع معاهدة «١٨٣٠م»، بين الولايات المتحدة الأمريكية والسلطنة العثمانية، حيث نصَّت المعاهدة على إعطاء الولايات المتحدة حقوق الدولة الأَوْلى بالرعاية، لذا قامت بإنشاء الكلية البروتستانتية السورية التي كانت تُدرِّس المواد النصرانية واللاهوتية إلى جانب العلوم الأخرى. ولكن النشاط التنصيري في بلاد الشام عامة وفلسطين خاصة كان محصوراً ومتعثراً[1] قبل توسع محمد علي باشا في بلاد الشام بسبب العقبات العديدة التي واجهته وأهمها معارضة الحكومة العثمانية لهذا النشاط، إلا أن احتلال محمد علي لبلاد الشام في عام ١٨٣٢م خلق المناخ الملائم لنمو وتزايد نشاط البعثات التنصيرية.

---

(١) انظر: مقال «النشاط التبشيري الألماني في فلسطين بين عامي ١٨٤١ - ١٩١٨م» للدكتور علي محافظة، الجامعة الأردنية، المنشور في مجلة دراسات تاريخية، الصادرة في دمشق، العدد الثاني، رمضان ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٥٣.

فمنذ بداية الحملة المصرية على بلاد الشام وجَّه إبراهيم باشا بياناً إلى السلطات المدنية والدينية في فلسطين يطلب منها رفع القيود عن اليهود والمسيحيين المقيمين في البلاد، وكذلك الزوار الأجانب، وسمح لليهود ببناء كنيس لهم في القدس، ومنح جمعية يهود لندن حرية العمل للتنصير في فلسطين، ومنذ ذلك الوقت شهدت فلسطين وكافة مناطق بلاد الشام نشاطاً تنصيرياً مكثفاً، وتنافساً حاداً بين الإرساليات التنصيرية من مختلف الكنائس المسيحية. وبعد زوال حكم محمد علي اضطرت الدولة العثمانية إلى أن تغمض عينيها على استمرار النشاط التنصيري في بلاد الشام بسبب مساندة الدول الأوروبية لها في إخراج محمد علي وطرده من بلاد الشام وإعادة هذه البلاد إلى السلطنة العثمانية، وانتهزت الدول الأوروبية هذه الفرصة لتزيد من نفوذها ونشاطاتها المختلفة وفي المقدمة النشاط التنصيري، وشهدت بلاد الشام في هذه المرحلة توسعاً في فتح مراكز العلاج لتصبح تسع مستشفيات وعشرة مستوصفات في سوريا ولبنان، وعدداً كبيراً من المستشفيات في فلسطين والعراق.

أما في منطقة الخليج العربي، فقد كان أظهر نشاط أمريكي في هذا المجال هو ما عُرف باسم «الإرسالية الأمريكية» التي تتبع مذهب الإصلاح الديني البروتستانتي، والتي اتخذت من البحرين مركزاً رئيسياً لبدء التنصير في شبه الجزيرة العربية بما في ذلك سلطنة عُمان، واستطاعت الإرسالية الأمريكية، عن طريق خدماتها الطبية، أن تقيم علاقات طيبة مع العاهل السعودي عبد العزيز[1]،

---

(١) انظر: جريدة «الاتحاد» الظبيانية، ملحق حديث الجمعة الصادر في ١٦ ذي الحجة ١٤١٩هـ الموافق ٢/ ٤/ ١٩٩٩م، مقال «حملات التنصير =

ومع العديد من أمراء شبه الجزيرة العربية في أوائل القرن العشرين، وقد اعترف رجال الإرسالية الأمريكية بأنهم كانوا يمارسون تقديم الخدمات الطبية لكسب قلوب ومحبة المسلمين، وبذلك هيَّأ هؤلاء الرجال جواً أفضل أمام رجال النفط الأمريكي، الذين تبعوهم فيما بعد، وكان القس «زويمر»، رئيس إرسالية التنصير الأمريكية في البحرين وفي المنامة بالتحديد عام «١٣١٠هـ»، مع بعض رفاقه قد استأجروا بيت الحاج «يوسف الشتر». ونظراً لأن المنصِّر القس «زويمر» كان يجيد العربية فقد أخذ يتصل بأهل البحرين في أسواق المنامة، ويناقش الشباب في أمور الدين، ولم يوفَّق في مساعيه لأنه وجد نفوراً شديداً من أهل المنامة، فاتجه إلى الجماعات المسيحية بالمنطقة.

ولأن المُنصر «زويمر» كان مجنَّداً من قبل الجهات الرسمية في الولايات المتحدة الأمريكية فقد أنشأ مستشفى «ماسون» في المنامة، ومن خلال الأطباء في المستشفى كانوا يصلون برسالاتهم إلى أهل المنامة من المسلمين والمسيحيين، ثم قامت الإرسالية الأمريكية بتوسيع نشاطها، فأقامت عدة محطات في البصرة ومسقط ذات الموقع الحساس، إذ كانت تسيطر على الطريق الجنوبي للخليج العربي، وكان التنصير في تلك المنطقة على درجة كبيرة من الأهمية للدور التاريخي الذي لعبه العُمانيون في شرق أفريقيا[1].

= تجتاح البلدان العربية والإسلامية الآن» للدكتور رأفت غنيمي الشيخ، أستاذ تاريخ بجامعة الزقازيق، مصر.

(١) انظر: كتاب «التبشير في منطقة الخليج»، تأليف عبد المالك خلف التميمي، من منشورات شركة كاظمة، ١٩٨٢م، ص٤٦.

أما مصر فقد عرفت النشاط التنصيري البروتستانتي خلال القرن التاسع عشر، ووصلت بعثات التنصير الإنجليزية إلى مصر قبل سقوط نابليون، ولكنها لم تستطع الاستمرار فخرجت لتعود ثانية في أعقاب الاحتلال الإنجليزي لمصر عام ١٨٦٢م. وجاءت بعثات تنصيرية أمريكية إلى مصر عن طريق بلاد الشام، وأنشأت هذه الإرساليات جمعيات ومعاهد كثيرة للتنصير أذكر منها «جمعية اتحاد مبشري أمريكا الشمالية»، وفي عام ١٨٩٢م أنشأ المنصرون في مصر «جمعية تنصير شمالي أفريقيا» ومعهداً تابعاً لها لتنصير المصريين، والجمعية العامة للتنصير في مصر، وكان لها معاهد في الدلتا والسويس، وتُدير مدارس للصبيان والبنات، وأنشأ المنصرون في مصر معهداً علمياً للتنصير تابعاً للكنيسة وله أربعة فروع: الأول طبي، والثاني مدرسة للصبيان، والثالث للبنات، والرابع لنشر الإنجيل[١].

وفي فلسطين، جاء المنصر «صموئيل غويات» الأنجليكاني في آذار ١٨٤٦م، وحاول إدخال الأرثوذكس في مذهبه الأنجليكاني، ولكن الأرثوذكس تصدوا لمحاولته بالعنف، وكان أول مظاهر العنف في مقاومة الكنيسة الأرثوذكسية للتنصير الأنجليكاني أحداث «السَّلْط» في نيسان ١٨٥١م، حيث هاجم جمهور من الأرثوذكس مقر الإرسالية الإنجليزية وطردوا مَنْ فيها. أما ردة فعل الكاثوليك في فلسطين فكانت أشد وأعنف، حيث قام الكاثوليك بمنع توزيع الكتاب المقدَّس، وجمعوا الكتب المقدسة ومنشورات الإنجيليين وأحرقوها علناً، ولكن وعلى الرغم من العوائق التي وقفت في وجه الأنجليكان إلا أن المنصِّر «صموئيل غويات» تمكن من بسط حمايته

---

(١) انظر: كتاب «الغارة على العالم الإسلامي»، مرجع سابق، ص٣٠.

على الطائفة الإنجيلية في القدس ونابلس والناصرة ويافا والرملة[١]، واستمر في فتح المدارس، وتمكن من بناء كنيسة المسيح في ٢١ كانون الأول ١٨٤٩م.

ومن المنصرين الألمان، الذين ساهموا في حملات التنصير في فلسطين، أذكر «شبتلر» الذي اهتم بالعمل على توثيق الصلات بين الإرساليات الألمانية في فلسطين مع الإرساليات الألمانية في الحبشة، واقترح أن يتم الاتصال بين إرساليته وإرسالية الحبشة براً عبر مصر والسودان، وذلك بإنشاء محطات من المحلات التجارية، وأطلق على هذا الطريق البري «طريق الرُّسُل». وقام المنصرون الألمان بإنشاء مؤسسات ومنشآت خيرية بروتستانتية، مثل «دار الأيتام السورية» و«جمعية بيت المقدس» و«مؤسسة القدس الإنجيلية»، ومأوى للمجذومين ومستشفى للأطفال. أما الألمان الذين يعتنقون المذهب الكاثوليكي فقد بنوا العديد من الأديرة مثل: دير القديس كارلوس بوروماوس، وكنيسة نياحة العذراء، وعدداً كبيراً من المستوصفات الصحية والمدارس والمستشفيات وملجأً للعجزة[*]، ومركزاً تنصيرياً في عمواس.

ومن الجدير ذكره أنَّ النشاط التنصيري الكاثوليكي الألماني بدأ يشتد في الثمانينات من القرن التاسع عشر، أي في الفترة التي

---

(١) انظر: مجلة دراسات تاريخية، العدد الثاني، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، حزيران، مرجع سابق، ص٥٣ وما بعدها.

(*) لم أشر إلى النشاط التنصيري الإنكليزي في فلسطين وذلك بسبب أن ألمانيا، بروسيا سابقاً، قد اتفقت مع إنكلترا على إنشاء مطرانية القدس البروسية الإنكليزية المشتركة، وكان النشاط التنصيري الأنجليكاني الألماني، مدعوماً من الإنكليز ومكملاً للنشاط الإنكليزي الأنجليكاني.

أخذت فيها ألمانيا تسعى بكل ما لديها من وسائل لتعزيز نفوذها في الدولة العثمانية، وهي الفترة التي دخلت فيها في تنافس شديد مع فرنسا في الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية، حتى أنها سعت في هذه الفترة إلى أن تنتزع من فرنسا حق حماية الكاثوليك في الشرق. ولا بد من التأكيد على أنَّ فكرة استعمار فلسطين واستيطانها كانت تهيمن على جميع الجمعيات والإرساليات التنصيرية الألمانية والفرنسية والإنكليزية العاملة في فلسطين، فتعاونت إلى أقصى حد مع المهاجرين الصهاينة الذين أخذوا يتوافدون إلى فلسطين من كل حدب وصوب. ولا يغيب عن بالنا أن منظمات التنصير الغربية ساهمت في تعميق الخلافات الطائفية في فلسطين، كما أنها أضعفت الشعور الوطني والقومي وذلك بتنمية الولاء الطائفي وتعزيزه، وخلقت الأجواء المناسبة للصهاينة كي يستوطنوا في فلسطين ومن ثم لزرع الكيان الصهيوني في فلسطين العربية.

وإذا نظرنا في أرجاء العالم الإسلامي نجد أن النشاط التنصيري كان قائماً منذ زمن طويل، فعلى سبيل المثال، يرجع التنصير في بلاد فارس إلى سنة «١٨١١م»، حيث ابتدأ المنصرون الأمريكيون نشاطهم التنصيري بين النسطوريين ثم بين المسلمين. أمَّا الصين فقد بدأ النشاط التنصيري فيها سنة «١٨١٣م»، وفي الأقاليم الروسية التي تعيش فيها أكثرية إسلامية قام القياصرة الروس بمحاولات كثيرة لتنصير المسلمين والتتار والشركس وغيرهم، ولكنهم لم يحققوا أية نتائج تذكر. وفي سيلان بدأ المنصرون نشاطهم عام ١٨٠٧م وبنوا فيها العديد من المعاهد والمدارس والكنائس. وقصارى القول فإن النشاط التنصيري قد بلغ مداه عندما خضعت البلدان العربية والإسلامية للاستعمار الغربي، حينها أخذت بعثات

التنصير تصول وتجول بكل حرية، تخرب وتهدم كما يحلو لها، وكان هدفها تهديم الثقافات القائمة والقضاء على التراث الإسلامي ومحو كل آثار الحضارات بما في ذلك الفنون والأوابد الحضارية، ولم توفر وسيلة إلا وجرَّبتها لاستئصال جذور التفكير الديني الذي يعترض عملية التنصير.

وأخيراً لا بد من الإشارة إلى بعض المحطات الهامة في تاريخ التنصير، وخاصة المؤتمرات التي عقدها المنصرون بهدف تنظيم النشاط التنصيري ووضع الاستراتيجيات والتكتيكات اللازمة لدفع العمل التنصري قُدُماً إلى الأمام، ومن أشهر هذه المؤتمرات(*):

١ ـ مؤتمر التنصير الأول في القاهرة سنة ١٩٠٦م، والذي عقد في بيت زعيم الثورة العرابية «أحمد عرابي» في باب اللوق بالقاهرة، وبعد مداولات ومناقشات توصل المؤتمرون إلى أنه بعد مضي ثلاث سنوات من تنصيرهم غير المباشر حدثت(١) النتائج التالية:

أ ـ عرف المنصرون أحوال البلاد، وأفكار المسلمين وشعورهم وعواطفهم وميولهم.

ب ـ حصلوا على ثقة عدد من المسلمين بهم.

جـ ـ تحققوا أنهم، بتظاهرهم في وداد المسلمين وميلهم إلى ما تطمح إليه نفوسهم من الاستقلال السياسي والاجتماعي والنشأة القومية، يمكنهم أن يدخلوا إلى قلوبهم.

(*) راجع: مقال محمود عبد الرحمن، «حملات التنصير، تاريخها وأهدافها»، المنشور في جريدة «الاتحاد» الظبيانية، ، ملحق حديث الصائم، عدد الجمعة ٦ رمضان ١٤١٦هـ الموافق ٢٦ يناير ١٩٩٦م.

(١) انظر: «الغارة على العالم الإسلامي»، مرجع سابق، ص٥٤.

وأصدر المؤتمرون، في نهاية أعمالهم، نداءين: استنهضوا بأولهما رجال النصرانية ليجمعوا قواهم ويتضافروا بأعمال مشتركة وعمومية ليستولوا على أهم الأماكن الإسلامية، أما ثانيهما فقد حضَّ على تنظيم عمليات التنصير بين النساء.

٢ ـ مؤتمر «أدنبرج»، سنة ١٩١٠م: وقد أكَّد المؤتمرون، في نهاية أعمالهم، أن ارتقاء الإسلام يهدد نموَّ المستعمرت الغربية بخطر عظيم، لذلك فإن المؤتمر ينصح الحكومات الغربية بزيادة الإشراف والمراقبة على دعم الحركة التنصيرية.

٣ ـ مؤتمر «لكنو» بالهند، سنة ١٩١١م: وكان أهم ما صدر عنه هو ضرورة توجيه إرساليات التنصير إلى أفريقيا، وطالب المؤتمر الجمعيات التنصيرية بتوحيد نشاطاتها وتكثيف جهودها في أفريقيا، وتأسيس مراكز قوية في الأماكن التي هي موطن الخطر، وأوصى المؤتمر بضرورة الاحتكاك بالرجال والنساء، واستنهض همَّة الكنائس بإرسال المزيد من المنصِّرين إلى أفريقيا حتى يشدوا أزر المنصرين ويدعموهم بكل ما يلزم من إمكانيات مادية وغيرها.

وفي عام ١٩٢٤م، عقد المنصِّرون مؤتمراً عاماً في القدس، وعقدوا جلساته في إستانبول وحلوان وبرمانا وبغداد، وأهم ما صدر عن هذا المؤتمر التأكيد على أهمية التطبيب كوسيلة للتنصير، واعترف المنصرون صراحة بفشل العمل التنصيري خلال خمسة وعشرين عاماً، فقال المنصِّر «زويمر»: «إننا قد لا نستطيع إدخال المسلمين في حظيرة المسيحيين، فهم لا يفضلون ترك الإسلام إلى غيره، ولكننا قد نستطيع إخراجهم من الإسلام فقط بتشكيكهم فيه كعقيدة»(١).

(١) انظر: جريدة «الاتحاد» الظبيانية، ملحق حديث الجمعة، عدد ١٦، ذي الحجة ١٤١٩هـ الموافق ٢/٤/١٩٩٩م.

ومن المؤتمرات الهامة التي عقدها المنصرون مؤتمر عام ١٩٨٧م، وقد شارك فيه «١٥٠» شخصية منتقاة من أنحاء العالم المسيحي، وقد عقد في مدينة «جيلين إيري» في كولورادو في الولايات المتحدة الأمريكية بإشراف منظمة «التصور الدولية» المتخصصة في التنصير، وكان المشاركون خبراء في مختلف الفروع العلمية والدراسات، وبخاصة الدراسات الإسلامية وعلم الأجناس وشؤون العالم الثالث، وخاصة العالم الإسلامي، وخبراء في نظريات الإعلام وأساليب تغيير الاتجاهات والتأثير في الرأي العام، وكان الهدف الرئيس للمؤتمر الخطير وضع استراتيجيات متقدمة وخطط مرحلية جديدة لغزو العالم الإسلامي. وللوصول لهذه الغاية ناقش المؤتمرون أربعين موضوعاً بتركيز شديد بهدف استنباط تصورات جديدة من شأنها التعجيل(*) بتنصير ٧٢٠ مليون مسلم، وكما جاء في التقديم لأعمال المؤتمر: «إن عملية تنصير المسلمين من أعظم التحديات التي واجهت الكنيسة على مر العصور».

بقي أن أشير إلى أن الغرب مستمر في دعم إرساليات التنصير بكل الوسائل، ومستمر أيضاً في تأسيس منظمات جديدة مدعومة حتى النهاية من الحكومات الغربية، وحتى من بابا الفاتيكان شخصياً. ففي عام ١٩٩٢م نشرت وسائل الإعلام الغربية تعميماً من البابا إلى الكنائس الكاثوليكية في العالم يطالب فيه بمضاعفة الجهود والنشاطات لنشر الديانة النصرانية في الأماكن التي لا

(*) يمكن الاطلاع على الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التنصيري، الذي يقع في «٨٧٨» صفحة من القطع الكبير، والاطلاع على البحوث التي طرحت في المؤتمر، إضافة إلى خلاصة تعقيبات المشاركين، وذلك من «دار مارك» في كاليفورنيا.

يرغب المسلمون في رؤية النشاط التنصيري فيها، ووجَّه التعميم عناية خاصة لقارة أفريقيا، التي حرص البابا على زيارة الكثير من دولها وكنائسها لهذا الغرض، ومن اللافت للنظر أن البابا قد وجَّه التعميم، الذي ذكرته، في الوقت نفسه الذي يدعو فيه إلى احترام الدين الإسلامي»(١).

موقف المسيحية العربية من النشاط التنصيري

تعرضت الكنائس الشرقية بعامة والقبطية منها بخاصة لمحاولات الاختراق والتفكيك والنقد غير الموضوعي وذلك بسبب سعي الإرساليات التنصيرية الغربية، من كاثوليكية وبروتستانتية، للتبشير بين المسيحيين العرب الذين كانت غالبيتهم من أتباع الكنائس الشرقية، ورأيْنا كيف استخدم المسيحيون الشرقيون العنف ضد إرساليات التنصير البروتستانتية في فلسطين وغيرها، إلا أنه وعلى الرغم من موقف المسيحيين العرب من حملات التنصير ومقاومتهم للاستعمار، ولمحاولاته الجادة لتغريب المسيحيين ومقاومتهم أيضاً للاستلاب الثقافي، ومساهماتهم الكبيرة في الحركات الوطنية والقومية في مصر والمشرق العربي، فإننا نجد من يوجِّه اللوم إليهم، وحتى من يتهمهم بمساندة الإرساليات التنصيرية الغربية، وكان آخر من وجَّه هذه التُّهم الباحث المصري الدكتور «رأفت غنيمي الشيخ» حيث قال: «ومن الطبيعي أن تكون الإرساليات الأمريكية موجَّهة بالدرجة الأولى إلى الجماعات المسيحية العربية كأقباط مصر ونسطوريي سوريا والأرمن والمسيحيين في لبنان

---

(١) راجع: «الخيرية» نشرة فصلية تصدر عن دائرة العلاقات العامة لمؤسسة الملك فيصل الخيرية في الرياض، العدد ١١، ذي القعدة ١٤١١هـ، مايو ١٩٩٢م، ص٦.

والأردن، وغيرها من الجماعات المسيحية والنصارى العرب، ولقد كانت هذه الجماعات سنداً للإرساليات التنصيرية الغربية»[1].

وللإنصاف والحقيقة والتاريخ أقول: إن هذ التهمة مُتسرعة وغير دقيقة، ولا يستطيع أي منصف إثباتها رغم وجود بعض القساوسة الذين تعاونوا مع إرساليات التنصير في بداية النشاط التنصيري، لكن تعاون أفراد قلائل مع حملات التنصير لا يعني بأي شكل أنَّ المسيحية العربية قد ساندت النشاط التنصيري، وحتى أننا قد نجد بعض العذر لأولئك الأفراد القلائل الذين تعاونوا مع المنصرين، فقد يكون بعضهم مدفوعاً في تأييده ومساندته بالرغبة في الانفتاح على الثقافة الغربية للتخلص من التخلف الذي أرسى دعائمه العثمانيون، وإذا كان ذلك يشكل تهمة فهل يمكن أن نوجه نفس التهمة إلى رفاعة الطهطاوي الذي حاول أن يقارن ويوفق بين النظم والتشريعات الفرنسية وبين الشريعة الإسلامية بأكثر من طريقة؟ فنحن نراه يترجم «الميثاق» الذي أعلنه لويس الثامن عشر، بعد عودة أسرة البوربون الفرنسية إلى الحكم على أثر سقوط نابوليون، ليكون دستوراً يحدد العلاقة بينه وبين الشعب الفرنسي، ومعروف أن في هذا الميثاق أموراً لا يمكن أن ننكر أنها من باب العدل، وإن كان غالب ما فيه ليس في كتاب الله ولا في سنَّة رسوله، والاتجاه نفسه نجده عند خير الدين التونسي في تونس، فقد تحدث عن تاريخ الدول الأوروبية، وأبدى إعجابه بنظمها السياسية، واستنكر الإعراض عن النظم التي لا تتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية والتي يسير عليها أتباع الأديان الأخرى.

---

(١) راجع: جريدة «الاتحاد» الظبيانية، الجمعة ١٦ ذي الحجة، الموافق ٢/ ٤/ ١٩٩٩م.

وفي بلاد الشام نجد فارس الشدياق وبطرس البستاني يشاركان الطهطاوي والتونسي إعجابهما بمواطن القوة عند الغربيين وفي الرغبة بالإفادة من تجاربهم، وفي الوصول إلى ما وصلوا إليه من تقدم، ويعملان على النهوض باللغة العربية من الدرك الذي تردت فيه تحت الحكم العثماني، ويظهران مواطن القوة فيها ومقدرتها على استيعاب التراث الأوروبي، وعلى هذا فلا يمكن أن نتهم المسيحيين العرب بمساندة النشاط التنصيري مساندة فعالة ومؤثرة، وحتى إننا نجد أن المسيحيين الذين ساندوا الإرساليات الغربية في البداية قد غيَّروا موقفهم المساند بعد أن عرفوا أن النشاط التنصيري الغربي لا يمت للدين المسيحي بأية صلة، وأنه عمل سياسي استعماري، يضاف إلى ذلك أن المفكرين المسيحيين المشهورين قد تألموا من النشاط التنصيري كالمسلمين، فهذا هو الشاعر القروي «رشيد سليم الخوري» يقول: «أما من الناحية الدينية فإن إقامتي الدليل على عدم نزاهتهم لا تقتضي أن أكون بارعاً في الجدل أو عالماً شهيراً بالتاريخ...! إن طوائفنا العديدة... قد زيدت، بفضل تعرُّفنا على الرسالة الأمريكية، طائفة جديدة اسمها «الإنجيلية»... وكم أنفق الأمريكيون... لكي يعرِّفونا بمواطننا السيد المسيح وبدينه... كأننا أشد افتقاراً إلى فضائل المسيحية من الأمريكيين أنفسهم»[1].

وقد فضح أمين الريحاني أهداف التنصير، ووجَّه انتقادات مماثلة لحملات التنصير، واستنكر نشاطها الهدام بكل صراحة وجرأة، وكذلك نجد أنَّ المفكرين المسلمين قد دافعوا عن المسيحيين

(١) راجع: كتاب «التبشير والاستعمار»، تأليف عمر فروخ ود. مصطفى خالدي، مرجع سابق، ص٣٥.

العرب وعن موقفهم من النشاط التنصيري، ومن هؤلاء أذكر «عبد الصبور مرزوق»، نائب رئيس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الذي أكد: «إن الكنيسة المصرية لم تلعب أي دور في دعم مخططات التنصير أو الاستعمار، بل تعاونت مع المسلمين لمواجهة الحملات الصليبية والتنصيرية الغربية التي تهدف إلى إضعاف روح الوحدة الوطنية وممارسة الاستغلال الاقتصادي»[1].

إن دفاع الدكتور عبد الصبور مرزوق عن المسيحية العربية لم يأتِ من فراغ، بل استند إلى حقائق تاريخية، فكل من ينشط ذاكرته التاريخية يدرك أن مقاومة حملات التنصير في مصر كانت عملاً شعبياً تمثلت فيه روح الكنيسة القبطية وطابعها الشعبي، وكانت مساندة علماء الإسلام تُعزز مقاومة الكنيسة لأنشطة المنصرين، ويؤيد هذه الحجة التي وقعها، في غُرة محرم عام «١١٥١هـ»، ستة من قضاة المحكمة الشرعية بناء على شكوى تقدم بها كبار القبط، وأشارت الحجة إلى أن المنصرين دأبوا على استمالة القبط ليدخلوهم في ملتهم لعدم دفع الجزية، وجاء في الحجة: إن كل من خالف الملة القبطية وانتقل إلى ملة الإفرنج يتعرض للابتعاد عن خدمة السناجقة وأغوات البلكات، كما يقع تحت التأديب. وجاء في كتاب «الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة» أن: «بعض البروتستانت تجرأوا في أسيوط على الهجوم على كنيستها ليلاً

(١) أعلن الدكتور عبد الصبور مرزوق موقفه هذا في «ندوة الإسلام والمسلمون في أفريقيا»، التي عقدت في صيف ١٩٩٨م في معهد البحوث والدراسات الإسلامية في جامعة القاهرة. راجع: جريدة «الجزيرة» السعودية، العدد ٩٤٧٩، تاريخ ٢٠ جمادى الأولى ١٤١٩هـ/ أيلول ١٩٩٨م.

وكسروا أيقوناتها، فشكاهم البابا «ديمتريوس الثاني» للخديوي فأصدر أمراً بنفيهم إلى البحر المحيط، فالتجأوا إلى قناصل الدول طالبين حمايتهم، فلُبيت طلباتهم ودُفع عنهم قصاص النفي».

وفي عام ١٨٦٥م سافر البطريرك «ديمتريوس» إلى أسيوط على باخرة نيلية وضعها الخديوي إسماعيل تحت إمرته، وعمل على الوقوف في وجه النشاط البروتستانتي وعلى منع الأقباط من إرسال أبنائهم إلى مدارس التنصير، وطاف الكهنة على البيوت يحرِّمون على كل أب إرسال أولاده إلى هذه المدارس، وأعلنت الحُروم الكنسية ضد من يرسل أولاده إلى مدارس الإرساليات أو حتى يزور مكتباتها أو يصادق أحداً من المنصرين(*).

وتزايدت عداوة الكنيسة القبطية طردياً مع نجاح المنصِّرين الأمريكيين، ويقدم القس «منسى يوحنا» في كتابه «تاريخ الأمة القبطية» نموذجاً للتصدي الكنسي، حيث ينقل ما دار في المقابلة بين القنصل الأمريكي والمنصِّر «جون هوج» مع البابا القبطي «ديمتريوس»، حيث طلب القنصل منه عدم معارضة البروتستانت الأمريكيين طالما أنهم لا يحملون سوى الإنجيل، فكان رد البابا عليه حاسماً إذ قال: «الإنجيل فقط؟ لماذا إذن حضروا إلى مصر وكلامهم المعسول... إنَّ الإنجيل موجودٌ لدينا من قبل أن يتم اكتشاف أمريكا.. نحن لا نحتاج إليهم هنا لتعليمنا.. نحن نعرف الإنجيل خيراً منهم». ولما نُصِّب «الأنبا كيرلس» الخامس بطريركاً في أوائل سبعينات القرن التاسع عشر، واصل مقاومته لإرساليات

(*) انظر: مقال جورج المصري، المنشور في جريدة «العربي» المصرية، عدد آب ١٩٩٦م، تحت عنوان «المسيحية العربية، مغزى التصدي للإرساليات التنصيرية».

التنصير الغربية وذهب إلى أسيوط، وكان موكبه من الباخرة إلى المدينة على نمط دخول المسيح إلى أورشليم مما أعطى دفعة جديدة لمقاومة المنصرين، وأمر البابا بتجريد كاهن من منصبه لسماحه لأخيه، المتخرج في المدرسة الأمريكية، بالخدمة في الكنيسة القبطية، كما أصدر أوامره بإحراق كل الكتب البروتستانتية في أسيوط، ثم سافر إلى «أبو تيج وأخميم» حيث أغلق مدرسة الإرساليات هناك. وبعد هذه الزيارة التاريخية نقص عدد تلاميذ مدارس التنصير من الأقباط، ولم يقف في وجه مقاومة البابا «كيرلس» إلا ما تؤديه تلك المدارس من خدمات بإنشاء الأقسام الداخلية، فضلاً عن تأييد بعض الأُسر ذات النفوذ بالصعيد لأنشطتها.

وهكذا لم يكن تصدي الكنيسة القبطية للتنصير مجرد رفض للوافد الغربي المتستر بالمسيحية، بل تجاوز ذلك ليكون عنصراً لحث الكنيسة على تشجيع الاستفادة من العلوم الحديثة وفتح المدارس وتوجيه الناشئة، والاستعانة بالعلم في تطوير الفكر ومقاومة التخلف.

وأخيراً، لا بد من التذكير بموقف الكاتب الماروني اللبناني سليمان البستاني، ففي كتابه «الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده»، والذي كتبه قبل ٩٠ عاماً، يتضح أن البستاني كان فخوراً بعثمانيته، ويرى أن الرعايا جميعاً في الهم سواء، فيقول: «علم المسيحي والمسلم والتركي والرومي أنهم جميعاً في الشقاء سواء، وأنه لا مناص إلا بالتعاون ونبذ الأحقاد والانضمام يداً واحدة لإعلاء شأن هذه الأمة»، ثم يخصص فيقول: «علم المسيحي على اختلاف نِحَلِه أنه مقيم في بلاد نشأ فيها أجداده من قبله، ولا فلاح له إلّا بكف

بصره عن التطلع إلى دور أوروبا، وبإلقاء يده في يد أخيه المسلم لإعلاء شأنهما معاً، وأما المسلم فقد علم هو الآخر أنه لا سبيل إلى كمٍّ أفواه الأجانب والأقارب ودرء الشبهات وتذليل العقبات والتفرغ إلى الصلاح العام إلا بمصافحة أخيه المسيحي والسير معاً في طريق ينعمان ويشقيان فيها معاً». وعن رأيه في مدارس التنصير يقول: «فمن أرباب تلك المدراس من يهتم ويسعى جهد طاقته إلى استمالة تلامذته إلى أمته ودولته، وهكذا نشأ الطلاب على اختلاف في الأفكار والمذاهب. وهكذا عمل الأجانب بطريق العلم على اقتسام عقولنا، كما عملوا بطريق السياسة على اقتسام بلادنا»[١].

---

(١) راجع: «قراءة في كتاب»، مقال أمين حسن، وهو تلخيص لكتاب البستاني، وهذا المقال منشور في مجلة العالم الإسلامي، العدد ١٥٤، ٢٤ يناير ١٩٨٧م، ص٧٨.

الفَصْلُ الثَّالِث

الأهداف الحقيقية للتنصير والاستعمار

ليست القضية، في الحقيقة، قضية دين يُراد إدخال الناس في حظيرته، بل القضية أخطر من ذلك بكثير. إن التنصير عبارة عن مؤامرة قديمة جديدة ومستمرَّة، ويُصر القائمون عليها على تحقيق أهدافهم في السيطرة على العالم الإسلامي الذي يملك مفاتيح السيادة العالمية، فهو ملتقى القارات من ناحية طرق المواصلات، وهو غني بالموارد والثروات الطبيعية، وكان العالم الإسلامي هو النقطة الفاصلة طوال فترة الحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي.

ومما يؤرق الغرب إدراكه بأن يقظة العالم الإسلامي ووحدة دوله سوف تُحدث تغييراً في مجرى التاريخ المعاصر، لذلك يعمل الغرب على احتواء العالم الإسلامي وإشعال الصراع والحروب بين دوله، واستنزاف الثروات الإسلامية ووضع حواجز جغرافية للفصل بين الشعوب الإسلامية، والسبب المباشر لكل هذا التآمر اعتقادهم بعالمية الإسلام، وبأنها حقيقة واقعة، وأن الزحف الإسلامي قادم لا محالة إلى حصونهم، بل بات يهدد أوروبا وأمريكا، من أجل هذا ولكل ذلك يعمل التنصير جاهداً وبكل ما أُوتي من قوة وجبروت لتحقيق الأهداف التالية:

الهدف الأول: النيل من الوحدة الإسلامية

يتوجس العالم الغربي خوفاً من اجتماع المسلمين تحت راية واحدة توحدهم على أساس من العقيدة الإسلامية، ولذلك يعمل المنصرون وأسيادهم في الغرب ما في وسعهم لخنق أي اتجاه إسلامي نحو الوحدة في مهده، تمشياً مع النظرية الاستعمارية «فَرِّقْ تَسُدْ».

فالوحدة الإسلامية هي نقطة الالتقاء بين أكثر من «١٣٥٠» مليون مسلم يوحِّدون الله في العالم، تجمعهم رابطة الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال/٦٣]. وبما أن رابطة الوحدة في الإسلام رابطة متينة فإن حلَّها يتطلب جهوداً ضخمة ومستمرة، لذلك عمل المنصِّرون وأسيادهم على تجنيد كل طاقاتهم لمواجهة هذه الوحدة، وذلك لاعتقادهم بأن وحدة المسلمين وتعاضدهم هو نذير هلاك وفناء لأمم الأرض قاطبة، كما يقول المستشرق لورانس براون في كتابه «الإسلام والإرساليات»: «إذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية يمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً. . .، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم سيظلون حينئذٍ بلا وزن ولا تأثير». أما القس «سيمون» فيقول: «إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية وتساعد على التملُّص من السيطرة الأوروبية، والتنصير عامل مُهم في كسر شوكة هذه الحركة». أما المستشرق المنصر[1] «مورو بيرجر» فيقول: «إن الخوف من العرب واهتمامنا بالأمة

(١) انظر: محمد محمد الدهان، «قوى الشر المتحالفة»، ص١٥.

العربية ليس ناتجاً عن وجود البترول بغزارة عند العرب بل بسبب الإسلام. يجب محاربة الإسلام للحيلولة دون وحدة العرب التي تؤدي إلى قوتهم، لأن قوة العرب تتصاحب دائماً مع قوة الإسلام وعزّته». ويقول المستشرق «لورانس براون»: «لقد كنا نُخَوَّفُ بشعوب مختلفة ولكننا ـ بعد اختبار ـ لم نجد مبرراً لمثل هذه المخاوف. لقد كنا نُخَوَّف من قبل بالخطر اليهودي، وبالخطر الأصفر، وبالخطر البلشفي، إلّا أن هذا التخوف كله لم يتفق وما تخيلناه. إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد، ثم رأينا أن البلاشفة حلفاء لنا، أما الشعوب الصُفر فهناك دول ديمقراطية كبرى تقاومها، ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته... إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي»[1].

والسؤال الآن: ماذا فعل المنصرون وأسيادهم لضرب الوحدة الإسلامية ولتهديم الإسلام الذي هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي؟ في الواقع لقد فعلوا الكثير الكثير وربما لم نعلم إلا القليل مما فعلوه ـ رغم كثرته ـ ومما فعلوه ونعرفه جميعاً هو تشجيع الفِرَق الضالة على الانتشار لضرب الوحدة الفكرية للمسلمين، وهذه لمحة سريعة عن الفِرَق والملل والمذاهب المنحرفة التي خلقها المنصرون في العالم الإسلامي بدعم من أسيادهم في الغرب:

١ ـ **البهائية**: لقد أسس هذه الحركة المشبوهة «علي محمد»،

---

(١) راجع: فروخ وخالدي، «التبشير والاستعمار»، مرجع سابق، ص١٨٤.

المولود بشيراز عام ١٩١٨م، وترى هذه الحركة: «أن هذا الوجود مظهر[1] من مظاهر الله، وأن الله هو النقطة الحقيقية، وكل ما في الوجود هو مظهر له»، أما الوجود في نظر المسلمين فهو صادر عن الله وفعل مخلوق له. وظلَّ الاعتقاد سائداً لفترات طويلة بأن البهائية طائفة من الطوائف المسلمة، لكن القراءة السريعة في فكرهم، من خلال الأقداس والإيقان والبيان والتسبيح والتهليل والألواح والكتب التي ألفها دعاة البهائية: كـ«البيان والبرهان» بجزأيه، و«الدليل والإرشاد للقاء رب العباد» و«الحجج البهية والدرر البهية» والموجز في شرح مصطلحات مجموعة ألواح حضرة البهاء وغيرها، تكشف أموراً خطيرة وحقائق مذهلة حول فكرة البهائية.

يقول الأستاذ «صالح عبد الله كامل» في كتابه «البهائية الفكر والعقيدة، حوار بين مسلم وبهائي»: «لقد اكتشفتُ، بعد قراءة فكر البهائية قراءة متأنية، أن هناك أناساً هدفهم الأصلي تضليل الآلاف من البشر بدعاوى باطلة لا أساس لها من سُنة أو قانون أو دليل في الواقع والحقيقة». ويضيف: «أرى أن هناك الآلاف من البهائيين قد ضُلِّلوا بلا ذنب أو جريرة، إذ لم تتح لهم فرصة الاطلاع على المصادر الإسلامية الصحيحة، ولم تتح لهم فرصة حقيقية للاطلاع على وجهة نظر موضوعية من جانب المسلمين في البهائية. فما زال الكثيرون يعتقدون أنَّ البهائية طائفة منشقة عن الإسلام أو طائفة منحرفة من المسلمين، والواقع أن البهائيين يزعمون أحياناً أنها ديانة جديدة قائمة بذاتها لا تمت للإسلام بصلة، وأحياناً أخرى يزعمون

(١) راجع: كتاب «الملل والنحل» للشهرستاني، و«الأعلام» لخير الدين الزركلي.

أنها امتداد للإسلام والديانات السماوية، والبهائيون يفعلون ذلك بهدف بذر بذور البهائية في أرض تلك الديانات لتبقى وتنبت وتؤتي ثمارها استدراجاً لأصحابها واستقطاباً لهم».

ولكن، ماذا يقول البهائيون؟ يقول زعيمهم حسين البهائي: «إن البهائية تدعو، من الناحية الاجتماعية، إلى المحبة ووحدة اللغة والأديان والسلام العالمي ومساواة الرجل والمرأة، لكنها خالفت الإسلام في قضايا تعدد الزوجات وأحكامه وأحكام الطلاق وكذا توزيع الميراث». ومن الناحية الشرعية، يقول الضال حسين البهائي: إن محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء وليس خاتم المرسَلين، وإن علي محمد الشيرازي هو الباب إلى المهدي المنتظر ثم هو المهدي المنتظَر نفسه ثم هو مجلى الله ومظهره، وأنه لا توجد قيامة ولا بعث بالمعنى المعروف في الأديان السماوية. ومن ناحية العبادات فقد أُلغيت الصلاةُ، كما يعرفها المسلمون، وابتدع «الباب» صلاة معينة، ثم جاء البهاء وغيَّرها بصلاة أخرى. والصيام جعلوه «١٩» يوماً تقع في آذار من كل عام، والزكاة ١٩٪ من قيمتها، والحج ليس له زمان وهو إلى الدار التي ولد بها مؤسس الحركة علي محمد الشيرازي.

وبكلمة موجزة فهذه الحركة تدعو إلى الشرك بالله وتنكر النبوة وتسُب الصحابة. وللبهائية علاقة وثيقة بالغرب وبالصهيونية وبإسرائيل، ويكفي أن أشير إلى أن المركز العالمي للبهائية يقع في حيفا قرب مركز دراسات الشرق الأوسط، وهو مركز استشراقي صهيوني مشهور.

٢ ـ **الحركة القاديانية**: أسسها «غلام أحمد»، المولود سنة ١٨٣٥م في الهند في مدينة قاديان، وقد أسس حركته بتشجيع من

المنصرين في الهند وبدعم كامل من السلطات الإنكليزية. يقول أحد زعماء القاديانية، وهو «ظفر الله خان»، في الباب الثامن من كتابه «الإسلام، معناه للإنسان الحديث»: «إن جميع أبعاد الحياة الإنسانية قد تغيَّرت، ولذلك يشعر جميع أهل العلم والفكر بضرورة وحي جديد». فهل هناك كفر وضلال أكثر من ذلك؟ وتدعو القاديانية للإيمان بالقرآن الكريم بعد هذا الضلال، ولكن القاديانيين قاموا بتفسير القرآن على هواهم وفقاً لتضليل زعيمهم «ميرزا غلام أحمد»، الذي زعم أنه نبي ووضع تفسيراً للقرآن ليناسب العصر الحاضر.

وقد روَّج المنصرون بضاعة هذه الحركة الفاسدة المضلِّلة التي تتخذ من ادعاء الإسلام ستاراً لبث سموم الدعاية ضد الإسلام عبر توزيع تفسير مضلٍّ للقرآن الكريم. ومن الجدير ذكره أنَّ بريطانيا، التي خلقت هذه البدعة، قامت بنشر أفكارها في كافة المستعمرات البريطانية وشجعتها على التغلغل في صفوف المسلمين ومخالطتهم، وتشجع القاديانيين على الادعاء بأنهم هم الذين يمثلون الإسلام خاصة في مستعمراتها، وسبب ذلك: أن القاديانيين قد أسقطوا الجهاد من معتقداتهم ودعوا إلى التعاون مع المستعمرين البريطانيين.

ولنعترف طائعين أو كارهين أنه على الرغم من أن البهائية والقاديانية صريحة في الكفر، ويعرف المسلم ذلك بمجرد النظرة الأولى، إلّا أن الدعم التنصيري لها وتمكينها من استخدام القنوات الفضائية وشبكة المعلومات «الإنترنت»، وتسخير وسائل الإعلام الأخرى لخدمة أفكار البهائيين والقاديانيين قد مكَّن هؤلاء الكفرة من توسيع نشاطاتهم، وساعدهم على الانتشار في إيران وباكستان

ووسط أفريقيا حيث يوجد الآن عشرة ملايين قادياني، وعلى رأسهم جماعة الأحمدية، ربيبة الاستعمار والصهيونية. ولقد كشف علماء الإسلام في باكستان عن مخطط قادياني للاستيلاء على «كشمير» على غرار الوطن القومي اليهودي في فلسطين.

بقي أن أذكر أن المحكمة العليا في جنوب أفريقيا قد رفضت دعوة القاديانيين لمساواتهم بالمسلمين، ويوجد معهد لتخريج دعاة القاديانية في غانا وقادة من كينيا وموريشيوس وسيراليون ونيجيريا[١].

٣ ـ بدعة النيتشرية: يقول المفكر الإسلامي جمال الدين الأفغاني: «النيتشر اسم للطبيعة، وطريقة النيتشر هي الطريقة الدهرية التي ظهرت في بلاد اليونان في القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد، وكان مقصد أرباب هذه الطريقة محو الأديان ووضع أساس الإباحة والاشتراك في الأموال والأبضاع بين الناس عامة». وفي رسالته الشهيرة «الرد على مذهب الدهريين» يقول الأفغاني: إنَّ كثيرين من مسلمي الهند تلوَّثوا بهذه البدعة التي بثَّها الإنكليز في بلادهم من حيث أنهم، أي الإنكليز، رأوها أقرب وسيلة للوصول إلى غرضهم وتأييد سلطانهم في الهند. وجد الإنكليز أنَّ الديانة الإسلامية تطلب من أتباعها أن يكونوا أصحاب الشوكة والسلطان في أوطانهم، ولاحظوا أن ذلك هو طبيعة الإسلام التي لا يمكن انسلاخه عنها ولا انتزاعها من فطرة أبنائه، ففكروا في أمر يضعف أثر هذه العقيدة في نفوسهم، فرأوا أن أيسر السُبل إلى نيل مرادهم هو نشر

---

(١) انظر: جريدة «الاتحاد»، ملحق حديث الصائم، عدد السبت ١٤ رمضان ١٤١٦هـ الموافق ٣ شباط ١٩٩٦م.

التعطيل(*) بين المسلمين، وأن الدعوة إليه أنفذ إلى قلوبهم من الدعوة إلى التثليث، ففتحوا مدرسة لنشر تعاليم النيتشرية وبث مبادئها في نفوس النشء المسلم، والواقع أن هذه المدرسة ساهمت في تضليل الكثيرين من الشباب وأصبحوا ملحدين، وانتشرت هذه التعاليم الإلحادية في أرجاء الهند كافة، ولكن تصدي الأفغاني لهذه البدعة أدى إلى انحسارها وتراجعها[1].

وخلال تصديه لهذه البدعة، أكد الأفغاني أن الإنكليز سعوا إلى جعل المسلمين دهريين ولم يسعوا إلى جعلهم مسيحيين لأنهم رأوا، بعد طول تجربة واختبار، أن دعوة المنصِّرين لمسلمي الهند بالنصرانية لم تنجح، وأن مساعيهم في نشرها كانت تذهب أدراج الرياح، لأنهم وجدوا أن المسلمين «نصارى وزيادة»، فهم يؤمنون بعيسى ابن مريم وأمه الصدِّيقة، وبجميع التعاليم المعقولة التي جاء بها السيد المسيح، «ويبرئونه وأمه من كل شَيْن» كما يبرئه المسيحيون (المؤمنون بنبوته لا بألوهيته).

٤ ـ **فرقة البريلوية**: تعد البريلوية فرقة من الفِرَق الصوفية المنحرفة، وقد نشأت هذه الفرقة في الهند في حضن الاستعمار الإنجليزي وبتدبير من المنصِّرين، والهدف منها ضرب العقيدة الإسلامية الصحيحة، ومؤسس هذه الفرقة هو «أحمد رضا خان بن تقي علي خان» ١٢٧٢ ـ ١٣٤٠هـ الموافقة ١٨٥٦ ـ ١٩٢١م، المولود في بلدة «بريلي» بولاية «الترابرديش» بالهند، وقد تتلمذ على

(*) **التعطيل**: مفهم خاص بأرباب علم الكلام الشارحين للقرآن، ويقصدون به وصف الله بصفات تتعارض وكماله وجلاله وقدرته.

(١) راجع: كتاب «جمال الدين الأفغاني»، «سلسلة اقرأ»، دار المعارف، مصر، تأليف عبد القادر المغربي، الطبعة الثانية، ص٧٠ ـ ٧٣.

يد غلام قادر بيك، الشقيق الأكبر لميرزا غلام أحمد، القادياني، ومن أبرز كتبه «أنباء للمصطفى» و«خالص الاعتقاد» و«دوام العيش» و«الأمن والعُلا لناعتي المصطفى» ومرجع الغيب والملفوظات، وله ديوان شعر «حدائق بخشش». ومن أشهر دعاة البريلوية: ديدار علي بريلوي وحشمت علي خان[1]، وأحمد يارخان «١٩٠٦ ـ ١٩٧١م» وكان شديد التعصب للفرقة، ومن مؤلفاته: «جاء الحق وزهق الباطل» و«سلطنت مصطفى».

ومن أفكارهم ومعتقداتهم تقديس الأنبياء إلى حد التأليه، ولديهم غلو شديد في تقديس شخصية عبد القادر الجيلاني، ويعظمون أئمة المتصوفة.

ومن معتقداتهم أن من يترك الصوم والصلاة يجد له خلاصاً، أما الطامة الكبرى والمصيبة العظمى في نظرهم فإنما تقع على من يتخلف عن الاحتفال بالمولد أو الفاتحة أو العرس، وهم يكفِّرون المسلمين من غير البريلويين لأدنى سبب، ويُطلقون العنان لألسنتهم في تكفير المسلمين لمجرد مخالفتهم في الرأي، وقد شمل تكفيرهم كل زعماء الإصلاح والتعليم ومحرري الهند من الاستعمار، ويعملون دائماً على شقِّ صفوف المسلمين وتوهين قوتهم وإضعافهم وإدخالهم في متاهات من الخلافات التي لا طائل تحتها، ومن ذلك إصرارهم على بدعة تقبيل الإبهامين عند الأذان ومسح العينين بهما، واعتبار ذلك من الأمور الأساسية ولا يتركها في نظرهم إلَّا مَنْ كان عدو الرسول ﷺ، ويزعمون أن من يفعل ذلك لن يرمد أبداً.

---

(١) انظر: جريدة «الجزيرة» السعودية، عدد الجمعة، ١ جمادى الأولى ١٤١٧هـ/ ١٣ أيلول ١٩٩٦م، رقم العدد ٨٧٥١.

تُصنَّف هذه الفرقة، من حيث الأصل، ضمن الملتزمين بالمذهب الحنفي لكنهم مزجوا عقائدهم بعقائد أخرى مأخوذة من النصرانية، كالاحتفال بالمولد النبوي على غرار الاحتفال بعيد رأس السنة الميلادية، وهم يُعلون شخصية النبي لتوازي الخرافات المنسوبة إلى شخصية عيسى عليه السلام.

وبسبب عيشهم ضمن القارة الهندية ذات الديانات المتعددة، فقد انتقلت أفكار من الهندوسية والبوذية لتمازج عقيدتهم الإسلامية، وانتقلت إليهم كذلك عقائد غُلاة المتصوفة ونظرياتهم في الحلول والوحدة والاتحاد حتى صارت هذه الأمور جزءاً من معتقداتهم، ومما يجدر ذكره أن هذه الفرقة الضالة أسقطت فريضة الحج.

انطلقت هذه الدعوة من «بريلي» في الهند لتنتشر في القارة الهندية كلِّها «الهند والباكستان»، ولهم وجود في إنجلترا إذ تسمى جمعيتهم هناك باسم «جمعية أهل السُّنة» وجمعية تبليغ الإسلام، ويقتصر نشاطهم هناك على تخريب أعمال الآخرين وإثارة القلاقل والفتن والفوضى بينهم، وبسببهم حدث اضطراب دموي بين المسلمين عام ١٩٨٠م، كما ذكرت جريدة الغارديان البريطانية في أغسطس ١٩٨٠م.

٥ ـ **العلمانية**: نشأت هذه الدعوة في أوروبا، وكما تذكر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الصادرة عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي: «إن هذه الدعوة عمَّت أقطار العالم بتأثير الاستعمار وحركيات التنصير والشيوعية». والمعروف أن العامل الأكبر المساعد في انتشارها في أوروبا هو العداء المطلق للكنيسة أولاً، حيث كانت الكنيسة متسلِّطة على جميع مناحي الحياة، وكانت الامبراطوريات الغربية تستند في جميع أحكامها

على صكوك تصدرها الكنيسة وتضطهد بقية الشعب، وكان القس يُصدر ما يسمى بصكوك الغفران «لحجز أماكن في الجنة لمن ترضى عنهم الكنيسة».

وكان التحجر الذي أصاب علماء الدين النصارى، كرفض العلم الحديث ومحاربة المكتشفين والمخترعين والعلماء حيث تم إحراق غاليلو، العالم الفلكي، مدَّعين معاداته للرب، فتكونت، على إثر تلك المواقف غير المنطقية، طبقة جديدة مثقَّفة ترفض كل ما يمت للدين المسيحي بصلة، حتى وصل الأمر بأحدهم إلى القول: «إن كلمة تُكتب في كتاب علمي تشير إلى الرب أو الغيب هي كافية لنفي هذا الكتاب في زبالة التاريخ». ونتيجة لهذا الصراع بين الكنيسة وبين الحركات الجديدة كانت ولادة الثورة الفرنسية ١٧٨٩م، وهي أول حكومة لادينية تحكم باسم الشعب(*).

ويعتبر الفيلسوف اليهودي «إسبينوزا» رائد العلمانية باعتبارها منهجاً للحياة والسلوك، كما استغل اليهود كتاب أصل الأنواع، سنة ١٨٥٩م، لتشارلز داروين، الذي يركِّز على قانون الانتقاء الطبيعي لبقاء الأنسب، وزعم في قانونه أن الجَدَّ الحقيقي للإنسان هو جرثومة صغيرة عاشت في مستنقع راكد قبل ملايين السنين، والقرود مرحلة من مراحل التطور التي كان الإنسان آخر حلقاتها، وقد أدت هذه النظرية إلى انهيار العقيدة الدينية المسيحية ونشر الإلحاد في الأوساط الأوروبية.

ثم جاء «نيتشه» وفلسفته التي تزعم بأن الإلّه قد مات، وأن

(*) اعتمدت في كتابة موضوع العلمانية على مجموعة من الدراسات والأبحاث يضيق المجال عن ذكرها.

الإنسان الأعلى «سوبرمان» ينبغي أن يحل محله، وكذلك رأى عالم الاجتماع «دوركايم» اليهودي ضرورة الجمع بين حيوانية الإنسان وماديته بنظريته «العقل الجمعي»، ومن ثم تبعه فرويد اليهودي الذي أسس نظرية الدافع الجنسي كأساسٍ لتفسير كل الظواهر الإنسانية، ولا ننسى «ماركس» اليهودي صاحب التفسير المادي للتاريخ، والذي اعتبر الدين أفيون الشعوب، واستطاع أتباعه تأسيس دولة أو دولاً تقوم مناهجها التربوية والتعليمية والسياسية على هذا المبدأ العلماني، ولمدة سبعين عاماً.

هذه العلمانية التي أرسى دعائمها اليهود تسرَّبت بعض أفكارها إلى العالم العربي والإسلامي بسبب جهود المنصرين وأسيادهم، فلقد أدخل الخديوي إسماعيل القانون الفرنسي سنة ١٨٨٣م إلى مصر، وكان هذا الخديوي مفتوناً بالغرب. وفي الهند كان يُحكم بالشريعة الإسلامية حتى عام ١٧٩١م، ثم بدأ التدرُّج من هذا التاريخ لإلغاء الشريعة بتدبير من الإنجليز والمنصرين، وانتهت تماماً في أواسط القرن التاسع عشر مع أفول نجم المسلمين وسطوع الهندوسية.

وقد انتشرت في العالم العربي أحزاب تتبنى الفكر العلماني المستورد من الغرب بغرض إقامة الدولة على أسس لادينية. وفي تركيا فرض أتاتورك، وهو من «يهود الدونمة»، العلمانية فرضاً على الشعب التركي المسلم منذ عام ١٩٢٣م وحتى اليوم. وهكذا انتشرت العلمانية في الديار الإسلامية بقوة الاستعمار وأعوانه من منصرين ومستشرقين وأُجراء محليين، وأدت هذه العلمانية إلى تفكك في الأمة الإسلامية وتشكيك في العقيدة الصحيحة وتشويه تاريخ أمتنا الناصع، وإيهام الجيل بأن هنالك تناقضاً بين العقل

والنصوص الشرعية، وعملت على إحلال النظم الوضعية محل الشريعة الإسلامية(*) والترويج للإباحية والتحلل الخلقي وانهيار القيم السامية.

وعن العلمانية انبثقت معظم الأفكار الهدامة التي غزت البلاد العربية والإسلامية تحت مُسمَّيات مختلفة، كالعنصرية والشيوعية والصهيونية والماسونية وغيرها، مما أدى إلى ضياع ثروات الأمة وتردي الأوضاع الاقتصادية، وساعدت على احتلال بعض ديارنا، مثل فلسطين، مما يدل على فشلها في تحقيق أي خير لهذه الأمة.

ومن الأفكار والمعتقدات التي حاولت العلمانية فرضها علينا:

١ ـ فرض نظام وضعي يقوم على أساس من الإلحاد يناقض الإسلام في جملته وتفصيله، ويلتقي مع الصهيونية العالمية والدعوات الإباحية الهدامة، لهذا فهي مذهب إلحادي يأباه الله ورسوله والمؤمنون، في حين أنَّ الإسلام هو دين ودولة ومنهج حياة متكامل، وهو الصالحُ لكل زمان ومكان، ولا يُقرُّ فصل الدين عن الحياة وإنما يوجب أن تصدر جميع الأحكام منه، وصبغ الحياة العملية الفعلية بصبغة الإسلام سواء في السياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع أو التربية أو الإعلام وغيرها باعتبار القرآن مصدراً تشريعياً وحياتياً شاملاً إلى جانب السُّنَّة المطهرة.

(*) **الشريعة الإسلامية**: مقارنة بالقوانين الوضعية، ليست هي القرآن نفسه كمنهاج للحياة بل هي مجموعة الآراء والاجتهادات التي خلص إليها فقهاء الإسلام واستنتجوها من صلب النص الإلهي (القرآن)، على هذا عندما يُطلق مصطلح الشريعة الإسلامية، مقارنة بالقانون الوضعي، يُراد منه مجموعة المبادئ الفقهية المقنَّنة التي استنبطها الفقهاء من النص الديني وليس النص نفسه، ومعلوم أن هذه المبادئ والآراء قابلة للتغيُّر (كما القانون الوضعي) باختلاف الأحوال والأزمان.

٢ ـ حاول العلمانيون، وبتوجيه من أسيادهم في الغرب، إقامة حاجز سميك بين عالمي الروح والمادة أو القيم الروحية، وحاولوا إقناع المسلمين بضرورة إنكار وجود الله ـ أو على الأقل بعدم وجود أية علاقة بين الله وحياة الإنسان ـ وأن الحياة تقوم على أساس العلم المطلق وتحت سلطان العقل والتجريب، وحاولوا إغراء المسلمين بتطبيق مبدأ النفعية «البراغماتيزم» على جميع مناحي الحياة، وحاولوا دفعهم لاعتماد مبدأ «الميكيافيلية» في فلسفة الحكم والسياسة والأخلاق، ونشر الإباحية والفوضى الأخلاقية وتهديم كيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البيئة الاجتماعية، وقد تمكن المنصِّرون وأسيادهم في الغرب من إيجاد طبقة مثقفة في العالم العربي والإسلامي مؤيدة للمذهب العلماني، وأصبح هؤلاء يدعون إلى:

١ ـ الطعن في حقيقة الإسلام والقرآن، باعتباره نصاً إنسانياً، والنبوة، باعتبار محمد ﷺ متقوِّلاً على الله ومدعياً إدعاءاً كاذباً بالنبوة.

٢ ـ الزعم بأن الإسلام جاء لمحاربة الوثنية والأصنام فقط وقد استنفد أغراضه.

٣ ـ الزعم بأن الفقه الإسلامي مأخوذ عن القانون الروماني، ونفي الأصالة التشريعية للقرآن والسُّنَّة.

٤ ـ الزعم بأن الإسلام لا يتلاءم مع الحضارة ويدعو للتخلف، أو هو سبب التخلف (من خلال إبراز قيم وتطبيقات فاشلة لا تمثل جوهر الإسلام).

٥ ـ الدعوة لتحرير المرأة وفق الأسلوب الغربي.

٦ ـ تشويه الحضارة الإسلامية وتضخيم حجم الحركات الهدامة في التاريخ الإسلامي، والزعم بأنها حركات إصلاح وتجديد.

٧ ـ تربية الأجيال تربية لادينية (بإبعاد العرب عن اللغة العربية لأنها وسيلة فهم القرآن).

٨ ـ اقتباس المناهج اللادينية عن الغرب.

وآخر دعوات العلمانيين في الوطن العربي كانت المطالبة بالسماح للأجانب، من غير المسلمين، المقيمين في بلدان الخليج بإقامة كنائس أو معابد بوذية كبادرة للتسامح الديني، واللافت للنظر أن الصحفي الذي طالب بذلك يكتب باسم الإسلام، ولم يتبين الكاتب ورطته إلّا عندما رد عليه أحد علماء الشرع الإسلامي موجهاً انتباهه إلى الحديث الشريف: (لا يجتمع في جزيرة العرب دينان).

بقي أن أذكر أنه من الضروري على ولاة الأمر من المسلمين فضح أساليب العلمانية وأهدافها وتحذير المسلمين من مخاطرها، واتخاذ التدابير اللازمة لوقايتهم منها، وعلى العلماء نشر جهودهم الدعوية بكشف العلمانية والتحذير منها، وضرورة وضع خطة تربوية إسلامية في المدارس والجامعات ومراكز البحوث وشبكة المعلومات من أجل «صياغة واحدة»، وخطاب تربوي واحد، وضرورة الاهتمام بإحياء رسالة المسجد والعناية بالخَطابة والوعظ والإرشاد وتأهيل القائمين عليها تأهيلاً يستجيب لمقتضيات العصر، والرد على الشبهات والحفاظ على مقاصد الشريعة(*) الغرّاء، ولا بد

(*) **مقاصد الشريعة**: يمكن تعريفها على أنها روح الدين، وجوهره العناية بمصالح الناس عامة والمكلفين خصوصاً بما يحقق المنفعة ويدرأ الأضرار، والموازنة بين هذين العنصرين عند تقدير الأحكام وإطلاقها؛ وبمعنى آخر هي الاستناد على الحكمة من التشريع (القرآن والمصادر الأخرى) وليس الوقوف عند حرفية النص (حين يسبب إعماله بحرفيته حرجاً للمكلف).

أخيراً من التنبيه للدور اليهودي في ترسيخ العلمانية من أجل السيطرة ومن أجل إزالة الحواجز الدينية التي تقف أمام اليهود حائلاً بينهم وبين أمم الأرض.

وأخيراً، إذا كان هنالك عذر ما لوجود العلمانية في الغرب فليس هناك برأينا أي عذر لوجودها في البلدان العربية والإسلامية، وأحب تذكير العلمانيين في دول العالم الثالث أنهم أخذوا من العلمانية قشورها وتركوا لُبَّها لأوروبا، وذلك لأن علمانية أوروبا تلغي فوارق العقائد الدينية بين الناس باعتبار الكل سواسية في المواطنة والخضوع للقانون، بينما علمانية العالم الثالث، ومنها دولنا العربية والإسلامية، أصبحت عقيدة إلحادية تلغي عقائد الناس الدينية، بل تتدخل في أخص خصوصيات الناس كسيف مُصلت على حريات البشر.

يضاف إلى هذه البدع والمذاهب الهدامة، التي جاء بها المنصرون إلى العالم العربي والإسلامي، أنهم صدَّروا لنا المذهب الوجودي الذي أسَّسه الفيلسوف «كيركيجارد» ١٨١٣ ـ ١٨٥٥م، ومن أشهر أقطابه «نيتشه» والفيلسوف الفرنسي «جان بول سارتر» المولود عام ١٩٠٥م، والذي يُعدُّ زعيم الوجودية(*) المعاصرة، وقد ألف كتباً تمثل مذهبه، مثل «الوجودية مذهب إنساني» و«الوجود والعدم» و«الذباب والباب المغلق»، والهدف من نشر الفكر الوجودي في بلادنا العربية والإسلامية هو نشر الإلحاد وخدمة

(*) **الوجودية**، بالمعنى الأعم: فلسفة ترى أن الوجود سابقٌ على الماهية؛ وبالمعنى الأخص: يذهب (سارتر) إلى أنها تقوم على الحرية المطلقة التي تمكِّن الفرد من أن يصنع نفسه ويتخذ موقفه كما يبدو له، تحقيقاً لوجوده الكامل.

الصهيونية لأن الفكر الوجودي ارتبط دائماً بالصهيونية، وظهر ذلك بشكل جلي في دفاع مُنظِّر الوجودية «جان بول سارتر» عن إسرائيل والصهيونية والفكر الصهيوني.

ومما يجدر ذكره أن شيوع الفكر الوجودي في بعض الأوساط العربية والإسلامية قد أدى إلى الانحلال والفوضى والفساد، فالوجود هو ما يلبي احتياجات وغرائز وشهوات الإنسان، ولكن والحق يقال: إن الوجودية لم تنتشر انتشاراً واسعاً في مجتمعاتنا ولكنها استطاعت العثور على بعض المثقفين ليكونوا بوقاً لها ووسيلة لنشر سمومها وخاصة في مصر، وهذه لمحة سريعة من أفكار أحد الوجوديين العرب(*):

«إما أن تقول بالأخلاق فتفقد ذاتك، وإما أن تقول بأن لا أخلاق فتخاطر بوجودك، لكن الوجودي الحق هو الذي يفضِّل أن يخاطر بوجوده على أن يفقد ذاته»، «إننا ـ معاشر الوجوديين ـ لا نريد أن نتسامى في أحلام البراءة والبكارة والطهارة بل نصيح ملء فينا: افعلوا ـ افعلوا، حتى لو أدى ذلك إلى الخطأ...»[1].

ومن الجماعات التي شجعها المنصرون والصهاينة جماعات كثيرة لا مجال لتعدادها، اعتمد بعضها على مذهب أهل الإرجاء المزعوم، ويعتبرون القرآن الكريم ليس كلام الله الحقيقي، ويجيزون الاستغاثة بالأموات مع الله، ويرون وجوب تأويل النصوص، وعلى هذا فإن هذه الجماعات ضالَّة وخارجة عن إطار الشرع الإسلامي

(*) هو عبد الرحمن بدوي.

(١) راجع: كتاب «ظلام من الغرب»، تأليف المرحوم الشيخ محمد الغزالي، الناشر: دار الكتاب العربي بمصر، الطبعة الأولى ١٣٧٥هـ/ يناير ١٩٥٦م، ص١٠٨.

بسبب اجتهاداتها المُستندة للخلط بين اعتقادات الجهمية والمعتزلة والصوفية والقبورية.

ومن الدعاوى الخبيثة والشيطانية التي تروج لها بعض الفئات الضالة أيضاً أذكر الجماعة الجديدة التي ظهرت في أوائل عام ١٩٩٩م، والذين يسمون أنفسهم بـ«القرآنيين» التي يدعون فيها إلى الاكتفاء بالقرآن فقط وإنكار السُّنَّة(*) تماماً، وهدفهم ضياع الإسلام وتقويضه، سواء عن جهل أو تعمد، لأن الشيطان زيَّن لهم أعمالهم. وفور ظهور هذه الجماعة انبرى رئيس جامعة الأزهر، الدكتور أحمد عمر هاشم، للتصدي لها، ومما قاله في هذه الجماعة[١]، في تصريح له لصحيفة المدينة السعودية: إن هذه الجماعة مدسوسة وتسعى لتشويه الإسلام. وبيَّن أن القرآن الكريم جاء بالقواعد العامة والكليات، والحديث النبوي فصَّل هذا أو شرحه وبيَّنه، وأن القرآن جاء بالتوجيهات مثل الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد والبيع والشراء والزواج وغيرها من الأمور، لكنها تحتاج إلى تفصيل ليس في القرآن، كعدد الركعات وكيفية الصلاة والصيام والزكاة، وهذا ما قامت به السُّنّة النبوية. وأشار إلى أنه من أجل ذلك أمر الله أن نتبع الرسول ﷺ فقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر/٧]، كما

(*) **السُّنة**: مصدر تشريعي إلى جانب القرآن الكريم، وعلاقتها به هي علاقة شرح وبيان وتفصيل. يراجع في هذا الصدد: مؤلفات أصول الفقه الإسلامي التي تبيِّن ذلك في أمثلة كثيرة. . . ولا يخفى على القارئ أن أهم أركان الإسلام، وهي الصلاة، قد جرى تفصيلها بالسنَّة الشريفة لأن الأمر بها جاء مجملاً في القرآن.

(١) راجع: جريدة «الاتحاد» الظبيانية، عدد الجمعة ٣٠/ ٤/ ١٩٩٩م، وأيضاً: جريدة «القبس» الكويتية، عدد الجمعة ٣٠/ ٤/ ١٩٩٩م.

حذرنا الرسول من ترك السُّنَّة، فقال: (عليكم بسنتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضُّوا عليها بالنواجذ)، وقال عليه الصلاة والسلام: (تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا أبداً، كتاب الله وسُنَّتي). ثم فنَّد الدكتور هاشم الحجج التي يحتج بها من يسمون بـ«القرآنيين» مثل قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام/ ٣٨]، وقولهم إن الرسول ﷺ قال: (ما جاءكم مني فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه فأنا قلته وما خالفه فلم أقله)، فأوضح أن الآية الأولى تشير إلى أن القرآن يبين أمور الدين بالنص الذي ورد فيه بالإحالة على السُّنَّة، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل/ ٤٤]، ولو لم يكن كذلك لتناقضت هذه الآية مع الآية الأولى، والتناقض مستحيل في كلام الله.

وأما الآية الأخرى، وهي قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ فالمقصود بالكتاب هذا اللوح المحفوظ، بدليل السياق السابق ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام/ ٣٨] وأما الحديث الذين يتمسكون به فهو من الأحاديث المدسوسة والموضوعة، ولو صح سنداً فإنه لا يفهم من متنه ما أرادوا طرحه، فإن تفصيل وشرح وتبيان السُّنَّة النبوية لأحكام القرآن لا يعتبر مخالفة لكتاب الله، بل إن إنشاء السُّنَّة المطهرة لأحكام تفصيلية جديدة متممة لأحكام القرآن لا يعتبر مخالفة للقرآن الكريم.

وأخيراً، لا بدَّ من الإشارة إلى بعض نتائج التطبيع بين العرب والصهاينة. فبالإضافة إلى تصدير المنصرين والصهاينة عبادة

الشيطان إلى مصر، فهناك في مصر من ادعى الألوهية، وهو «محمد إبراهيم محفوظ» وادعى النبوة، وله أتباع بلغ عددهم «١٨» شخصاً، وقالت النيابة العامة المصرية إنه قد تم ضبط المتهمين يوم ١٣ ديسمبر ١٩٩٨م لدى اجتماعهم المعتاد في مسكن مدعي النبوة والأُلوهية، وكشفت تحقيقات الأجهزة الأمنية المصرية أن هذا المدعي المدسوس، والمدفوع من قِبَل المنصِّرين والصهاينة قد أحلَّ لزوجته الفجور وممارسة الربا وابتزاز مريديه، وأنه يدعو مريديه للسجود له وترك قراءة القرآن الكريم، وأنه أباح لنفسه نساء أتباعه بعدما أخبرهم أنه لا يؤمن أحدهم حتى يكون هو ـ أي المدعي ـ أحبَّ إليه من نفسه وماله وزوجه. كما كشفت التحقيقات الأمنية أن هذه الجماعة الضالة أسقطت فريضة الحج وأجازت إقامتها في مسكن مدَّعي الألوهية، وأنها قصرَت الصلوات على ركعتين فقط، وأسقطت فريضةَ الصيام والسُنن والنوافل، وسمحت بالربا وشرب الخمر وتعاطي المخدرات ولبس الذهب للرجال. ومن أطرف الأمور أن المريدين المذكورين يزعمون حلول ذات الله العليا وروح الرسول ﷺ في المخبول «محمد إبراهيم محفوظ»، وقد وجهت النيابة المصرية للمتهمين تهم استغلال الدين الإسلامي في الترويج والتجنيد لأفكار متطرفة بقصد إثارة الفتنة وتحقير الدين والازدراء به والإضرار بالسلام الاجتماعي[1].

ولجأ المنصِّرون والمستعمرون إلى وسائل أخرى للنيل من

---

(١) انظر: جريدة «القبس» الكويتية، و«الاتحاد» الظبيانية، و«البيان» الصادرة في دبي، عدد ٢٦/٣/١٩٩٩م.

الوحدة الإسلامية، فخلقوا الاتجاه الإقليمي خاصة في الوطن العربي، وهذا الاتجاه يدعو إلى تجاهل الروابط الحضارية التي تشكّل محور الكيان القومي للمجتمع العربي، وحاولوا أن يقيموا على أنقاضها روابط أخرى تشكل عدداً من المحاور تدور حولها كيانات أصغر ينقسم إليها الكيان القومي العربي. وحسب رأي دعاة الإقليمية فإن كل قسم من أقسام الوطن العربي يمثل كياناً قائماً بذاته، وقد كان هذا التيار يمثل في حقيقته مجموعة من التيارات الفرعية التي تتوازى أحياناً، وتلتقي أو تتداخل أحياناً أخرى، ولكنه في عمومه يتخذ نُقط ابتدائه من منطلقات ثلاثة:

الأول: هو العنصر أو الجنس، أو الأصل المشترك الذي ينادي أصحابه بأن المجتمع الواحد الذي يصلح لأن يكون له كيان قومي واحد لا بد أن ينحدر أفراده من أصل واحد، وبما أن الوطن العربي يضم مجموعة من الأجناس، فالمجتمع القومي العربي يصبح على هذا الأساس أمراً غير وارد، ومن هنا وافتراضاً من جانب هؤلاء الدعاة بأنه توجد أجناس نقية يمكن تحديدها وتحديد المناطق التي تنتمي إليها، فالوضع السليم هو أن ينقسم الوطن العربي إلى مجموعة من المجتمعات على أساس من الجنس أو العنصر.

أما **المنطلق الثاني**: فهو البيئة الجغرافية، ومؤدى الآراء التي ظهرت في هذا المجال أن كل منطقة عربية لها ظروفها وحدودها الجغرافية الخاصة بها، وهذه الظروف والحدود تطبع سكان كل قسم بطابع خاص يميزهم عن غيرهم في تكوينهم الاجتماعي والفكري والبشري، بحيث تقوم داخل كل قسم أمة مستقلة لها أوصافها وميزاتها الخاصة، ومن ثم يصبح لها الحق الطبيعي في أن يكون لها كيان قومي خاص.

أما **المنطلق الثالث**: فهو نظرية «إرادة التعايش المشترك»، وجوهر هذه النظرية الإقليمية أنه إذا رغبت مجموعة من السكان القاطنين منطقة معينة، لأسباب خاصة بهم، أن يعيشوا سوياً في مجتمع خاص بهم فليس لغيرهم الحق في التدخل في شؤونهم أو حتى أن يطالبهم بالتنازل عن الكيان المستقل لهذا المجتمع وإذابته في كيان أكبر لأي سبب من الأسباب.

وهكذا أوجد المنصّرون وأسيادهم فلسفة إقليمية خاصة، وأصبح لها دعاة من العرب أنفسهم، ومن بين الدعوات التي ظهرت في هذا المجال دعوة الفينيقية والفرعونية والآشورية ودعوات الأكراد والزنوج والبربر[1]، وقد ذهبت هذه الدعوات الإقليمية وأصبحت هشيماً، ولم تعد تشكل خطراً على الوطن العربي أو العالم الإسلامي فيما عدا الدعوة إلى البربرية وإحياء اللغة الأمازيغية، وسأتوقف قليلاً عند هذه الدعوة التي تشكل خطراً على وحدة وتماسك أقطار المغرب العربي.

بعد فشل المستعمر الفرنسي في زعزعة عقيدة الإسلام في نفوس المسلمين في المغرب، أخذ المستعمرون يضربون على نغمة بربري وعربي، وعملوا على إحياء اللغة البربرية وعلّموها ضباطهم وأولادهم؛ ولتعزيز التفرقة بين العرب والبربر أصدروا في ١٦ مايو عام ١٩٣٠م ما يعرف بالظهير البربري، والظهير باصطلاح أهل المغرب هو المرسوم الملكي، وقد حاولوا بوساطة هذا الظهير سلخ البربر عن الإسلام وعن العرب بعد أن عجزوا في ذلك عن طريق

---

(١) للمزيد من الاطلاع على أمثلة الاتجاهات الإقليمية في الوطن العربي يمكن مراجعة كتاب «الكيان العربي» للدكتور عبد الوهاب يحيى، ص١٢٤، ١٢٥، دون ذكر دار نشر.

التنصير والترغيب والترهيب، ومما جاء في المادة الأولى من هذا الظهير قوله[1]:

ـ جميع القضايا التي تحدث في القبائل البربرية، والتي هي من اختصاص القُوَّاد «من موظفين وإداريين في الأرياف» في التشريع الإسلامي يرجع الفصل فيها بعد الآن إلى رؤساء القبائل.

وفي المادة الثانية جاء: تخضع المعاملات المدنية والتجارية والعقارية، وما يتعلق بالأملاك المنقولة للتشريع الخاص المُسمى بالعادات القبلية.

ونصت المادة الثالثة على إنشاء محاكم عرفية استئنافية للبربر، وكانت حجة فرنسا، في إصدار هذا الظهير، أن البربر مظلومون من قِبل العرب، وأن العرب أجبروهم على اعتناق الإسلام ولغته، ولذا فلا يجوز استبداد الأقلية العربية بالأكثرية البربرية، وأغرب ما في الأمر أن البربر لم يطلبوا هذا الإنصاف من الإفرنسيين لأنهم مسلمون، كما أن البربر أقاموا دولتين قويتين «المرابطين والموحدين»، وكان ملوك الدولتين قادرين على إنصاف أنفسهم ولكنهم لم يفتعلوا أي مشكلة مع العرب لأنهم لم يشعروا بأي تعصب أو تمييز مارسه العرب بحقهم. واليوم تقوم دوائر التنصير والسياسة في الغرب بتشجيع البربر على المطالبة بالاعتراف بلغتهم الأمازيغية كمقدمة للحصول على كيان مستقل.

الهدف الثاني: محاولة النيل من القرآن الكريم

أدرك المنصرون، ومن ورائهم دوائر الغرب الاستعمارية، أنهم

---

(١) انظر: كتاب «المغرب العربي» تأليف إحسان حقي، من منشورات دار اليقظة العربية، بيروت، ص١٦٨، ١٦٩، دون ذكر لتاريخ النشر.

المهزومون في المواجهة مع المسلمين، وأرجعوا ذلك إلى أن القرآن الكريم، الذي يسوس مئات الملايين من المسلمين، هو العقبة التي يجب أن يتعاون الجميع لإزالتها من طريق الغرب للوصول إلى الشرق الإسلامي والسيطرة عليه.

ففي الجزائر مثلاً عجز المستعمرون، رغم وجود مئات البعثات التنصيرية ورغم وجود مئات الألوف من الجنود، أن يحققوا مآربهم في استغلال الثروة وفي استعباد الشعب، أو حتى في زعزعة عقيدته الإسلامية رغم إطباقهم على صدور الشعب الجزائري المسلم لأكثر من «١٣٠» عاماً، ولم يجد الفرنسيون تعليلاً لفشلهم سوى ما قاله الحاكم الفرنسي في الجزائر بعد مائة عام من احتلالها: «يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي[*] من ألسنتهم حتى ننتصر عليهم»[١]. وقد استطاع الفرنسيون اقتلاع اللسان العربي في الجزائر إلى حد بعيد، لكنهم وقفوا عاجزين أمام القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومعنى ذلك أن فرنسا ومن ورائها حلف الأطلسي بكامله لن تستطيع السيطرة على الشرق، كما يقول «غلادستون»: «ما دام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ولا أن تكون هي نفسها في أمان»[٢].

(*) ندرك أهمية اللغة العربية كوسيلة لفهم القرآن وتحكيمه على حياة الناس، ولهذا نجد بوناً كبيراً وشاسعاً بين القرآن، ككتاب لغوي أصيل، وبين تطبيقات الشعب العربي المكلَّف بحفظه ودراسته، وهو في الحقيقة بعيد عن تفهُّم وتذوُّق لغته.

(١) انظر: مجلة المنار، عدد ٩/١/١٩٦٢م.

(٢) انظر: محمد أسد، «الإسلام على مفترق الطرق»، ص٣٩.

وحيث أن الأمر كذلك فإن المنصِّرين قد أعلنوا غاراتهم على القرآن الكريم فحقروه في نفوس المسلمين ونسبوا تخلفهم عن ركب الحضارة إليه، كما ألَّبوا عليه الحاقدين وامتهنوه في نفوس الآخرين آملين أن يصلوا بذلك إلى إشفاء غليلهم وتحقيق هدفهم بالقضاء على هذا الدستور العظيم. وكثيراً ما استصرخ المنصرون والمستشرقون للتخلي عن هذا القرآن كشرط أولي للحاق بالحضارة الغربية، ومن هؤلاء المنصِّر المستشرق «وليم جيفورد بالكراف» صاحب مقولة: «متى توارى القرآن ومدينة مكة من بلاد العرب أمكننا أن نرى العربي يتدرج في سلم الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه»[(١)]. ولما عجز المنصرون والمستشرقون في تغيير اعتقاد المسلمين في كتابهم لجأوا إلى سبيل آخر من الإغارة والتشكيك بالقرآن الكريم وذلك بالانتقاص من قيمته العلمية أو نفيها كلياً، وبذلك يصبح القرآن نفسه سلاحاً ضد أهله، على حدِّ تعبير المنصِّر «جون تاكلي»، الذي قال: «يجب أن نستخدم كتابهم - أي القرآن الكريم - وهو أمضى سلاح في الإسلام ضد الإسلام نفسه لنقضي عليه تماماً، يجب أن نُري هؤلاء الناس - المسلمين - أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد فيه ليس صحيحاً»[(٢)].

وبالفعل جرت محاولات جادة للتشكيك في القرآن والطعن فيه وفي مصداقيته وذلك لإبعاده عن حلبة الصراع، ولكن الفشل كان

---

(١) انظر: محمد محمد الدهان، «قوى الشر المتحالفة»، مرجع سابق، ص٢٨.

(٢) خالدي وفروخ، «التبشير والاستعمار»، مرجع سابق، ص٤٠.

حصاد كل من سلك هذا السبيل قديماً وحديثاً، فبقي القرآن الكريم، رغم كثرة الغارات والسهام الموجهة إليه، موئل المسلمين وموردهم الأول والأخير مما دفع المغيرين على الإسلام إلى العزف على قيثارة أخرى وهي قيثارة التخويف والنذير من خطر هذا الكتاب لإبعاد الناس عنه.

يقول «غلادستون»، كبير وزراء بريطانيا في القرن التاسع عشر: «إن العقبة الكؤود أمام استقرارنا بمستعمراتنا في بلاد الإسلام شيئان، ولا بد من القضاء عليهما مهما كلفنا الأمر، أولهما: «هذا الكتاب» ـ يعني القرآن الكريم ـ، ثم سكت قليلاً واتجه نحو المشرق وأشار بيده اليسرى وقال: «وهذه الكعبة». وهكذا ينظر المنصِّرون والمستعمرون إلى هذا القرآن على أنه العدو اللدود الذي يجب التخلص منه مهما كلف ذلك من تضحيات.

ومن هذا المنطلق حاول الغرب أن يقتلع القرآن من صدور المؤمنين، وفعلاً ضحى في سبيل ذلك بالغالي والنفيس من الثروات والقوات والمعدات التي دُفنت تحت تراب عالمنا الإسلامي.

وعاد القوم بخفي حنين لا يلوون على شيء مما كانوا يأملون تحقيقه، ومرد ذلك أن القرآن الكريم كان ولا يزال أقوى وأقدر على التحدي من هذه الكيانات البشرية المفككة، كيف لا وقد اعترف الأعداء بذلك، أوَليس الحق ما شهدت به الأعداءُ؟ لقد كانت آخر كلمة يعلل بها «لاكوست»، وزير المستعمرات الفرنسي، فشل قواته في المغرب العربي: «ماذا أفعل إذا كان القرآن أقوى من فرنسا»[١].

---

(١) انظر: جريدة «الأيام»، العدد ٧٧٨٠، ٦ كانون الأول ١٩٦٢م.

الهدف الثالث: محاربة اللغات الشرقية، وفي المقدمة اللغة العربية

شنَّ المنصِّرون والقوات الاستعمارية غارات على اللغات الشرقية السائدة في العالم الإسلامي، ولكنهم ركزوا غاراتهم بالدرجة الأول على اللغة العربية بدعوى أنها أصبحت متخلِّفة عاجزة عن مسايرة الركب الحضاري والتقدم العلمي والتطور التكنولوجي، ولم تخمد، وحتى اللحظة، رياح الهدم والتشكيك التي هبت على هذه اللغة، ولعل بواكير هذه الرياح كانت الدعوة إلى العامية، وقد تزعم هذه الدعوة المنصرون والمستشرقون من أمثال الألماني «فلهلم سبيتا» والإنجليزي «وليام ويلكوكس» والألماني «كارل فولرس» والإنجليزي «ولمور» واللورد «فرين» البريطاني، ثم ارتسم مراسم هؤلاء من أبناء جلدتنا الذين تربوا على موائد الغربيين ورضعوا من ألبانهم وتخلَّقوا بأخلاقهم، من أمثال: لطفي السيد، ومارون غصن، وسلامة موسى، ولويس عوض، وأنيس فريحة، وأنطون مطر، وسعيد عقل وكثيرين غيرهم[1]. واليوم يعود فرسان الحداثة العربية المعاصرة ليحملوا راية هذه الدعوة ويرفعوها معلماً بارزاً من معالم حداثتهم، وقام بعضهم بكتابة قصصه باللغة العامية، وفي مقدمة هؤلاء: القاضي المصري يوسف القعيد، حيث كتب رواية «لبن العصفور» عام ١٩٩٤م باللغة العامية، ثم عبَّر، في بيان نشره في جريدة أخبار الأدب، يوم ١٥ أيار ١٩٩٤م، عن فرحته العارمة بهذا الفتح العظيم الذي حققه. وكذلك حذا حذوه إدوار الخراط من مصر وأصبح يكتب شعره بالعامية، أمَّا لويس عوض فقد أعلن أن الحداثة لا تتحقق إلا بكسر شيئين هما: عمود الشعر القديم وعمود اللغة،

(١) راجع: نذير مكتبي، «الفصحى في مواجهة التحديات» ص١١١ ـ ١٤٦.

وكتب قصائده بالعامية، وقد أشاد غالي شكري بشعراء العامية في مصر ولبنان كـ«بيرم التونسي» وفؤاد حداد وصلاح جاهين والأبنودي وميشال طراد وموريس عواد وسعيد عقل وغيرهم، ورحب بتجاربهم أعظم ترحيب، ويراها، على مذهب أهل الحداثة، تجارب عظيمة جديرة بالدرس والاحتذاء[1].

وقد علل أعداء الفصحى لجوءهم إلى العامية بأسباب وحجج واهية منها:

١ ـ أن العامة لا تفهم الفصحى.

٢ ـ كتابة الأدب بالفصحى تبعده عن الواقع.

٣ ـ أن ازدواجية اللغة، فصحى وعامية ولغة مكتوبة ولغة محكية، تحدث إرباكاً في الفكر وتشويشاً في الفن، وتضع برزخاً في وجه الإبداع الأصيل[2].

أما حداثة اليوم فتضيف إلى هذه الحجج الواهية حججاً ومزاعم أخرى منها:

١ ـ أن العامية لغة حيوية متدفقة تصلح للأدب والفن، وهي لا تقل عن الفصحى طاقات وإمكانات إن لم تتفوق عليها.

٢ ـ أن العاميات هي اللغة الحديثة للشعب العربي.

ماذا يعني ذلك؟ إن ذلك يعني أن دعاة الحداثة يقولون بملء الفم وصريح العبارة: «إن اللغة العربية الفصحى قد غدت تراثاً وهي لا تصلح لغة أدب حي متدفق، والعامية هي التي تصلح لذلك».

وللقارئ الكريم أن يتخيل، في هذا المناخ الذي تمر به أمتنا من

---

(١) انظر: «شعرنا الحديث إلى أين؟»، ص٥٨ ـ ٧١.

(٢) انظر: مجلة «الفيصل»، العدد ٢٢٤، ص٢٧، مقال «الدعوة إلى العامية من يوقظها؟»، د. وليد قصاب.

تناحر وتناقض، وفيما يُدبر لها ويُتربص بدوائرها، كم يمكن أن تكون العامية، زيادة على فُيول(*) حججها من الناحية الفنية، عامل تصديع وهدم في جدار الأمة العربية، وعازل يعزل العرب عن بعضهم البعض وعن المسلمين أجمعين، ويحرمهم من الانتفاع والتأثر بالإبداعات المختلفة في عالمهم الإسلامي الكبير. إنَّ النجاحات التي حققها الحداثيون في تجاوز الفحصى واللجوء إلى العامية ينذر بالخطر ويهدد اللغة العربية، لغة الدين والقومية، ويعرض آخر الحصون العربية المنيعة إلى التصدع، ويهدد آخر مرفأ يمكن أن ترسو على شاطئه سفينة العرب التائهة الحيرى التي تتجاذبها رياح التنصير والاستشراق والعولمة، فمتى يفيق العرب من غفوتهم وينهضون من كبوتهم ويهبون للدفاع عن لغتهم المقدسة؟

الهدف الرابع: تشويه التاريخ الإسلامي

وُصِف الجهاد بأنه قتل هدفه السيطرة والمغانم، والزعم بأن الإسلام لم ينتشر إلا بالسيف والقوة والبطش والإكراه، وأرى أن هذا الزعم السخيف لا يستحق الرد عليه رغم وجود آيات قرآنية عديدة توضح أن لا إكراه في الدين، ورغم وجود وقائع تؤكد أن المسلمين لم يعتدوا على أحد وأن حروبهم كانت حروباً دفاعية مشروعة، وبالتالي فإن الزعم أن الإسلام قد انتشر بالسيف هو أكذوبة لا يصدقها حتى الذين يزعمونها، بدليل أن أغلب المسلمين في العالم هم في البلاد التي لم يحدث فيها فتح، فأكبر بلاد الإسلام هي نيجيريا وأندونيسيا، ولن أجهد نفسي في سرد الآيات والأحاديث الشريفة والوقائع التاريخية التي تؤكد أن الإسلام انتشر

(*) **فيول**: يعني الضعف.

بالحب والسلام والأمان، وسأكتفي بعرض آراء بعرض المفكرين من غير المسلمين، لنرى رأيهم في هذا المجال.

يقول الكاتب الغربي الكبير مؤلف كتاب «الأبطال وعبادة البطولة»، وهو «توماس كارليل» واصفاً النبي محمداً عليه الصلاة والسلام: «إن اتهامه بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم». أما السير «توماس أرنولد» فيقول: «إذا نظرنا إلى التسامح الذي امتد على هذا النحو إلى رعايا المسلمين من المسيحيين في صدر الحكم الإسلامي، ظهر أن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق»[1]. أما الدكتور صفوت البياضي، رئيس الطائفة الإنجيلية بمصر، فقال: «إذا تابعت بعض الغزوات[2] أو الفتوحات تجد مواجهة عنيفة، وكان لا بد أن تحدث هذه المواجهة من الجانب الآخر وتحدث معارك، ولكن عندما التقى المسلمون بالمصريين الأقباط لم يُرفع السيف ولم يُستخدم، لأن المصريين رأوا في الفتوحات الإسلامية منقذاً لهم من البطش الروماني، ودخل المسلمون مصر دخول الفاتحين المُرحَّب بهم ولم يبطش المسلمون بأي من المصريين بل شعروا أنهم منقذون لهم».

أما المفكر المسيحي المعروف الدكتور «إدوار الدهبي»، رئيس هيئة قضايا الدولة في مصر وعضو البرلمان المصري، فقال: «إن الإسلام دين سلام، والذين يتهمونه بالعنف كذابون». ويقول

---

(١) راجع: كتاب «أرنولد توماس»: «الدعوة إلى الإسلام»، ص٨٨، طبعة ثالثة.

(٢) انظر النص الكامل للحوار مع: د. صفوت البياضي، المنشور في جريدة «العربي» المصرية، العدد ٢٦٠، تاريخ ٦ نيسان ١٩٩٨م.

الدكتور الذهبي، في دراسته المهمة بعنوان «الإسلام والتعايش بين الأديان»: «إن المسلمين يؤمنون بجميع الديانات السماوية وبالأنبياء ولا يفرقون بين الرسل، وأكد أن الإسلام حرص على تأكيد مبدأ «لا إكراه في الدين»، لأن الإكراه لا يخلق مؤمنين وإنما يخلق منافقين، ويكفي أن أقول إن الشواهد التاريخية، على مدى أربعة عشر قرناً، تؤكد التزام الحكام المسلمين بآية ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة/٢٥٦]، فلم يكرهوا أحداً من سكان البلاد التي فتحوها على اعتناق الإسلام، ونسوق مثالاً على ذلك، ما حدث في مصر، إذ يرى بعض المؤرخين أن المصريين لم يتحولوا إلى أغلبية مسلمة إلّا في القرنين الثالث عشر والخامس عشر رغم أن الفتح الإسلامي لمصر تم في سنة ٦٤٠م، وهذا دليل قاطع على تعايش الديانتين الإسلامية والمسيحية مئات السنين داخل آلاف العائلات، وأن التحول إلى الإسلام قد تم من دون إكراه[١].

الهدف الخامس

التشكيك في صحة رسالة النبي محمد ﷺ، والزعم بأن الأحاديث الشريفة إنما هي من عمل المسلمين خلال القرون الماضية.

الهدف السادس

العمل على تشويه الفكر الإسلامي وإنكار جدته وأصالته، والزعم بأنه فكر يوناني كُتب بأحرف عربية، وأن كل روائعه امتداد لليهودية والمسيحية في القديم والحديث.

---

(١) انظر: «شهادة حق لمفكر مسيحي معروف»، المنشور في جريدة «الاتحاد»، عدد ٢٨/٨/١٩٩٨م.

الهدف السابع

توجيه السياسة التعليمية في العالم العربي والإسلامي، وذلك بوسائل كثيرة منها:

١ ـ التفريق في مناهج المدارس الحكومية والمدارس التنصيرية لإضعاف الوازع الديني لدى التلاميذ.

٢ ـ التمييز بين المواد الإسلامية والمواد العلمية لسلخ الإسلام من شؤون المجتمع والحياة.

٣ ـ التمييز بين اللغة العربية واللغات الأوروبية بحيث يتم ازدراء اللغة العربية واستعلاء اللغات الأخرى.

٤ ـ تغريب الطلاب في البلدان العربية والإسلامية عن مشكلات مجتمعاتهم، وتكوين نموذج معين من المثقفين العاجزين عن فهم هذه المشكلات.

٥ ـ تشجيع هجرة الأدمغة إلى الغرب.

الهدف الثامن

السعي لتخريب الأسرة في المجتمعات العربية والإسلامية، وذلك بالعمل على إطلاق حرية المرأة في العمل وإقامة علاقات مع مَنْ تشاء ما دامت بلغت الثامنة عشرة، واللجوء إلى كل الوسائل الكفيلة بإخراج المرأة عن إسلامها، ومن هذه الوسائل الدعاية المكثفة لمستحضرات التجميل وبيوت الأزياء والنوادي النسائية والكتب والمجلات والدوريات النسائية، لإغرائها بتقليد المرأة الغربية وإبعادها عن عروبتها وإسلامها، وكذلك الدعوة إلى السفور والفجور تحت اسم برَّاق هو الحرية الشخصية.

أما الشباب فيسعى المنصِّرون إلى إقناعهم بالزواج بالنصرانيات، ورغم أن الإسلام يبيح الزواج من الكتابيات إلّا أن لهذا الزواج

آثاراً سلبية خطيرة على الأسرة المسلمة، فهو يسلب البيت المسلم من جوِّه الروحي ويضعف الحياة الإسلامية ويحدث الخلل في الأسرة، يضاف إلى ذلك نشر الفساد ومحاربة الأخلاق الفاضلة، ونشر الرذيلة بين المسلمين وتشجيع الفقراء منهم على تهريب وتعاطي المخدرات.

أما الأغنياء فيحاول المنصرون تشجيعهم على تشييد الملاهي ولعب القمار وحتى الدعارة، وحتى لا يكون كلامي بغير سند أذكر أنه في أوائل عام ١٩٩٩م تم الكشف عن شبكة دعارة توفر خدمات لأثرياء خليجيين وعرب ورجال أعمال ونجوم في عالم الفن في باريس، وكانت هذه الشبكة تستعين بشابات وعارضات أزياء وطالبات، وكانت الأسعار تتراوح بين ١٠٠٠ و٣٥٠٠ دولاراً، وكانت المواعيد تتم في باريس أو موناكو أو حتى في دولة خليجية وفي نيويورك ولندن(١).

ومن مبتكرات المنصرين حديثاً إيجاد «خطوط الصداقة الساخنة»، أو ما يسمى بهواتف الجنس، فقد خصص المنصِّرون وأسيادهم خطوطاً هاتفية دولية لإجراء مكالمات وأحاديث الصداقة مع الفتيات الساقطات. إنَّ ظاهرة خطوط الصداقة الساخنة هي شكل من أشكال الابتزاز العلني الفاضح والسرقة الدولية التي تتم أمام أعين العالم، وهي حالة من حالات بيع الرذيلة للشباب العربي والمسلم عن طريق أرقام هواتف معينة تنشر في وسائل الإعلام المختلفة مع وعود معسولة عن صديق أو صديقة ينتظرك على

---

(١) انظر: جريدة «القبس» الكويتية، عدد ١٩٩٩/١/٨م، حيث نشرت أنباء هذه الفضيحة.

الطرف الآخر، مستعد دائماً للحديث معك حول شؤونك ومشاكلك وتبادل الرأي والمعرفة معك، ولكن الحقيقة أنه لا رأي ولا حديث في المعرفة، بل إن خلاصة القضية أن المتحدث أو المتحدثة على الطرف الآخر ليسا أكثر من بائعي متعة مُحرمة عبر الهاتف ضمن عصابة تمتهن هذه الحرفة الخبيثة، يمتد نشاطها عبر العالم كلِّه، وللأسف فإن بعض المحطات العربية الفضائية تذيع إعلانات لجذب الشباب من الجنسين لإيقاعهم في فخ خط الصداقة الساخنة، ومنذ مدة قصيرة تناقلت وسائل الإعلام أرقاماً فلكية تتكبَّدها الأسر الأردنية نتيجة إدمان الشباب الأردني على خطوط الصداقة هذه، وهناك نبأ أوردته صحيفة «الاقتصادية» السعودية ذكرت فيه أن مواطناً سعودياً قد دفع فاتورة بلغت مليوناً وثلاثمائة ألف ريال بسبب خطوط الصداقة الساخنة[1].

الهدف التاسع

التجسس على الأقطار العربية الإسلامية، وذلك لخدمة أهداف الاستعمار الغربي وترتيب الأوضاع الداخلية بشكل يكفل ويضمن استمرار المصالح الاستعمارية، ولقد ثبُت من الوقائع أن معظم المنصِّرين يعملون كجواسيس لحساب الدول التي أرسلتهم.

الهدف العاشر

محاولة وقف انتشار الإسلام في آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا اللاتينية، وبخاصة بعد تهافت الأيديولوجيات والنظريات الوضعية ونشوء الفراغ الروحي، لذلك تنشط منظمات التنصير على تشويه

---

(١) انظر: جريدة «البيان» الإماراتية، عدد الجمعة ٧/ ٥/ ١٩٩٩م، الصفحة الأخيرة، تحت عنوان «أبجديات»، للكاتبة عائشة إبراهيم سلطان.

الإسلام مُدعية بأنه يقف عثرة في وجه التطور والتنمية، وتضرب الأمثلة الحسية من واقع المسلمين الحالي.

الهدف الحادي عشر

العمل على إضعاف عملية اتصال أجزاء العالم الإسلامي، وخلق العداوات بين دول العالم الإسلامي وإثارة الفتن الداخلية والعمل على الاستيلاء على أملاك المسلمين، وذلك بشراء أراضيهم بأسعار باهظة ثم إعادة امتصاص هذه الأموال بما يقدمونه لهم من وسائل إمتاع رخيصة، مثل إقامة المصايف والمراقص تحت مظلة إنعاش السياحة.

الهدف الثاني عشر

العمل على شيوع الرشوة في المجتمعات العربية والإسلامية.

الهدف الثالث عشر

إبعاد المسلمين عن المناصب السياسية والقيادية العليا، ومثال ذلك «كينيا»، فرغم أن نسبة المسلمين تزيد عن ٤٠٪ من السكان فإنه لم يحظ أي مسلم بوظيفة وزارية، وكذلك السنغال فنسبة المسلمين تصل إلى ٩٨٪ ومع ذلك فإنها كانت تُدار، حتى وقت قريب، بواسطة رئيس دولة نصراني، وكذلك أرتيريا التي تبلغ نسبة المسلمين فيها أكثر من ٦٥٪، ورغم تضحيات المسلمين في سبيل الاستقلال عن أثيوبيا إلّا أنه غداة استقلالها تم تنصيب رئيس نصراني.

الهدف الرابع عشر

إثارة الحروب الأهلية داخل البلدان العربية والإسلامية، وزرع بذور الخلافات والألغام الموقوتة التي يمكن تفجيرها في اللحظة

المناسبة لخدمة أهداف التنصير والدوائر السياسية الغربية والصهيونية، والهدف الأساس للمنصِّرين، من خلق هذه الأجواء، هو دفع المسلمين لشراء السلاح وذلك لاستنزاف طاقاتهم وثرواتهم وصرفها وحجبها عن التنمية، والهدف الأخير هو تنمية التخلُّف وإبعاد المسلمين عن التفكير ببناء أية صناعة أساسية أو ثقيلة، لتظل الأقطار الإسلامية والعربية تابعة اقتصادياً للدول الغربية، وبالتالي إفراغ استقلالها من أي مضمون حقيقي، وسأكتفي بمثال واحد يوضح هدف المنصِّرين وأسيادهم في هذا المجال، وهو زرع إسرائيل في قلب الأمة العربية.

فنتيجة لقيام هذا الكيان الغريب فإن شراء السلاح أصبح شراً لا بد منه، وأصبح المواطن العربي يدفع كل عام مبلغ «٦٠٠» دولار تقريباً لحماية أمنه الشخصي والوطني. ففي دراسة عنوانها «السلاح والخبز»، وهي تتضمن دراسة الإنفاق العسكري في الوطن العربي خلال أعوام ١٩٧٠ ـ ١٩٩٠م، اتضح أن العرب أنفقوا «١٠٠٠» مليار دولار فقط، وبيَّن الكاتب أن خلق الكيان الصهيوني هو الذي أطلق وحش السلاح من قفصه ليلتهم ثروات معظم الأقطار العربية، وبيَّن أن معدلات نمو الإنفاق العسكري في الوطن العربي قد فاقت معدلات نمو الدخل القومي ومعدلات نمو التكوين الرأسمالي الثابت، وكانت النتيجة تفاقم الأمية لتصل نسبتها إلى ٤٤٪ بين الرجال والكبار و٥٦٪ بين النساء، ومعدلات وفيات الأطفال تقارب ٧٠ لكل ألف مقارنة مع ٨ بالألف مع الدول الصناعية[1].

---

(١) راجع: كتاب «السلاح والخبز»، تأليف د. عبد الرزاق فارس، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

الهدف الخامس عشر

شن حرب نفسية ضد العرب والمسلمين وهدفها العبث بلاوعي الذات العربية، وتغذية كافة الرغبات الإسلامية غير القابلة للتحقيق، ومحو وطمس الرغبات الموضوعية القابلة للتحقيق والتي تساعد إعادة الثقة بالذات العربية، وتفجير ألغام الصراعات التاريخية المكبوتة في الذات العربية والإسلامية، والإصرار على تحويلها إلى صراعات راهنة، وتشجيع الأقليات الدينية والمذهبية والإثينية ودفعها لإثارة القلاقل بحجة إنصافها من الاستبداد والظلم.

هذه هي الأهداف المعلنة للتنصير، ولا شك أن هناك أهدافاً أخرى، وربما يكون ما خفي أعظم وأخطر، والله أعلم.

الفصل الرابع

وسائل التنصير في الوطن العربي

استخدم المنصِّرون جميع الوسائل في سبيل التنصير، وقد اختلفت هذه الوسائل من جيلٍ إلى جيل ومن بلد إلى آخر، ولم يوفروا وسيلة مباشرة أو غير مباشرة إلا واستخدموها، وظهروا بجميع المظاهر وارتدوا جميع الأقنعة، فبعضهم عمل كطبيب أو كمدرس أو مكتشف، وبعضهم سلك طريق الجاسوسية، وبعضهم اهتم بالدراسات الشرقية، وفي كل هذه الأعمال ساروا على مبدأ: «الغاية تبرر الوسيلة». ووطَّن المنصِّرون أنفسهم على قبول أمور تخالف عقيدتهم، بما في ذلك استخدام الرشوة لإفساد ضمائر الناس، واعتمدوا على السماسرة وعلى العاهرات، وكان قادتهم ينصحونهم بالاستعداد للتلُّون في سبيل الوصول إلى قلوب بعض الناس، وقد كشف «كتاب التبشير والاستعمار» وسائل المنصِّرين، ومن ذلك: هنالك كتاب اسمه «طرق العمل التبشيري بين المسلمين» يقول: «لنجعل هؤلاء القوم المسلمين يقتنعون، في الدرجة الأولى، بأننا نحبهم، فنكون قد تعلمنا[1] أن نصلَ إلى قلوبهم... يجب على المبشر أن يحترم في الظاهر جميع العادات

(١) انظر: كتاب «التبشير والاستعمار»، تأليف فروخ وخالدي، مرجع سابق، ص٥٢.

الشرقية والإسلامية حتى يستطيع أن يتوصل إلى بث آرائه بين مَنْ يُصغي إليها، وعليه مثلاً أن يتحاشى أن يقول عن المسيح إنه ابن الله حتى لا ينفر منه أولئك الذين لا يؤمنون هذا الإيمان، فيستطيع أن يقاربهم حينئذ بما يريد أن يدعوهم إليه. أما المبشر «تشارلس واطسون» فيقول: «يجب أن يظلوا - أي المبشرون - برءاء كالحمام، ولكن هذا لا يمنعهم أيضاً أن يكونوا حكماء كالحيات».

بدأ التنصير نشاطه بأسلوب صريح مكشوف يقوم على الدعوة الصريحة والمباشرة لترك أو نبذ الإسلام كلية واعتناق المسيحية، ومن أساليبهم المباشرة الرشوة لإغراء الفقراء بالنصرانية، أو على الأقل هجر الإسلام، ووصلت أساليبهم المباشرة إلى حد التنفير وقلة الذوق والحياء حتى إنهم، كما يقول: «فروخ وخالدي» في كتاب التبشير والاستعمار: «كانوا لا يتأخرون عن عرض بضاعتهم الفاسدة بين أهل الميت ومُشيعيه من أقربائه وأحبائه وجيرانه وغيرهم من المسلمين، والميت لا يزال ثاوياً لم يُدفن بعد».

ومن أساليبهم المباشرة الخوض أو الدخول في نقاشات صريحة مع المسلمين، ولكنهم أقلعوا عن هذا الأسلوب، وذلك بعد أن اتضح لهم أن حججهم الواهية لا تقوى على الصمود أمام حجج المسلمين المُستندة إلى المنطق والعقل بالدرجة الأولى، وحتى الأطباء استخدموا الأساليب المباشرة، وكانوا لا يعالجون مرضى المسلمين إلّا بعد إجبارهم على الإقرار والاعتراف بأن الذي سيشفيهم هو السيد المسيح، ومن ثم فعليهم - أي المرضى - الركوع له، وأن يسألوه الشفاء العاجل، والذي حصل أن هذه الأساليب المباشرة أدت إلى تنفير المسلمين من المنصّرين وأحدثت ردة فعل كبيرة، وبخاصة لدى المسلمين الشبان، ولذلك اضطر

المنصِّرون إلى تغيير أساليبهم ووسائلهم المباشرة، وتوجَّهوا نحو الأساليب غير المباشرة كي يتجنبوا غضب المسلمين.

وقد تفنَّن المنصِّرون في ابتكار الوسائل غير المباشرة، وسعوا لتعديلها وتطويرها أو تبديلها كلية، حسب مقتضيات المصلحة، واختلاف الظروف والبيئات، وبما يتناسب مع الظروف والأمور المستجدة.

الوسائل غير المباشرة التي استخدمها المنصِّرون في الوطن العربي

أولاً، بواسطة الكتب والمجلات ووسائل الإعلام: في الواقع لم يقم أيُّ باحث عربي بإحصاء ما كتبه المنصِّرون عن المسلمين، وحتى اليوم لا توجد دراسة عربية مخصصة ومعنية بهذه القضية الهامة، ولكن، وحسب تقديرات الباحثين، فإن مؤلفات المنصِّرين تقدر بعشرات الآلاف من المجلدات، هذا عدا المجلات والصحف والنشرات، ومن الجدير ذكره أن كل هذه الكتابات هدفها النيل من الإسلام.

ومن الكتب الخطيرة التي ألَّفها المنصِّرون لتحقيق هذا الهدف أذكر كتاب «الهداية» وكتاب «تنوير الأفهام في مصادر الإسلام» و«ميزان الحق والكفارة» و«مصباح الهدى إلى سر الفدى» و«البرهان الجليل في صحة الأناجيل»، و«دعوة المسلمين إلى مطالعة الكتاب المقدس الثمين»[1]، وكتاب «صليبيي القرن العشرين»، وكتاب «بلاد العرب مهد الإسلام»، وكتاب «أخواتنا المسلمات»، و«حياة محمد» و«الإسلام في بلاد الصين»، هذا عدا الرسائل والخطب التي

---

(١) راجع: كتاب «العقائد الوثنية في الديانة النصرانية»، مرجع سابق، ص١٥، دون ذكر لاسم الدار الناشرة.

وزعوها بين المسلمين، والمجلات التي يصدرها المنصِّرون والمستشرقون، وأخطرها مجلة «العالم الإسلامي» التي أصدرها المنصِّر الحاقد «صموئيل زويمر» عام ١٩١١م ولا تزال تصدر إلى اليوم من «هارتفورد» بأمريكا، ورئيس تحريرها «كنيث كراج».

ومن تخرُّصات المنصِّرين الواردة في المؤلفات السابقة ما تقشعر منه الأبدان، فعلى سبيل المثال: يقول المنصِّر الأرمني «لطفي ليفونيان»: «إنَّ الإسلام كان سلسلة مخيفة من سفك الدماء». أما المنصِّر «نلسن» فيزعم أن «الإسلام مقلِّد، وأن أحسنَ ما فيه مأخوذ من النصرانية وسائر ما فيه من الوثنية». أما المنصِّر الأمريكي «هنري جسب» فيقول: «إن الإسلام بني على الأحاديث أكثر ما هو مبني على القرآن، وإذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يبقَ من الإسلام شيء وصار أشبه بصبيرة طومسون» ـ وطومسون أمريكي جاء إلى لبنان فقدمت له صبيرة وصار ينقيها من البذور، فلمَّا طرح بذرها لم يبقَ في يده شيءٍ منها ـ. أما المنصِّر «نلسون» فوصف النبي محمداً عليه الصلاة والسلام بأنه عابد أصنام.

ومن الأُجراء المحليين أذكر «الخوري حداد» الذي زعم أن انقلاباً شاملاً طرأ على حياة النبي محمد ﷺ ودعوته بعد الهجرة إلى المدينة، بسبب تدخل السياسة في الدين، حيث انقلب الداعية إلى رجل دولة وحرب[1]، وتحول طريق الدعوة من الحكمة والموعظة الحسنة، وترك مَنْ لم يؤمن وشأنه إلى قتال المشركين

---

(١) راجع: كتاب «القرآن والمبشرون»، تأليف الخوري حداد، الصادر سنة ١٩٧٢م في بيروت.

حتى يؤمنوا والكتابيين حتى يخضعوا ويدفعوا الجزية. ومن الأُجراء المحليين أذكر «أبا موسى الحريري» الذي حذا حذو المنصِّرين وكتب مؤلفات عديدة لخدمتهم، أخطرها كتاب «قس ونبي»، وزعم في كتابه أن مكة ليست موطن الدعوة الإسلامية وأنها كنيسة نصرانية، وأن القس «ورقة بن نوفل» أدخل محمداً في النصرانية ثم أوكل إليه الإشراف على تلك الكنيسة مكة، وزعم هذا المأجور المأفون أن القرآن مترجم عن إنجيل «متى»، وأن الخليفة عثمان أدخل عليه تحويلاً وتشويهاً، وأن القرآن كان آرامي اللغة عبراني الحرف، وهكذا تجرّأ هذا السفيه على أقدس مقدسات الإسلام رغبة منه في إرضاء أسياده(١).

قام المنصِّرون في لبنان بأعمال كثيرة لخدمة أغراض التنصير، ومن ذلك تأسيس المطابع، وأشهرها المطبعة الأمريكية عام ١٨٣٠م، وقام المنصِّرون بترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة العربية، وقد نهض بهذه المهمة المنصِّر «كورنيلوس فان دايك ١٨١٨ ـ ١٨٩٥م»، وقد درس اللغة العربية على يد ناصيف اليازجي حتى صار من المتبحرين فيها، وربطت بينه وبين بطرس البستاني صداقة.

ولجأ المنصرون إلى تأسيس الجمعيات وكان أشهرها الجمعية السورية، وقد انخرط وساهم في نشاطاتها ناصيف اليازجي وبطرس البستاني وميخائيل مدور، وكانت في الظاهر تهتم بنشر الثقافة والعلوم ولكن هدفها الأساسي نشر الفكر الغربي والثقافة الغربية.

---

(١) راجع: كتاب «وجهاً لوجه أمام التاريخ»، تأليف الباحث حامد حسن، دمشق، مطبعة عكرمة، ١٩٩٢م، ص١٦، ٤٧، ٧٤.

واهتم المنصِّرون في لبنان ومصر بتأسيس دور النشر، وكان أشهر هذه الدور «مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر» في القاهرة ونيويورك، وأصدرت سلسلة هامة تحت عنوان «كتب لا بد أن تُقرأ»، وكان هدف هذه المؤسسة نشر كل ما هو أمريكي، أو يعبر عن وجهة النظر الأمريكية، وهناك دور نشر كثيرة تم تأسيسها في لبنان وكافة أقطار الوطن العربي.

ومن الوسائل التي لجأ إليها المنصِّرون إصدار الصحف، وكان أخطرها جريدة «البشير»، التي كانت تصدر في بيروت في أواخر عهد الانتداب الفرنسي على لبنان. وتعاون المنصِّرون مع الصهاينة، وكان من ثمار هذا التعاون ظهور نوعين من الصحف اليهودية في مصر، أولهما «الصهيونية» التي أصدرتها الهيئات والجمعيات الصهيونية التي تكونت في مصر، وكانت هذه الصحف بمثابة أدوات دعائية لنشر الفكر الصهيوني باللغتين العربية والفرنسية في المجتمع المصري، والنوع الثاني الصحف اليهودية في مصر، وكانت جميعها ذات انتماء صهيوني. وفي أكتوبر ١٩٤٥م صدرت مجلة «الكاتب المصري» بتمويل صهيوني، وكان يرأس تحريرها طه حسين(١)، وقد ضمت مجموعة من الكتّاب الأوروبيين والأمريكيين والمصريين، أمثال توفيق الحكيم ولويس عوض وسهير القلماوي وحسين فوزي وفؤاد صرُّوف وغيرهم. وفي بيروت كانت تصدر مجلة «حوار»، وكان لها علاقة وثيقة بالمنظمة العالمية لحرية الثقافة، ولها صلة بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية. وشهدت أسواق بيروت سيلاً من المجلات الموجهة للأطفال لتوجيههم توجيهاً سيئاً بما يخدم

---

(١) انظر: كتاب «الفكر التربوي العربي الحديث»، تأليف د. سعيد إسماعيل علي، عالم المعرفة، الكويت، العدد ١١٣، أيار ١٩٨٧م، ص٥٢.

أهداف المنصِّرين، مثل «سوبرمان البطل الجبار» ومجلة «الوطواط» و«المغامر» و«الأبطال»، وكلها لخدمة الثقافة الغربية ولتلوين عقول الناشئة العرب بهذه الثقافة الوافدة.

وساهمت الجامعة الأمريكية في بيروت بإصدار مجلة التربية الحديثة، وفي القاهرة أصدر المنصِّرون مجلة «الشرق والغرب» الأسبوعية، وقام المنصِّرون في المغرب وسوريا ولبنان ومصر بتأسيس المكتبات لبيع الكتب بأثمان زهيدة، وذلك لاستدراج الزبائن ومحادثتهم وتنصيرهم، أو على الأقل زعزعة العقيدة الإسلامية في عقولهم، واتخذ المنصِّرون من القاهرة وبيروت مركزين مهمين لتوزيع المنشورات التنصيرية في البلاد العربية. وحديثاً قام المنصِّرون بطباعة الكتب الرخيصة على شكل طباعة القرآن الكريم بحيث يبدأ كل فصل بـ«بسم الله الرحمٰن الرحيم». ويهتم المنصِّرون الآن بإيصال مجلاتهم ومنشوراتهم إلى الأسواق العربية وخاصة تلك التي تهتم بالدرجة الأولى بالشؤون الاجتماعية والتاريخية، ويدسون فيها السموم لتسميم أفكار القرّاء العرب، وفي هذا الوقت يقوم المنصِّرون بتطوير وسائلهم لنشر أضاليلهم وتشويه الثقافة العربية والإسلامية، وفي المقدمة القرآن الكريم.

فعلى سبيل المثال لا الحصر يتعرض الوطن العربي اليوم لحملات إعلامية يقوم بها البث التلفزيوني المباشر الذي يدخل بيوت العرب بدون استئذان، حاملاً إليهم الأفكار الهدامة والصور المريبة والمسلسلات الفاضحة. ويقوم المنصِّرون، ومن خلفهم وسائل الإعلام الغربية، بتوجيه إذاعات متطورة موجَّهة إلينا، مستخدمة الموشحات الأندلسية المشهورة وأناشيد مسيحية لجذب انتباه المسلمين وتضليلهم، وتستخدم هذه الإذاعات مختلف الحيل

الرخيصة للتأثير على المستمعين وتذيع برامجها بمختلف اللغات واللهجات، ومركزها أمريكا وأوروبا وتمولها المنظمات التنصيرية[١]. وتقوم هذه الإذاعات بإهداء المستمعين كتيبات تنصيرية على شكل طباعة القرآن الكريم للتمويه والتضليل، وفي كل يوم نسمع عن لجوء المنصِّرين إلى وسائل جديدة، وآخر ما سمعناه هو أن المنصِّرين قد طوَّروا أساليبهم وذلك بهدف اختراق سياج الحماية الذي بدأت تفرضه الدول العربية بمنعها المطبوعات التنصيرية من دخول بلدانها، وذلك عن طريق استخدام الأقمار الصناعية أو تهريب الأناجيل عن طريق المسافرين أو بإرسال النشرات بالبريد وبطريق التكنولوجيا الألكترونية الحديثة، والأخطر من ذلك أن قناة فضائية تنصيرية تبث برامجها من «قبرص» إلى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تقول إنها تتوقع أن يكون قد جرى تسجيل آلاف النسخ والأشرطة في البلاد العربية والإسلامية عن فيلم بثته عن حياة عيسى عليه السلام مدته أربع ساعات باللغة العربية، وتتوقع هذه القناة انتشار هذه الأشرطة في المناطق المُستهدفة، والخطوة التالية لهم هي إيصال الكتاب الذي أُخذ منه الفيلم، ويقصدون الإنجيل، إلى المشاهدين[٢].

كما تقوم منظمات التنصير باستغلال شبكة الأنترنت في مجال التنصير، ومن أعمالهم في هذا المجال وضع الإنجيل باللغة العربية على شبكة الأنترنت من قِبَل «جمعية الإنجيل الدولية»، وتعتزم هذه

---

(١) انظر: جريدة «الاعتدال»، الصادرة باللغة العربية في نيوجرسي بأمريكا، عدد ٢٢/٨/١٩٩٧م، وجريدة «الاتحاد» الظبيانية، عدد ٢٢ يناير ١٩٩٣م.

(٢) انظر: جريدة «الاعتدال»، عدد ٢٢/٨/١٩٩٧م.

الجمعية وضع ترجمة الإنجيل بثلاث عشرة لغة أخرى على الأنترنت، منها اللغة العربية والمقدونية والروسية والتايلاندية والفيتنامية وغيرها[1]، كما تقوم منظمات التنصير بإقامة مواقع خاصة على شبكة الأنترنت لنشر وشرح تعاليم «القاديانية والبهائية» والادعاء بأن أتباع هاتين البدعتين يمثلان الإسلام الحقيقي، ومؤخراً، وفي أوائل عام ١٩٩٩م، بدأت كنيسة الشيطان في أمريكا، والتي لها فروع وجماعات عديدة في الكثير من الدول، ومنها للأسف مصر، ببث رسائل جماعية عبر شبكة الأنترنت.

وهكذا يبدو واضحاً أنَّ الغرب يريد محاصرة الإسلام وضرب الأمة العربية والإسلامية في أعز ما تملك وهو شبابها، وقد كشفت صحيفة «صنداي تايمز» البريطانية عن هذا المخطط في تقرير لها بعنوان «سلاح الغرب السري» ضد الإسلام في عدد ١/١/١٩٩٥م، ومما جاء في التقرير أن الغرب تمكَّن من تهريب عشرة آلاف من الأطباق اللاقطة «الدش» إلى إيران كل عام، وأن الغرب تمكَّن من إدخال مائة ألف طبق لاقط إلى الجزائر، وأكَّدت الصحيفة أن الأطباق اللاقطة هي جسر التغيير المنشود لصالح الثقافة الغربية ومن ثم عملية التغريب المنشودة، وقد استشعرت بعض الدول العربية والإسلامية هذا المخطط الخطير فاتخذت ماليزيا والإمارات العربية المتحدة موقفاً حاسماً من هذه المواد الهدامة التي تُبَث عبر شبكة الأنترنت، ودعت المجتمع الدولي لتوقيع اتفاقية تضع ضوابط لبث[2] المواد عبر الأنترنت.

وحتى القرآن الكريم لم يسلم من الاعتداء عليه بواسطة شبكة

---

(١) انظر: جريدة «الجزيرة» السعودية، عدد ٩ أيار ١٩٩٧م.

(٢) راجع: جريدة «القبس» الكويتية، عدد الجمعة ١٦/٤/١٩٩٩م.

الأنترنت، فالحقد الصليبي دفع المنصِّرين إلى القيام بتزوير القرآن عبر الأنترنت، وشاهد الناس في العالم كله كلاماً مرصوصاً كهيئة القرآن الكريم ولكنه يخالفه في المعنى والهدف، بل ويتناقض مع مراميه السامية ومقاصده الشريفة، ويطعن في عقيدة التوحيد ويعظِّم اللاهوت والتثليث ويُسفِّه رسول الإسلام ﷺ ويصفه بما يعجز القلم عن كتابته ويحجم اللسان عن النطق به، واختار القائمون على هذا الموقع أسماء غريبة، مثل الوصايا والتجسيد والإيمان والمسلمون، ووضع تحت هذه العناوين كلاماً يعبر عن كراهية مستحكمة داخل نفوس مريضة مشوَّهة.

ولجأ الموقع إلى السخرية بربِّ العزة والطعن على الإسلام ورسوله، وقد تبين أن الجهة التي تقف وراء هذه الجريمة هي مؤسسة «أون لاين أمريكا» وموقعها على شبكة الأنترنت[1] «Link To America-online service». ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تم الكشف في واشنطن وتل أبيب عن مجموعة صهيونية صليبية غربية تعمل وبشكل علني على تزوير القرآن الكريم من خلال حذف بعض ألفاظه وآياته وإحلال عبارات وألفاظ مضادة لها، وتقوم هذه المجموعة، واسمها «صهيونيست» بتسويق هذا القرآن المزيف إعلامياً في أوروبا وأمريكا[2].

وهكذا يتضح لنا أن المنصِّرين فتحوا علينا «أبواب كل شيء»، الإعلام بكافة وسائله، ولم يتركوا وسيلة إلا ولجأوا إليها بهدف

---

(١) انظر: جريدة «الاتحاد» الظبيانية، ملحق حديث الجمعة، العددان ٢١/٨/١٩٩٨م، و٣/٧/١٩٩٨م.

(٢) انظر: جريدة «البيان»، الصادرة في دبي، عدد ١٦ شباط ١٩٩٩م، الصفحة الأخيرة.

اقتلاعنا من جذورنا واستئصال معتقداتنا ونزعها من صدور معتنقيها، ومن هنا أدعو إلى توظيف الإعلام العربي للوقوف في وجه هذه الأعاصير التي تحاول تدمير كل شيء نملكه، وأدعو أيضاً إلى استخدام الأنترنت وتوظيفه عربياً وإسلامياً بحيث يشمل هذا التوظيف الرد على الإساءات التي يوجهها الإعلام التنصيري والغربي بشكل عام، وأن يكون هذا الرد مدعَّماً بالدلائل والبراهين التي تُظهر وجهنا الحضاري والثقافي على حقيقته.

إنَّ دخول العرب في عالم الثورة الاتصالية والإمساك بخيوط وتطور تقنيات الاتصال المختلفة سيكون أحد أهم الوسائل الجوهرية للإمساك بزمام الأمور التي تكاد تفلت من يدنا؛ وأنَّ العرب لقادرون، ولديهم علماء وخبراء وكوادر فنية، ويمكنهم الاستفادة من الأنترنت والثورة الاتصالية، وأصبح من الضروري وجود إعلام إسلامي صادق وموضوعي يتناول بوعي جميع القضايا المُثارة على الساحة العالمية، ومن بوادر الخير التي تلوح في الأفق أن العرب قد تداركوا خطر استخدام الأنترنت في تزوير وتحريف دينهم، وبادرت السعودية إلى إنشاء موقع لوزارة الشؤون الإسلامية على الشبكة الدولية للمعلومات «الأنترنت»، ومؤخراً أكَّد المفكر الإسلامي يوسف القرضاوي أن هنالك مشروعاً إسلامياً كبيراً[١] على شبكة الأنترنت يسمى «الإسلام على الخط»، وقد بدأ فعلاً، في يناير ١٩٩٩م، ويهدف هذا المشروع إلى التعريف بالإسلام بأسلوب عصري، ففيه «١١» موقعاً للتعريف بالإسلام، وستقام مواقع أخرى عن الشريعة والأخلاق والمكتبة الإسلامية القديمة

---

(١) انظر: جريدة «القبس» الكويتية، عدد ٢٢/ ١/ ١٩٩٩م. وجريدة «الجزيرة» السعودية، عدد ١٦/ ٤/ ١٩٩٩م.

والمعاصرة، وعدة مواقع للتعريف بالقوى المعادية للإسلام. وأكد القرضاوي: «نحن بحاجة إلى إعلاميين أصحاب رسالة حتى يوظفوا الإعلام في خدمة الإسلام، وأن يتناول القضايا كافة وبخاصة المُثارة على الساحة حالياً، وأن هنالك فرقاً بين الإعلام الديني والإعلام الإسلامي، فالإعلام الديني خاص بالخطيب الواعظ في المناسبات الدينية، أما الإعلام الإسلامي فهو يعني أن هذا الإعلام هو من منظور وفلسفة إسلامية في الحياة والكون، ولا بد من تعاون العلم الشرعي والخبرة الفنية في إعلامنا الإسلامي». نأمل أن يرى هذا المشروع النور وأن يثمر ليذود عن الإسلام وليرد كيد الكائدين.

ثانياً، المدارس الأجنبية: أساء المنصِّرون إلى العمل الإنساني عندما استغلوا العلم لتحقيق أهدافهم الاستعمارية، وذلك عندما اتخذوا من المدارس والجامعات التي بنوها وسيلة للتنصير. ومن اللافت للنظر أن المنصِّرين وأسيادهم في الغرب يعترفون بأنهم ما طمحوا للاستيلاء على بلد ما إلّا ومهدوا لذلك بافتتاح المدارس التي تساعد على خلق المناخ والظروف الملائمة لمجيء القوات الاستعمارية، وهكذا تستروا برداء العلم وظهروا بمظهر المعلمين كي لا يلاقوا معارضة، لأن حجتهم نشر الثقافة والتهذيب والحضارة.

ويلاحظ أن المنصِّرين عندما افتتحوا مدارسهم استأثروا بالتعليم فيها ولم يستعينوا بالمعلمين الوطنيين إلّا في حالات نادرة، واعتمدوا على أبناء جلدتهم للقيام بمهمة التعليم في جميع مراحله وأنواعه، من رياض الأطفال وحتى الجامعة[1]، وحتى أنه رغم

---

(١) انظر: «دفاع عن الثقافة العربية»، فتحي خليل، دار الفجر الجديد، ١٩٥٩م، ص٥٠.

المنافسة الحادة بين البعثات التنصيرية الكاثوليكية والبروتستاتنية في مجال تأسيس المدارس، فمن الملاحظ أن كلَّ المنصِّرين، ومهما كانت انتماءاتهم، قد اتفقوا على المسلمين وتعاونوا ضدهم، وكانت المدارس الأجنبية تُرغم جميع طلابها على دخول كنيسة المدرسة مرة كل يوم، وفي إحصائية دقيقة فقد بلغ عدد المدارس الأجنبية التي أسسها المنصِّرون في بلاد الشام والعراق «٢٢» مدرسة ألمانية، بينما بلغ عدد المدارس الفرنسية «٦٠٠» مدرسة، وعدد المدارس البريطانية والأمريكية «٥٠٠» مدرسة، وعدد المدارس الإيطالية «٢٠٠» مدرسة، وعدد المدارس الروسية «٦٠» مدرسة[1]، وهناك عدد مماثل لهذه المدارس تم تأسيسها في بلدان المغرب العربي وليبيا، وعدد كبير من المدارس في الصومال والخليج العربي.

عني المنصِّرون عناية خاصة بتعليم البنات، وكانت أول مدرسة للبنات قد افتُتحت في بيروت سنة ١٨٣٠م، وافتتحوا مدارس مماثلة في مصر والسودان والمغرب العربي، أما المواد التي كانت تُدرس في المدارس الأجنبية فكانت التوراة في المقدمة ثم اللغات الأجنبية، والهدف من تدريس هذه المواد تشكيل الشباب العربي تشكيلاً يناسب اتجاهات وأغراض المنصِّرين، والثابت مما وجد في مكتبات هذه المدارس من كتب أن كل نوع من أنواع التعليم يتبع دولة معينة لها مصالح خاصة في البلد العربي الذي افتُتحت فيه، وكانت تلك المدارس تقوم بدعاية واسعة لتلك الدولة، وكان على الطلاب العرب أن يدرسوا كتباً تساهم في بث الفُرقة بين أبناء

---

(١) انظر: مقال «النشاط التبشيري الألماني في فلسطين»، مجلة دراسات تاريخية، العدد الثاني، ٢ رمضان ١٤٠٠هـ/ حزيران ١٩٨٠م، ص٩٤.

الوطن الواحد، وعليهم تمجيد الاستعمار والمستعمرين ودراسة تاريخهم وآدابهم مع التركيز على تفوقهم المادي والعلمي، وفي الوقت نفسه إغفال تاريخ العرب والإسلام أو تشويهه لطمس الإنجازات والمساهمات الحضارية والعلمية التي قدمها العرب للإنسانية.

وقد ظهرت آثار هذا التعليم الأجنبي على الأسر العربية التي توفد أبناءها وبناتها إلى هذه المدارس، فقد تجد في المنزل الواحد أنَّ الأم متحيزة للثقافة الأمريكية والأب ذو ثقافة عربية والابنة ذات ثقافة إيطالية والابن ذو ثقافة إنجليزية، وهكذا.. وحتى على المستوى القومي نجد أن هناك من أصبح يتحزَّب للثقافة الفرنسية أو للثقافة الأمريكية أو الروسية، وقد عبر جبران خليل جبران عن هذه الحقيقة. ففي عام ١٩٢٣م قامت مجلة «الهلال» المصرية بطرح مجموعة من الأسئلة حول مستقبل التعليم عامة ومستقبل اللغة العربية خاصة، على طائفة من كبار الأدباء والمفكرين، فقال «جبران خليل جبران»: «فالشاب الذي تناول لقمة من العلم في مدرسة أمريكية قد تحوَّل بالطبع إلى معتمد أمريكي، والشاب الذي تجرَّع رشفة من العلم في مدرسة يسوعية صار سفيراً فرنسياً، والشاب الذي لبس قميصاً من نسج مدرسة روسية أصبح ممثلاً لروسيا، إلى آخر ما هنالك من المدارس وما تخرِّجه كل عام من الممثلين والمعتمدين والسفراء».

وإذا نظرنا في الجهود الأجنبية في إنشاء المدارس نجد أن مدرسة «عينطورة»، أقدم مدارس الإرساليات التنصيرية في لبنان (أنشئت عام ١٨٣٤م من قِبَل المنصِّرين العازاريين)، ومن ثم جاء القس المنصِّر «وليم طومسون» الأمريكي ليؤسس مدرسة في

بيروت، ثم جاء الدكتور «كرنيلوس فانديك» ليؤسس مدرسة عاليه في «عبيه» في لبنان، وفي عام ١٨٤٧م أنشأ المنصِّرون البروتستانت الكلية السورية، وفي عام ١٨٦٠م أنشأت السيدة «إيوين طومسون» الكلية الإنجيلية الأمريكية في بيروت للبنات، وفي عام ١٨٦٥م تم افتتاح المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك، وفي نفس العام تأسست كلية أسيوط الأمريكية في مصر، ثم أنشأ المنصِّرون الأمريكيون الكلية الأمريكية في بيروت عام ١٨٦٦م بفضل مساعي «دانيال بلس» أول رئيس لهذه الكلية، وأسس الآباء اليسوعيون الكلية اليسوعية في غزير ثم نقلوها إلى بيروت عام ١٨٧٤م[١].

وفي العراق، افتتح الإنكليز عشرات المدارس في بغداد والبصرة والموصل وغيرها، وفي شبه الجزيرة العربية افتتح المنصِّرون البروتستانت أول مدرسة للتعليم الحديث، حيث قامت السيدة: «إ.س. زويمر» بافتتاحها عام ١٨٩٣م، وكانت هذه المدرسة الأولى من نوعها في منطقة الخليج العربي، أما المنهاج الذي اعتمدته هذه المدرسة فكان مؤلفاً من اللغة الإنكليزية والكتاب المقدس «الإنجيل» واللغة العربية. وعن هذه المدرسة تحدث السيد «أحمد إبراهيم»، أحد قدامى تلاميذ هذه المدرسة في البحرين، فقال: «كانت الدراسة اليومية تبدأ عادة بالصلاة المسيحية وقراءة الإنجيل، والواقع أننا رغم صغر سننا كنا نناقش مدرِّسينا في ديننا، حيث أننا قد تعلمنا الدين الإسلامي في البيت، وكانت القاعدة الدينية متينة لدينا وكان من الصعوبة التأثير علينا»[٢]. ولكن رغم أن القاعدة

---

(١) انظر: «الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ١٧٩٨هـ ـ ١٩١٤م»، إصدار الأهلية للنشر، بيروت، ١٩٧٨م، ص٢٥، للدكتور علي محافظة.

(٢) انظر: التميمي، «التبشير في منطقة الخليج»، شركة كاظمة، ١٩٨٢م.

الدينية كانت متينة، كما تحدث «السيد أحمد إبراهيم»، لدى الطلاب في البحرين والخليج العربي إلّا أن التعليم الأجنبي في الخليج قد أسفر عن نتائج خطيرة وأثمر ثمرات ملحوظة في الأطفال والمراهقين عل السواء. يقول القس المنصِّر «زويمر»، الذي بذل جهوداً ضخمة لنشر التعليم الأجنبي في الخليج: «أنه جمع تلاميذه المسلمين مرة ووضع بين أيديهم كرة تمثل الكرة الأرضية ثم حوَّل باتجاهها نوراً قوياً ساطعاً، وبرهن لهم أن الأمر بصيام شهر رمضان ليس آتياً من عند الله لأنه يتعذر أداء هذه الفريضة في بعض البلدان»[١].

وفي عام ١٩٢٠م افتتح الأمريكان الجامعة الأمريكية في القاهرة، وقد وُصفت الجامعات الأمريكية في الأقطار العربية بأنها أكبر مشروعات الإرسالية الأمريكية للتنصير. وفي السودان جاء المنصِّرون قبل الاحتلال الإنكليزي للسودان، وقد اتفق المنصِّرون والمستعمرون الإنكليز على التخطيط بجد لفصل جنوب السودان عن شماله، وكان هنالك أربع بعثات تنصيرية تعمل في المديريات الجنوبية وهي «جمعية إرسالية الكنيسة»، و«الإرسالية الإيطالية الكاثوليكية» و«إرسالية السودان المتحدة» ثم «الإرسالية الأمريكية»، وكانت هذه الإرساليات تشرف على ثلاث مدارس وسطى تضم ١٧٩ تلميذاً، و٣٠ مدرسة أولية تضم ١٩٠٧ تلاميذ.

وكان بعض طلاب السودان يتعلمون في مدارس أخرى أسماها الإنجليز «مدراس الشجرة» أو المدارس الخارجية والتي بلغ عددها «٢٦٣» مدرسة، وبلغ عدد تلامذتها سبعة آلاف تلميذ، وكان

---

(١) انظر: «الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة»، تأليف الدكتور علي محافظة، إصدار عام ١٩٧٨م، ص٢٥.

الطلاب يتعلمون القراءة والكتابة والحساب ودروساً في الزراعة، ولعلَّ أخطر الوسائل كانت هي التعليم باللغات المحلية والإنجليزية، وقد نتج عن هذا التعليم تأصيل لغات الجنوب بكل ما يترتب على ذلك من طرد أية تأثيرات عربية حيث لم تعد هناك حاجة إليها، فقد أصبحت الرطانات(*) واللهجات المحلية لغات مُستكملة القوام بفضل جهود المنصِّرين.

وهكذا لعب المنصِّرون دوراً أساسياً في نشر المسيحية في جنوب السودان[1]، وتمكن المنصِّرون والمستعمرون الإنكليز من إضعاف الوجود الشمالي العربي الإسلامي في الجنوب بمختلف الوسائل، ومُنع العرب من دخول الجنوب بمختلف الطرق حتى وصل الأمر بالسياسة البريطانية في هذا الصدد إلى إصدار قوانين «المناطق المُغلقة» بهدف إغلاق المناطق الجنوبية أمام الشماليين، وجاء وقت أصبح فيه من السهل على السوداني المسلم أن يتنقل في سائر أنحاء العالم من أن يتنقل في أرجاء بلاده الجنوبية، ثم وجَّه المنصِّرون والمستعمرون ضربات قوية للثقافة العربية الإسلامية في الجنوب بطرق مختلفة، منها تشويه الثقافة الإسلامية. وادَّعى المنصِّرون أن الإسلام عقيدة سهلة تسمح للناس بارتكاب خطايا كثيرة تلذ لهم وتعلمهم احتقار الآخرين. وجاء في أحد مناشير المنصِّرين في جنوب السودان: كيف تعرف أن القرآن ليس من عند الله؟ «لأنه يقصد أن يحل محل الإنجيل، ولأننا نجد فيه أشياء نعرف أنها غير صحيحة».

(*) **الرطانة**: التلفظ بكلام غير مفهوم، وبغير اللغة العربية لفظاً.

(١) انظر: «مشكلة جنوب السودان»، تأليف عبد الغني سعودي وآخرون، القاهرة، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس ١٩٨١م، ص٦٦.

ثم حاربوا اللغة العربية وأحلُّوا اللغة الإنجليزية محلها كلغة عامة، وشجعوا، كما ذكرت آنفاً، اللهجات المحلية حتى إنهم حاولوا تحويلها إلى لغات مكتوبة ومقروءة من خلال وضع قواعد نحوية لها، وتكفلت الإرساليات التنصيرية، التي أُطلقت لها حرية العمل الديني في الجنوب السوداني، بمنع انتشار الإسلام، وهذا ما أدى إلى وجود تباين وفروق كثيرة بين الجنوب والشمال، وفي النهاية إلى ظهور مشكلة جنوب السودان التي تطورت إلى حرب أهلية تدور رحاها منذ «١٦» عاماً، وقد أدت المعارك بين الجنوب والشمال إلى مصرع «٢» مليون سوداني وخمسة ملايين من اللاجئين والمشردين وإلى انتشار الأوبئة والمجاعات(*).

وفي **الصومال**، وصلت البعثات التنصيرية إلى هذا البلد قبل مجيء القوات الاستعمارية، ومهدت الطرق وكافة السُّبل للزحف الاستعماري، وقد قامت الإرساليات التنصيرية بإنشاء العديد من المدارس التابعة للكنيسة الكاثوليكية في فرنسا وإيطاليا وللكنيسة البروتستانية في إنجلترا، ولكن الشعب الصومالي المسلم، المتمسك بعقيدته الإسلامية ـ ورغم لجوء المنصِّرين إلى اتباع أساليب الخداع والتضليل وإغراء السكان ورؤساء القبائل بالأموال والمُغريات المختلفة للسماح بدخول أبنائهم في تلك المدارس، مع تعهدهم بعدم التدخُّل في عقيدتهم الدينية ـ رفض تعليم أبنائه في تلك المدارس بصورة مطلقة.

بدأ النشاط التنصيري في شمال الصومال، المحتل من قِبَل

(*) انظر: جريدة «الرياض» السعودية، العدد ١١٢٧٧، تاريخ ١٠/ ٥/ ١٩٩٩م.

بريطانيا في عام ١٨٩٨م، حيث قامت بعثة فرنسية بنشر النصرانية بين الصوماليين بتأييد من القوات الإنكليزية الحاكمة، وكانت أولى مدارس التنصير مدرسة «بربرا» التي كانت تحتوي على صومعة داخلية تنفث منها سمومها الصليبية، ومدرسة «طايمولي» الواقعة بين بربرا وشيخ، وكانت عبارة عن كنيسة كبيرة فيها أقسام داخلية أعطت اهتمامها لسكان البوادي وإيواء الأيتام والفقراء ليعيشوا داخل الكنيسة ويتلقوا فيها تعاليم النصرانية إلى جانب أدائهم لطقوسها الدينية.

أما البروتستانت فقد أسسوا ما عُرف بمدارس إرسالية «المينونيت»، وقد أعطت هذه المدارس اهتماماً خاصاً للمناطق الزراعية التي تتوافر فيها الأعداد الهائلة من السكان الأميين ويقل فيها الوعي الفكري والنضوج السياسي. ونظراً لوجود المدارس الكاثوليكية في العاصمة مقديشو وفي المدن الكبرى، فقد أسس البروتستانت مدارس كثيرة في «مهداي» وفي «جمامة»، وكانت أعمار التلاميذ في هذه المدارس تتراوح ما بين ٩ ـ ١٣ سنة والدراسة فيها مختلطة. وإلى جانب مهمتها التنصيرية كانت تقوم بنشر وتعليم اللغة الإنجليزية، وأنشأت قسماً لتعليم الكبار صباحاً ومساءً إلى جانب قيامها ببيع الكتب الإنجليزية[١].

أدرك الشعب الصومالي خطورة مدارس التنصير، وخاصة في عهد المجاهد محمد عبد الله حسن، المولود في ١٧ نيسان ١٨٦٤م والمتوفى ١٩٢٠م، والذي ظل يكافح ثلاثة عقود من الزمان، من

---

(١) انظر: «تاريخ التعليم في الصومال»، تأليف محمد علي عبد الكريم، وعبد القادر شيخ عبد الله، وعبد القادر شيخ يوسف، وعمر علسو أحمد، وأحمد جمعة محمد، مقديشو ١٩٧٨م، ص٥٨ ـ ٨٠.

عام ١٨٩٩م حتى عام ١٩٢٠م، وحارب فيها ثلاث دول هي: بريطانيا وإيطاليا والحبشة، ناهيك عن القبائل المحلية والعشائر التي تحالفت مع القوى الأوروبية ضده، وقد سجل العديد من الانتصارات، وأُجبر البريطانيون على استخدام الطيران لأول مرة في معارك القارة الأفريقية، ورغم ذلك عجز البريطانيون عن القبض عليه حياً أو ميتاً.

أما قصة تصدِّيه للبعثات التنصيرية في الصومال، فقد بدأت بعد أداء فريضة الحج عام ١٨٨٥م حيث أُتيحت له الفرصة للتعرف على مجموعة من الفقهاء والمشايخ المسلمين، والوقوف على أحوال المسلمين ومحاولات الأوروبيين تقطيع أوصال الأمة الإسلامية، ووقف على جهود البعثات التنصيرية التي تسعى لنشر النصرانية والتمهيد للاستعمار الأوروبي، وبعد عودته أعلن الجهاد ضد بريطانيا، وبمحض الصدفة التقى ذات يوم بمجموعة من الأطفال الصغار وهم في طريقهم إلى المدرسة الكاثوليكية في «بربرا»، وعرف أن المدرسة التنصيرية تقوم بتغيير أسماء الأطفال الصوماليين إلى أسماء مسيحية، فارتعدت فرائصه، وقام على الفور بإرسال شكوى إلى المقيم السياسي البريطاني في «بربرا» يطالب فيها بإبعاد المسيحيين والمنصِّرين عن أرض الصومال الإسلامية، وكان مرسومه، الذي أصدره عام ١٩٠٥م، خير دليل على هذا الإحساس بالخطر حيث أعلن في المرسوم: «حاربوا الوثنيين بالسيف والمنافقين باللسان، ولكن نظراً لأن بلادنا في هذه الأيام قد دخلت تحت حوزة الوثنيين الذين أخذوا أموالنا ونقلوا عنا أخبارنا، فإن حرب الوثنيين والمنافقين يجب أن يكون بحد السيف»[1]. ووجَّه

---

(١) «المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا»، تأليف د. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، عالم المعرفة، رقم ١٣٩، الكويت ١٩٨٩م، ص٢٢٤.

نداءً إلى قومه طالبهم فيه بعدم إطاعة المسيحيين، كما طالب بعدم تعليم الأطفال اللغات الأوروبية وأنه لا بد من تلقينهم مبادئ الدين الإسلامي وحفظ القرآن والعلوم الشرعية.

وبدأ السيد محمد عبد الله حسن حملة ضد الأعمال المنافية للشريعة الإسلامية، فطالب بإلغاء استيراد الخمور إلى البلاد، كما طالب بعدم إرسال الأطفال إلى المدارس التنصيرية، وجاءت حادثة عارضة لتزيد من تصلُّب محمد عبد الله حسن ضد المنصِّرين وبالتالي إلى اشتعال الموقف الذي أوشك على الانفجار، وأقصد حادثة القس الذي كان يقطن بجوار أحد المساجد في «بربرا»، وكان الأذان يؤرق مضجعه فقام بإطلاق النار على المؤذن فأشعل بذلك نار الحقد عند المسلمين. وبدأت طلائع الجيش الثوري ضد الأوروبيين، وظهرت حركة مقاومة التنصير والمنصِّرين، وقام المسلمون بهدم المركز التنصيري في «ديمول» ولاحقوا القسيس في محاولة الفتك به وتحطيم كل المراكز التنصيرية، ولما ازداد الموقف اشتعالاً اضطرت الحكومة البريطانية إلى طرد المنصِّرين وقامت بترحيلهم على ظهر باخرة إلى عدن، وتعهدت هذه السلطات بعدم السماح لهم بالعودة إلى الصومال ومنع بناء الكنائس في البلاد وفتح محلات لبيع الخمور[1].

انتهى النشاط التنصيري في شمال الصومال عام ١٩١٢م، أما في جنوب الصومال فقد كانت الحركة التنصيرية أقل حدة، وكانت تبتعد عن كل ما يسيء إلى العقيدة الإسلامية، وافتتحت بعض المدارس فيما بعد في «مهداي وأفجوى وبلدوين ومقديشو ومركة»

---

(١) راجع: «تطور حركة الجهاد الصومالي ١٩٠٠ ـ ١٩٦٠م»، تأليف تمام همام تمام، القاهرة، ١٩٨٣م، ص٣١.

لكنها لم تجد أتباعاً يعتنقون النصرانية، واستمرت المدارس التبشيرية إلى عهد الثورة الصومالية حيث قضت عليها نهائياً وأممت مدارسها الخاصة(١).

وهكذا فشل التعليم الأجنبي في الصومال بسبب المقاومة الإسلامية لهذا التعليم، وبسبب الوعي الديني حيث كان الصوماليون يعتبرون من يدخل هذه المدارس كافراً، ولم تحقق هذه المدارس، التي شملت مدارس للحضانة ومدرسة داخلية وفنية ومهنية، أيّاً من أغراضها التنصيرية والاستعمارية التي أُسست لأجلها، فقد كان المنصِّرون يهدفون إلى إعداد مترجمين وكَتَبة وجعل التعليم قاصراً على المرحلة الابتدائية، وحصر التعليم في فئة معينة من أبناء الصومال، ومحاربة اللغة الصومالية «السواحلية»، والقضاء على العادات والتقاليد الصومالية الحسنة، وتربية الشباب على الانحلال الخلقي والتقليد الأعمى لكل ما يأتي به الغرب، ومحاربة العقيدة الإسلامية والثقافة العربية عن طريق نشر الإلحاد والزندقة في المدارس التنصيرية، وخلق طبقة تتفاهم باللغات الاستعمارية وتترفَّع عن عامة الشعب، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمستعمرين لخدمة المصالح الاستعمارية، ولكن مقاومة الصوماليين خيَّبت آمال المنصِّرين.

وهكذا دافع الصوماليون عن دينهم وثقافتهم دفاع الأبطال، ولو حذت الأقطار العربية الأخرى حذو الصوماليين في مقاومة المنصِّرين والمستعمرين لأمكن التخفيف كثيراً من نشاطاتهم الخطرة.

---

(١) راجع: «تاريخ التعليم في الصومال»، مرجع سابق، ص٦٠.

وأخيراً، ما هي الآثار التي تركتها المدارس والجامعات الأجنبية في الوطن العربي حتى بعد جلاء المستعمرين؟! لا شك أن هذه المدارس والجامعات لم تترك إلا الآثار السلبية، فهذه الجامعات لم تنشر المعرفة ولم تساعد الأجيال العربية في الوقوف على التفكير العلمي، ولم تخلق كوادر قادرة على نقل التكنولوجيا الغربية أو امتصاصها، وفيما يلي طائفة من آراء الكتاب العرب الذين رصدوا بعض النتائج السلبية التي تركتها هذه المدارس والجامعات في الأجيال العربية.

يقول عبد المالك خلف التميمي، في كتابه «التبشير في منطقة الخليج العربي» ص١٧٧ : «كانت الجامعة الأمريكية في بيروت نموذجاً فريداً، فهي المركز الرئيس للإشعاع الفكري الغربي بصفة عامة والأمريكي بصفة خاصة، خاصة أن الأغلبية الساحقة من طلبتها عرب، وسجل التاريخ حقيقة فاجعة وهي أن ثلاثة أجيال من المفكرين والأدباء العرب على الأقل تلقوا العلم في رحاب هذه الجامعة فأثمرت فيهم أخطر ثمار الأيديولوجيا الغربية، فليست مصادفة على الإطلاق أن تكون منابر «الحرية الليبرالية» والاقتصاد الحر والرأسمالية الشعبية والأدب غير الملتزم والقوميات الإقليمية الشوفينية، وغيرها من الشعارات والمناهج المعادية لتقدم الوطن العربي وتطوره، هي المنابر المدعمة بأموال «فورد وروكفلر» والعلماء العرب من مثقفي الجامعة الأمريكية في بيروت».

أما غالي شكري فيقول في كتابه «أمريكا والحرب الفكرية» ص٢٨٠ : نشرت مجلة «ميدل إيست جورنال» دراسة أجراها أستاذ العلوم السياسية في الجامعة الأمريكية بالقاهرة في عام ١٩٨٢م،

وكانت حول الاتجاهات السياسية لطلاب الجامعة، وقد أكَّدت الدراسة النتائج الخطيرة التالية:

فعندما سألهم الباحث: إلى أي مجتمع تنتمي؟

كانت إجاباتهم: مصري ٧٠,٣١، عربي ١١٪، مسلم ٩,٦٪.

وحين سأل طلاب الجامعة: إذا تُركت لك الحرية لتختار جنسيتك، فماذا تختار؟

وكانت الإجابة: مصر ٧٤٪، أمريكا ٣٥٪، العالم العربي ٦,٣٪.

وعندما سألهم: أيّاً من الآتي يصف بصدق شخصية مصر السياسية؟

أجابوا: مصر قلب الأمة العربية ٥,٨٪.

مصر جزء من الحضارة الغربية وعالم المتوسط ٣,٩٪.

مصر أرض الفراعنة ٥٣,٩٪.

وعندما سألهم: هل مصر تنتمي إلى العالم العربي؟

أجاب بالرفض ٢٨,٩٪.

وحين سألهم: هل على مصر التزامات تجاه العرب؟

أجاب بالموافقة ٢٨,٨٪.

وهكذا تؤكد الدراسة أن عملية التغريب قد تركت آثاراً بالغة على طبقة الانتماء التي تميز هذه النخبة وأبناءها، ومعلوم أن طلاب الجامعة الأمريكية في الغالب من أبناء الصفوة في مصر، وهم الذين يتولون في الغالب مناصب قيادية، وتؤكد الدراسة أخيراً أن ٦٦٪ من أبناء النخبة من طلاب الجامعة الأمريكية قد فضَّلوا العمل بعد التخرُّج خارج مصر، وأن ١٣٪ فقط هم الذين قبلوا العمل في داخلها ولكن بمواصفات وشروط محددة.

أما «أسامة عيتاني» من لبنان، فيقول في دراسة له[1]:

«ولكن السياسة الداخلية والخارجية في عهد الاستقلال ما لبثت أن انقلبت إلى أسوأ مما كانت عليه في عهد الانتداب، فإذا هي في الدوائر والمؤتمرات والمهاجر لا تستهدف إلا غاية واحدة وهي إظهار لبنان كدولة طائفية تنظر إلى العرب كما تنظر إلى الياباني والصيني والهندي»، ويقول: «... سل أي طالب تخرَّج من معهد فرنسي أجنبي في لبنان عن أصغر نهر في فرنسا وعن موقع أي بلد شئت، وعن القادة والشعراء والأدباء، وعن مجمل أحوال تلك البلاد، فإنه يجيبك بالتفصيل، وسَلْه عن سوريا أو مصر، بل سَلْ عن لبنان نفسه تجده جاهلاً كل الجهل بهذا العالم الذي يعيش فيه، وهكذا قُلْ في الطالب الذي ينشأ في المدارس التبشيرية الإنكليزية والأمريكية والإيطالية.

إنَّ سيطرة أوروبا الثقافية لا تزال تحتل المركز الأول في حياتنا العقلية وثقافتنا الوطنية ومناهج تفكيرنا، فكيف تريدون أن تخلق تلك المدارس مواطنين صادقين يتحلون بالنزعة الوطنية الصادقة. إنَّ الوطنية الصادقة والإيمان القومي لا ينبثقان إلا من اللغة وآدابها ومن التاريخ والتربية الوطنية، فكلما درس الناشئ لغته كلما أحبها وآمن بقدرتها على الحياة والخلود، وكلما عَرف تاريخ بلاده ازداد تعلقاً بها وإيماناً بكرامتها.

لقد دخلت البعثات الأجنبية بلادنا منذ قرن وهي تحمل رسالة تبشيرية استعمارية، فاتخذت العلم ستاراً لها، وأصبحنا أمام

---

(١) نقلتُ رأي أسامة عيتاني من كتاب «ظلام من الغرب»، تأليف المفكر الإسلامي المرحوم محمد الغزالي، الناشر: دار الكتاب العربي بمصر، الطبعة الأولى ١٩٥٦م، ص١١٠ ـ ١١٢.

مدارس إيطالية وفرنسية وإنكليزية وألمانية وروسية وأمريكية مسؤولة عن هذا التبلبل الفكري والقومي، وهكذا اضطر المخلصون من أهل البلاد إلى إنشاء معاهد تقاوم هذا التيار الأجنبي الجارف وتقف في وجهه لتحفظ على قسم كبير من أهل البلاد دينهم وعروبتهم وتاريخهم، فكانت هذه المؤسسات نفسها تبشيرية وطنية، وظلت في نزاع عقائدي وثقافي مع المعاهد الأجنبية.

إن المعاهد الأجنبية في لبنان وفي أي بلد في العالم هي مراكز دعاية استعمارية لدولها، ومبعث تفرقة وتباغض لسكان البلاد. . . ولقد أدركت بعض البلاد العربية، منذ أمد قريب، خطورة هذه المعاهد الأجنبية فقاومتها بالأساليب الوطنية الفعَّالة حتى قضت عليها». ثم أضاف: «لا يجب أن نفرح بجلاء الجيوش الأجنبية عن بلادنا، بل يجب أن نفرح ونبتهج بجلاء المعاهد الأجنبية عن تفكيرنا وأرواحنا، فالجلاء عن الفكر والروح هو الجلاء الحقيقي».

أما المرحوم محمد الغزالي فيقول عن متخرجي المدراس والجامعات الأجنبية[1]: «هم قومٌ احتل الاستعمار نفوسهم وتوطَّن مشاعرهم، فلو جلت جيوشه عن أرضنا فإن تعاليمه لا تجلو عن نفوسهم ومشاعرهم. إنهم أمساخ صنعهم الغرب ثم سيَّبهم هنا وهناك ليشفي بهم غليله على الإسلام، ويهدم بهم معاقل المقاومة الحقيقية ضده، وهم سفراء فوق العادة للدول الاستعمارية». ويقول أخيراً: «إن للمعاهد الأجنبية رسالة بعيدة الأهداف تمشي إليها في خطوات حثيثة، لأن المخدوعين فيها جمٌّ غفير، ولأنها تحت عنوان العلم الذي لا وطن له، ومآربها متصلة بعمل الدول الغربية في

---

(١) انظر: «ظلام من الغرب»، محمد الغزالي، مرجع سابق، ص١١٢.

الشرق الذي احتلته بقواتها وأرسلت أبناءها وعملاءها في ثياب شتى ليمهدوا لها باللطف ما عز بلوغه بالعنف.

ثالثاً، التطبيب كوسيلة للتنصير: استخدم المنصِّرون مهنة الطب كوسيلة وغطاء للتنصير وبث أفكار هدَّامةٍ معادية للإسلام؛ وخالفوا بذلك قسمَ «أبقراط» وخانوا شرف هذه المهمة الإنسانية. وقد نظر المنصِّرون إلى الطب على أنه مُعين على التنصير، لا بل إن الأمريكيين اعتبروا الطب مشروعاً مسيحياً، وقد أكَّد ذلك عدد كبير من الأطباء المنصِّرين. ففي كتاب «الطبيب في بلاد العرب» قال «پول هاريسون»: «إنَّ المبشر لا يرضى عن إنشاء مستشفى ولو بلغت منافع ذلك المستشفى منطقة «عُمان»، لقد وُجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى».

أما المنصر «س. أ. موريسون» فقال في مجلة العالم الإسلامي التنصيرية: «نحن متفقون بلا ريب على أن الغاية الأساسية من أعمال التنصير بين المرضى الخارجيين في المستشفيات أن نأتي بهم إلى المعرفة المنقذة، معرفة ربنا يسوع المسيح، وأن ندخلهم في الكنيسة المسيحية». ويرى الكاتب، للتبشير بين هؤلاء المرضى، طريقين وهو يفضل أن يزور الطبيبُ المبشر المريضَ المسلم حتى يكون هذا المريض واسطة لجمع عدد غفير من المسلمين عنده في انتظار زيارة الطبيب، وحينئذ تكون الفرصة سانحةً حتى يبشر الطبيب بين أكبر عدد من المسلمين في القرى الكثيرة في طول مصر وعرضها[١].

أمَّا المنصِّر «رشتر» فأعلن صراحة أنه «يمكن للطبيب أن يخاطب

---

(١) انظر: «التبشير والاستعمار»، فروخ وخالدي، مرجع سابق، ص٥٩، ٦٠.

المسلمين في المستشفى بكلام لو سمعوا بعضه خارج المستشفى، ومن شخص غير الطبيب، لامتلأوا غيظاً وغضباً». أما المنصِّرة «إيرا هاريس» فنصحت الطبيب المنصِّر بما يلي: «يجب أن تنتهز الفرص للوصول إلى آذان المسلمين فتكرز لهم بالإنجيل، أي تنصحهم للمجيء إلى الكنيسة، وإياك أن تضيِّع فرصة التطبيب في المستشفيات فإنها من أثمن الفرص، ولعلَّ الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك: إن واجبك التطبيب فقط لا التبشير، فلا تسمع منه»[1].

وإذا استعرضنا جهود المنصِّرين في بناء المستشفيات والمستوصفات في الوطن العربي نجد أنهم بدأوا ببنائها في القرن التاسع عشر وفي أوائل القرن العشرين. فإلى جانب الجامعة الأمريكية في بيروت كان هناك مستشفى ولا يزال، وكذلك في القاهرة والمدن المغربية، وأول مركز أُنشئ للسل في المنطقة العربية أقامته الإرسالية الأمريكية عام ١٩٠٨م في بيروت بإشراف الطبيبة الأمريكية المُنصِّرة «ماري إيدي»، وفي شبه الجزيرة العربية بنى القس المنصِّر الطبيب «صموئيل زويمر» مستشفى «ماسون» في المنامة بالبحرين، ونظراً لطبيعة المنطقة وهوية الوصول إلى الأرياف الخليجية فقد قامت الإرسالية الأمريكية بإرسال الأطباء إلى تلك المناطق، مثل «شارون توماس» و«ستانلي ميري» والطبيب «الويس ويم» و«پول هاريسون» بالإضافة إلى «زويمر»[2].

واستغل هؤلاء عملية تقديم الأدوية والعلاج، وقد سهَّل مهمتهم

---

(١) انظر: «التبشير والاستعمار»، فروخ وخالدي، مرجع سابق، ص٦٢.

(٢) انظر: «دراسة الإمارات في كتابات المبشرين» إعداد د. فاطمة الصايغ، المنشورة في جريدة «الاتحاد» الظبيانية، ملحق الاتحاد الثقافي، عدد ٢٦/ ١٢/ ١٩٩٦م.

غيابُ العلاج والخدمات الطبية المحلية، فقد كان التداوي بالأعشاب هو الدواء الشائع في منطقة الخليج بالإضافة إلى الحِمْية والوشم والحجامة، وفي حالة كهذه كانت الحاجة ماسَّة للطب الحديث، فاستغل المنصِّرون هذه الأوضاع وقاموا بزيارات منظمة لكافة المناطق الخليجية والإمارات وعُمان وقطر والبحرين وغيرها.
واستخدم المنصِّرون في جولاتهم المواصلاتِ المتوفرة في تلك الأيام، فركبوا ظهور الحمير والجمال والسفن الشراعية والدراجات الهوائية التي عُرفت، تهكماً بين الأهالي، بـ«خيل إبليس»، وكان الأهالي قد لقبوا القسَّ الطبيبِ المنصِّر «صموئيل زويمر»، رئيس البعثة الأمريكية في الخليج، بـ«ضيف إبليس» رداً على قوله: إنني جئت إلى بلادكم ضيفاً عليكم، فإذا لم تقبلوني فإني ضيف الله. وفي الحال يرد عليه الناس: «أنت لست ضيفنا ولا ضيف الله أنت ضيف إبليس»[1].

والسؤال الآن: ماذا قدم المنصِّرون من خدمات لسكان الخليج العربي؟ تجيب على هذا السؤال الباحثة الإماراتية «رفيعة غباش» قائلة: «إنَّ الأمريكيين قد أرسلوا الأطباء إلى الخليج، ومن هؤلاء الطبيب «شارون توماس» إلى البحرين، وانطلق منها إلى الشارقة ودُبي ووزَّع نسخاً من الإنجيل، وقد تسترت البعثاتُ الطبية الغربية خلف المستشفيات وأقامت دكاكين لبيع الإنجيل»[2].

---

(١) راجع: جريدة «الاتحاد» الظبيانية، عدد ١٢/١٢/١٩٩٦م، الخميس ١ شعبان ١٤١٧هـ، ملحق الاتحاد الثقافي.

(٢) انظر: محاضرة رفيعة غباش، «الطب القديم في الإمارات»، المنشورة في جريدة «الاتحاد»، عدد ١٢/١٢/١٩٩٥م، و«خليج الحكايات»، تأليف خالد البسام، دار رياض الريس للنشر، لندن ١٩٩٣م.

وافتتح المنصِّرون مستشفيات أخرى، مثل مستشفى «سارة» في الشارقة، ومستشفى «الواحة» الكندي في مدينة «العين» الإماراتية، ولكن مما يلفت النظر هو أن المنصِّرين قد خلت قلوبهم من الرحمة ومن أي نوع من أنواع الشفقة، فعلى مرأى ومسمع منهم ومن السلطات الاستعمارية البريطانية فقد اجتاح وباء الجدري منطقة الخليج وأسفر عن هلاك «٦٠٠٠» إنسان في عمان والإمارات وحدها عام ١٨٩٧م، وحتى أنه عندما عاد الوباء مرة أخرى عام ١٩١٠م وقضى على «٥٠٠» شخص، فإن الأطباء لم يقدموا أية خدمة طبية، ولم يقوموا بأية محاولة للحد من انتشار هذا الوباء. وفي عام ١٩٣٤م، عاد وباء الجدري مرة أخرى وعندها تدخلت السلطات البريطانية لمجابهته ليس إشفاقاً منها على العرب بل لأسباب سياسية أهمها المنافسة الأمريكية، حيث أرسلت أمريكا عدداً من البعثات الطبية ليس عطفاً على العرب أيضاً بل لتمهد لحصول الأمريكيين على اتفاقيات نفطية.

وهكذا يتضحُ أنَّ المنصِّرين لم يأتوا لعلاج العرب، وأن الطبيبَ الغربي لا يحمل شرف المهنة، ولم يأتِ للتخفيف من معاناة المرضى بل أتى للتنصير والتمهيد للاستعمار.

وإذا نظرنا في أساليب المنصِّرين في مناطق عربية أخرى نجد أنهم استخدموا نفس الأساليب، ففي بلدة «الناصر» في السودان كانوا لا يعالجون المريض إلَّا بعد أن يحملوه على الاعتراف بأن الذي سيشفيه هو المسيح، وكان على المريض السوداني أن يركع ويسأل المسيح الشفاء، وذات مرة جاءت امرأة سودانية بطفلها إلى مستوصف تنصيري في السودان، ولكن الطريق كانت طويلة شاقة

فمات الطفل في الطريق، وبدلاً من أن يعزيها الطبيب المُنصِّر أخذ[1] يكرز عليها.

ومن الحيل التي استخدمها المنصِّرون في وادي النيل أنهم استخدموا ثلاثة مراكب في النيل وجعلوها مستوصفات نقّالة، وكانوا يعلنون عن مجيء الطبيب قبل وصوله بساعات، فيأتي الناس من كل مكان يحملون مرضاهم وينتظر الجميع قدوم الطبيب، وفي خلال فترة الانتظار يقوم فيهم من يُنصِّر وينصح ويرشد ويوجه إلى النصرانية بدون أدنى التفاتة لآلام المرضى الذين ينتظرون الطبيب المنقذ، في وضح الشمس الحارقة، ومثل ذلك كانوا يفعلون في بلدة الشيخ عثمان في اليمن والعراق والمغرب العربي.

بقي أنْ أذكر أن المنصِّرين استغلوا العنصر النسائي وأرسلوا الطبيبات المنصِّرات إلى البيوت والقرى النائية للاتصال مباشرة بالمرضى من النساء، وكذلك استغلوا مهنة التمريض وجعلوا من ملائكة الرحمة مُنصِّرات لا عاملاتٍ على تخفيف الألم والعناية بالمرضى، وهكذا كان، ولا يزال أمراً عادياً، أن يقبع طبيب منصِّرٌ أو ممرضة منصِّرة تحت سرير مريضٍ مسلم وأن يقولا له: «هذا الدواء تقدمُهُ لك العذراء، وهذا الطعام يهديك إياهُ المسيح»، وهكذا يستغلون الدين المسيحيَّ أبشع استغلال ويتنكرون لأبسط مبادئه التي تنادي بالمحبة والرحمة وإسعاد البشرية[*].

رابعاً، وسيلة العمل الإنساني: من الثابت أن جمعيات التنصير

---

(١) راجع: كتاب «التبشير والاستعمار»، مرجع سابق، ص٦٢.

(*) راجع: مقال محمود عبد الرحمٰن «أساليب المنصرين»، في جريدة «الاتحاد» ملحق حديث الصائم، عدد السبت ٧ رمضان ١٤١٦هـ الموافق ٢٧ يناير ١٩٩٦م.

المنتشرة في كل مكان على وجه الأرض تعمل على خلق الظروف الملائمة لممارسة النشاط التنصيري، بما في ذلك خلق الفتن وإثارة القلاقل وحتى الحروب الأهلية، إن لم تستطع إشعال نارها فإنها تغذيها في حال قيامها، والمتتبع لنشاطات الجمعيات التنصيرية يلاحظ أنها لا تُضيِّع فرصة مؤاتية إلا وتستغلها أفضل استغلال، والأمثلة على ذلك كثيرة، فعلى سبيل المثال لا الحصر: خلال الحرب الأهلية في لبنان ١٩٧٥ ـ ١٩٩٠م أرسل رئيس جمعية «أرض البشر» السويسرية «إدمون كايزر» خطاباً إلى الرئيس اللبناني عرض فيه استعداد جمعيته لتوفير أُسر بديلة للبنانيين من الأطفال الذي خلفتهم مأساة الحرب. يبدو للوهلة الأولى أن الدوافع الإنسانية هي التي حركت مشاعر «إدمون كايزر»، ولكن الحقيقة أنه كان يسعى لفتح المجال الرحب لنشاط جمعيته التنصيرية[1].

لم يكن «إدمون كايزر» هو الوحيد الذي استغل الحرب في لبنان لفتح المجال أمام النشاط التنصيري، فهناك جمعيات تنصيرية أخرى تحركت ونجحت في فتح المجال لعملها التنصيري، ومن ذلك زيارة «الأم تيريزا» ـ الحائزة على جائزة نوبل ـ «الألبانية الأصل» إلى بيروت الغربية أثناء الحرب، حيث قامت بنقل عدد من الأطفال اللاجئين إلى بيروت الشرقية لإيوائهم، وعلاج المصابين منهم ورعايتهم ومن ثم تنصيرهم، وكذلك قامت «جمعية إخوة الإيمان» الكندية في أكتوبر ١٩٨١م بإيواء «٦٠٠» من أطفال المسلمين في بيروت وصيدا، وقدمت العون والدعم في الكنائس الإنجيلية وفي مدارسها، وكذلك وجدت جمعيات التنصير مجالاً رحباً للنشاط

(١) انظر: مجلة «العربي» الكويتية، عدد آب ١٩٨٣م، مقال عن التبشير بين اللاجئين المسلمين، ص٤٤ ـ ٤٧.

التنصيري بين اللاجئين خلال الحرب العراقية الإيرانية، والتي أدت إلى تشريد مليون شخص من الجانبين، واستغلت جمعيات التنصير ظروف الأكراد في لبنان وكردستان في شمال العراق، وحتى أنها لاحقت الأكراد الذين فروا من العراق إلى أوروبا وأمريكا.

ومن الاستراتيجيات المتعددة في هذا الصدد توفير منصِّرين من الرجال والنساء يعرفون معلومات وافرة عن الدين الإسلامي، ويجيدون اللغات الكردية والعربية والفارسية وإرسالهم إلى لبنان للسعي إلى تنصير «٢٥٠» ألف كردي يعيشون في بيروت والمدن اللبنانية الأخرى، وهم من الفقراء، والسعي كذلك للتأثير على الأكراد الأتراك والعراقيين العاملين في أوروبا، وتقول المنشورات الصادرة عن المنظمات التنصيرية[١]، إن جهوداً تبذل لتنصير الأكراد في أوروبا وأمريكا، وتعمل هذه المنظمات إلى تجنيد الأكراد أنفسهم للعمل في إذاعات مسيحية موجهة إلى كردستان، وإجراء بحوث عن اللهجات الكردية تمهيداً لإعداد ترجمات للإنجيل (بطبعاته المتعددة) وإعداد منشورات وأشرطة صوتية باللغة الكردية لتوزيعها في أوروبا على الأكراد وفي كردستان ذاتها.

وحتى النزاع المسلح بين أثيوبيا والصومال، والذي كان ينتج عنه كل مرة ألوف اللاجئين، فقد استغل المنصِّرون هذا النزاع لتنصير المسلمين، وعندما اشتعلت نيران الحرب الأهلية في الصومال، بعد سقوط حكم «سياد بري» ١٩٩٢م، استغلت المنظمات التنصيرية هذه الحرب، التي لم تنتهِ بعد، أفضل استغلال. ففي الصومال اليوم أكثر من «١٢٠٠» جمعية تنصيرية جاءت من أمريكا ومختلف

---

(١) راجع: جريدة «الاتحاد»، ملحق حديث الجمعة، عدد ٢١/ ٥/ ١٩٩٣م.

الدول الأوروبية لتتسابق في الظاهر على تقديم المعونات الإنسانية، من غذاء وملابس وخيام وإيواء اللاجئين والأيتام، ولكن الحقيقة هي أن المنصِّرين يتسترون في ثياب العمل الإنساني ليقوموا بتنصير الصوماليين وخاصة الأطفال. فعلى سبيل المثال، قامت جمعية «جيش الخلاص» التنصيرية، التي تأسست في لندن عام ١٨٥٦م ولها فروع في عدد من دول العالم، بنقل عدد من الأطفال الصوماليين إلى أوروبا لتربيتهم تربية نصرانية إنجليكانية خارج وطنهم، وهناك جمعيات أوروبية أخرى قامت بالعمل نفسه، وأكد مرصد أفريقيا لحقوق الإنسان أنَّ الحرب الأهلية في الصومال أدت إلى وجود أعداد كبيرة تقدر بالآلاف من المعوَّقين والجرحى الذين يحتاجون للرعاية والإيواء، وهذا ما ساعد على جعل الصومال مركزاً لمئات الجمعيات التنصيرية.

ولم يكتفِ المنصرون بتنصير أطفال الصومال بل قاموا، تحت ستار تبني الأيتام، بتنفيذ واحدة من أبشع عمليات استغلال الطفولة في إطار عملية دولية واسعة النطاق لتجارة الأعضاء الداخلية، وقد قامت جريدة «الشرق الأوسط» بالكشف عن هذه الفضيحة(١)، وأكدت الصحيفة في نبأ خاص أن التقديرات الأولية تشير إلى رقم لا يقل عن المئات من الأطفال الصوماليين الذين يتم بيعهم على هذا النحو إلى مختلف أنحاء العالم عن طريق المركز الرئيسي للعمليات في العاصمة الإيطالية «روما»، وأضافت الصحيفة أن معلومات وردت حديثاً للجهات الأمنية المختصة في إيطاليا تشير إلى منظمة إجرامية صومالية إيطالية تضم شخصيات من مستويات اجتماعية

---

(١) انظر: صحيفة «الشرق الأوسط» السعودية، الصادرة في لندن، أيلول ١٩٩٨م.

مرموقة، تعمل، منذ بداية الحرب الأهلية في الصومال، بتسويق أطفال الصومال عبر إيطاليا بسعر «٢٦» ألف دولار لكل طفل، ويصل الأطفال إلى روما من خلال تنقل أزواج صوماليين مهاجرين بين عدد من العواصم الأوروبية توضع في جوازات سفرهم المزوَّرة أسماء أطفال على أنهم أبناء لهؤلاء الأزواج، ومرافقون لهم، وفي إيطاليا يتم تسليمهم للطرف الإيطالي الذي يتولى نقلهم إلى أماكن سرية توطئة لنقلهم إلى وجهات دولية تالية في أوروبا وأمريكا وكندا وغيرها من البلدان، حيث يُقتلون وتُستخدم أعضاؤهم الداخلية لدى بعض الأوساط الطبية في البلدان الصناعية المتحضرة!

وفي جيبوتي، التي تتعرض للجفاف باستمرار، يقول مدير المعهد الإسلامي إنَّ النشاط التنصيري يزداد في البلاد بصورة مفزعة، وخاصة أثناء تفاقم المجاعات وازدياد مخاطر الجفاف[1].

وفي السودان التي تدور فيها رحى الحرب الأهلية منذ «١٦» عاماً، والتي أدت إلى تشريد ملايين السودانيين، وإلى إعاقة عشرات الألوف، وإلى تَيَتُّم عشرات الآلاف أيضاً، يقول «أحمد محمد شنتور»، وكيل وزارة التخطيط الاجتماعي في السودان، إن بلاده تتعرض لحملات تنصيرية مكثَّفة خاصة في الجنوب، حيث تقوم منظمات التنصير بتقديم المساعدات الإنسانية ومن ثم تنصير المسلمين والوثنيين، وتقوم بتقديم الكتب المسيحية بمختلف اللغات واللهجات السائدة في جنوب السودان، وتقوم كذلك بإعداد الدورات التدريبية في المخيمات لتدريب المنصِّرين وتزويدهم بالمهارات والكفاءات العالية لتحقيق أهداف التنصير، وكذلك تقوم بتقديم الإمكانات المادية اللازمة للإسراع في تحقيق هذه الأهداف.

---

(١) انظر: جريدة «الاتحاد»، عدد ٣ حزيران ١٩٩٤م.

وذكر «محمد أحمد شنتور» أن منظمة «أفريقيا التحدي الدائم» والتي تتخذ من «نيروبي»، عاصمة كينيا[1]، مركزاً لها، تقوم بإعداد مشروع شامل لتنصير المسلمين في السودان ومنطقة شرق أفريقيا، وقد وردت تفاصيل هذا المشروع في منشور حصل عليه مراسل وكالة الأنباء الإسلامية ووزعته هذه المنظمة على عدد من أتباع الكنائس المختلفة والطلبة المسيحيين في المعاهد العليا، وتتضمن الخطة «المشروع» السعي لتصحيح الفكرة الخاطئة المطبوعة في عقول المسلمين عن المسيحية. وتشتمل الخطة إعداد مجموعة من المثقفين لدراسة اللغة العربية والدين الإسلامي ليتمكنوا من تدريس مادة الدين الإسلامي في المدارس الحكومية بالطريقة التي تخدم فيها أهداف التنصير، وقد أكَّد الداعية «صديق محمود محمد»، الأمين العام لهيئة إحياء النشاط الإسلامي بالسودان، والتي تأسست عام ١٩٧٤م، للتصدي لحملات التنصير، أن جنوب السودان يتعرض لغارة صليبية هدفها ليس فقط نشر الثقافة الغربية[2] المسيحية في جنوب البلاد وفي بلاد النوبة وفي غرب السودان، منتهزة فرصة الحرب الأهلية هناك، والتي تعمل تحت شعار الإغاثة، بل امتد عملها في أواسط وشمال السودان أيضاً، وأوضح الداعية الشيخ «صديق محمود محمد»: «إننا، كدعاة على أرض الواقع، نرى أن ما يؤتى به باسم الشفقة والرحمة الإنسانية ما هو إلا حرب على الإسلام والمسلمين، ومثال ذلك نجد شاباً مسلماً يحمل الإنجيل والصليب فنسأله: ما هذا؟ فيقول: كُتيِّب صداقة أو صليب صداقة»، وهذا يعطيه الحق في توزيع الملابس كصديق.

---

(١) انظر: جريدة «الاتحاد»، عدد ١٩/ ٢/ ١٩٩٦م.

(٢) انظر: جريدة «الاتحاد»، حديث الجمعة، عدد الجمعة ٤ جمادى الأولى ١٤١٩هـ الموافق ٢٥ سبتمبر/ أيلول ١٩٩٨م.

وذهب المنصِّرون إلى أبعد من ذلك بإغراء الصبية الصغار بقليل من اللبن أو العدس أو السكر وجرعة دواء لتكون مدخلاً لتحفيظه بعض الترانيم المسيحية وهو مسلم الأصل والانتساب. وفي رأيي أنه في المستقبل القريب قد تتبدل هذه الصداقة إلى أبعد مما نتصور، وقد تكون عداءً للإسلام لأن القصور الذي يلمسه هذا الصبي من بني جلدته حريٌّ بأن يدفع به إلى أحضان أولئك، وبالتالي يتحقق الهدف الذي يرمي إليه المنصِّرون، ويتحقق لهم ضرب الإسلام بأبنائه.

أما المجاعات التي تنتشر في موريتانيا وجيبوتي والصومال فقد جاء في كتاب «الفرصة العظمى للمسيحية»، وتحت هذا العنوان خريطة العالم الإسلامي كُتب تحتها اسم الجمعية التي أصدرته، وهي «إخوة الإيمان من أجل المسلمين» ولها فروع في كندا وأوستراليا ونيوزيلندا، وبداخله مقال عنوانه عنوان كُتِبَ لشخص اسمه «ريموند جويس»، يقول في الصفحة السادسة منه: «إنَّ الجمعيات المسيحية التي تعمل في ظروف معينة وسط مناطق المجاعات ومعسكرات اللاجئين، تقدم عطف المسيح وحنانه لأولئك المسلمين التعساء الذين يعيشون في بلدان مثل الصومال وبنجلاديش وباكستان». ويضيف كاتب المقال(١): «إنَّ أوضاع العالم الإسلامي مؤاتية لنا أكثر من أي وقت مضى بسبب التمزقات والاضطرابات التي تسوده من صراعات بين السُّنَّة والشيعة إلى نزعات للتطرُّف روَّعت الجميع، وأثارت خوف الكثيرين من الإسلام». ثم يصرح «ريموند جويس»: «ورغم أن العديد من

---

(١) راجع: كتاب «أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية»، د. عبد الودود شلبي.

المؤتمرات الإسلامية دعا إلى وقف نشاطات المبشِّرين ومدارسهم وملاجئهم التي تمارس عملها في بلاد المسلمين إلّا أن هذه المؤسسات لم تتوقف عن تقديم خدماتها، فضلاً عن أن ثمة دلائل على أن تلك الخدمات أصبحت تُؤدَّى الآن بموافقة الحكومات الإسلامية أو بدعوة صريحة من جانبها».

ومما يدعو للأسف أن نؤكد أن كلام «ريموند جويس» صحيح خاصة فيما يتعلق بموافقة بعض الحكومات الإسلامية على تقديم الخدمات والمعونات أو حتى أنها، كما أكَّد، فإن بعض الحكومات الإسلامية تدعو الجمعيات التنصيرية لتقديم خدماتها خلال المجاعات والظروف الاستثنائية.

وأخيراً، تعاني أرتيريا، المستقلة عام ١٩٩٣م، والتي خاضت حرباً طويلة ضد الحبشة من أجل الاستقلال، من نشاط تنصيري خطير واسع بعد حصولها على الاستقلال، وخاصة في إقليم «بركة»، رغم أن ٩٨٪ من سكانه مسلمون، ويمثل هذا الإقليم القوة الاقتصادية البشرية الحاسمة للمسلمين في أرتيريا. ويركز المخطط التنصيري نشاطه في إقامة الكنائس في المناطق الهامة بإقليم «بركة»، وقد أقيمت بالفعل عدة كنائس في كلٍّ من «دعيلا عبد الله» الواقعة في «ثمارات» المحاذية للحدود مع السودان، وفي منطقة «كرامشي» التابعة لمركز «هيكوته تورفوا» بمنطقة «ساوا» «القاش» و«بتسكيت كيروا هو ميب في ساوني»، وفي «حمرت كليوى هدمدمي» ومحافظة «برانتوا»، وتقول مصادر أرتيرية مُطَّلعة إنَّ المخطط الكنسي يستهدف من إقامة الكنائس الزعم بوجود مسيحي تاريخي في إقليم «بركة»، وذلك لتبرير الاستيلاء على أراضي المسلمين ومنحها للمسيحيين بعد جلبهم من إقليم «التيجراي»

وأثيوبيا، ومعلوم أن المسيحيين يتواجدون في المرتفعات الأرتيرية وفي ثلاث مناطق هي: «حماسيسن» و«أكلوكيزاي ويراي»، وهذه المناطق محاطة بحزام إسلامي يتكوَّن من ستة أقاليم.

بقي أن أذكر أن أوروبا تربط مساعداتها لأرتيريا المستقلة حديثاً، والتي تحتاج إلى مساعدات مختلفة، بتحقيق تقدُّم ملموس في جهود التنصير وبناء الكنائس، وأن وزارة التجارة الأرتيرية قد فرضت مؤخراً شروطاً قاسية على التجار الأرتيريين في العاصمة «أسمرا» بهدف إبعاد المؤسسات التجارية الإسلامية[١] عن العاصمة. وهكذا يتضح التعاون الوثيق بين أوروبا ومنظمات التنصير والحكومة الأرتيرية على حرب الإسلام بكل الوسائل والطرق.

---

(١) انظر: جريدة «القبس» الكويتية، عدد ٥ أيار ١٩٩٥م.

الفصل الخامس

وسائل النشاط التنصيري في أفريقيا

الثابت تاريخياً أنَّ أفريقيا أول قارة في العالم تعرَّفت على الإسلام في العهد النبوي الشريف على أيدي المهاجرين الأوائل من الصحابة، الذين هاجروا إلى الحبشة في الهجرة الأولى فراراً بدينهم وعقيدتهم من الاضطهاد القُرَشي، وذلك في العام الخامس للبعثة النبوية الشريفة. ففي السنة الخامسة للهجرة أرسل النبي ﷺ «حاطبَ بن أبي بلتعة» إلى المقوقس، عظيم القبط في مصر، يدعوه إلى الإسلام، ويقول المؤرخون والباحثون إن عملية انتشار الإسلام في أفريقيا قد تميَّزت بطابعها السلمي واستجابة الناس طواعية للدعوة الإسلامية، كما لم يسجل التاريخ الأفريقي وجود أدنى معارضة للوجود الإسلامي بالأرض الأفريقية، وكان ذلك بمثابة البذرة الإسلامية التي زُرعت في البيئة الأفريقية منذ ذلك الوقت.

ويرجع تاريخ أول معاهدة للحفاظ على أمن الأقليات المسلمة ومقدساتها الإسلامية في أفريقيا إلى السنة الثالثة للهجرة، وقد وقَّع على هذه المعاهدة، عن الجانب الإسلامي، الصحابي «عبد الله بن أبي سرح» القرشي، وعن الجانب الأفريقي الملك «قليدروث» ملك النوبة في ذلك الوقت، وعرفت هذه المعاهدة بمعاهدة «اليقط».
ومن البنود التي وردت في هذه المعاهدة بندان يتغافل عن ذكرهما العديد من المؤرخين، رغم أهميتهما في إرساء معالم استراتيجية

الحفاظ على أمن الأقليات المسلمة، وصيانة المساجد، وتقرير حق إقامة الشعائر الدينية الإسلامية بحرية تامة بدون اعتراض من مجتمع الأغلبية التي تعيش في نطاقه الأقلية المسلمة، لا بل إنَّ المعاهدة ألزمت جانب الأغلبية أن يتولى نظافة المساجد ورعايتها وإنارتها، وضمنت المعاهدة «اليقط» للأقلية المسلمة في بلاد النوبة، وكذلك للقوافل التجارية التي ترد إلى البلاد من شبه الجزيرة العربية، حق اجتياز بلاد «المقرة» بالنوبة في أمن وسلام، كما ألزمت نصوص معاهدة اليقط أهل النوبة من المسيحيين أن يحافظوا على نظافة المسجد الذي بناه المسلمون بالعاصمة «دنقلة»، وعدم المساس بحرمة وأمن المصلين.

وطبقاً للمعاهدة فلا يحق للنوبي أن يمنع أحداً من المصلين من تأدية شعائر الإسلام، وقد التزم أهل النوبة بنصوص معاهدة «اليقط» واحترموا عهدهم للمسلمين. وتدل هذه المعاهدة على أن العلاقات الإسلامية الأفريقية قد أخذت طابع الاحترام المتبادل والتسامح الديني وعدم إثارة الصراعات العقائدية، وقد أدى ذلك إلى اعتناق أحد ملوك النوبة للإسلام في عام «٧١٧م»، وحوَّل جزءاً من قصره الملكي إلى مسجد، وهو المسجد المعروف اليوم بجامع «دنقلة» العتيق[١]. ومن المعروف أن المسلمين قد تمكَّنوا وبسهولة من فتح مصر سنة (٢٠هـ) وبرقة سنة (٢١هـ) وطرابلس الغرب سنة (٢٢هـ) وقرطاجة سنة (٢٧هـ)، وسائر شمال أفريقيا، بما في ذلك موريتانيا.

وتوالت في العصر الأموي حركة المد الإسلامي، ففي عهد هشام بن عبد الملك ـ الخليفة الأموي ـ أرسل المسلمون حملة إلى

---

(١) انظر: جريدة «الشرق الأوسط»، الصادرة في لندن، العدد ٥٢٩٦، تاريخ السبت ٢٩/٥/١٩٩٣م، ص٢٢.

أفريقيا والمغرب لنشر الإسلام وحفر الآبار، وكذلك لعبت التجارة دوراً كبيراً في نشر الإسلام، وسرعان ما تحوَّلت سواحل الصومال وكينيا وتنجانيقا إلى مراكز للتجارة وإلى مراكز إشعاع ديني، ومنها انطلقت الدعوة للإسلام ليعم الجزء الأكبر من أفريقيا.

وبعد هذا الانتشار الواسع للإسلام في أفريقيا، عمد الأفارقة إلى الجهاد من أجل نشر الإسلام، فأسسوا دولاً وأقاموا ممالك وواجهوا أعداء الإسلام من وثنيين وغيرهم، ومن أمثلة هذه الدول «دولة الموحدين» (٥١٥ ـ ٦٧٤هـ)، ودولة المرابطين، ومملكة «التكرور»، ودولة غانة، ودولة مالي، ودولة الفونج الإسلامية، وغيرها كثير...

نتائج الفتح الإسلامي لأفريقيا

أول ما نتج عن هذا الفتح هو اتساع دائرة العروبة، فلم تعد قاصرة على شبه الجزيرة العربية، والأهم من ذلك هو استعراب أقوام أفريقية من خلال المصاهرة وتعلُّم اللغة العربية، وفي مقابل الاستغراب ظهر التأفرق، حيث انصهرت جموع كثيرة من العرب الفاتحين في المجموعة الأفريقية مما أدى إلى تكوين سلالة جديدة، ويرى المؤرخون أن ظاهرتي الاستعراب والتأفرق تؤكدان حقيقة الدور الفاعل للإسلام في صياغة هوية أفريقية متميزة ذات جذور اجتماعية إسلامية تضرب في أعماق الأرض والتاريخ، ويؤكد الباحث الدكتور «الخليل النحوي»: «إن ظاهرتي استعراب الأفارقة[1] وتأفرق العرب تدلان على سماحة الإسلام الذي يقوم

(١) راجع: كتاب «أفريقيا المسلمة الهوية الضائعة»، الخليل النحوي، إصدار دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م.

على مبدأ المساواة وعدم التمييز بين الأجناس والأعراق، فالجميع إخوة في الإسلام». ويؤكد الباحث «النحوي»: إن أهم مظهر لحركة الاستعراب في أفريقيا يتجلى في مسألة اللغة العربية التي أصبحت بفضل انتشار الإسلام، لغة عالمية ولم تعد لغة محلية، لأن الله اختارها لتكون أداة للتخاطب بين الناس أجمعين(*). ويرى «النحوي» وغيره من الباحثين أن اللغة العربية قد أفادت اللغات الأفريقية في ناحيتين:

الأولى: حل مشكلة التعدد اللغوي، إذ يقدِّر العلماء عدد اللغات الأفريقية بما يربو على «٧٠٠» لغة، هذا فضلاً عن آلاف اللهجات، وبصفتها ـ أي العربية ـ لغة جامعة، فقد قامت بدور قناة الاتصال بين المجموعات العرقية واللغوية المختلفة في تلك القارة، حتى أصبحت اللغة العربية، وفقاً لما يقوله «توماس أرنولد» مؤلف كتاب «الدعوة إلى الإسلام»، لغة التخاطب بين قبائل نصف القارة الأفريقية، كما صارت أداة لربط الأفريقي بماضيه وتراث آبائه وأجداده.

الثانية: تنمية اللغات الأفريقية وتكوين لغات جديدة، فقد اقتبست بعض اللغات الأفريقية الكثير من المفردات العربية، مثل اللغة «الملفاشية» التي تأثرت بالعربية في عدة مجالات منها مصطلحات التجارية وأسماء أيام الأسبوع، وفي كنف اللغة العربية تكوَّنت وتنامت مجموعة من اللغات الأفريقية، مثل: «السواحلية والهوسية والفلانية واليوروبية والماندنكية والولفية»، وأكَّد الباحثون أن تعريب اللغات الأفريقية قد خلَّصها من الشفوية وحوَّلها إلى

(*) هذا نظراً لعالمية الرسالة التي جاء بها رسول الله محمد ﷺ.

لغات مكتوبة، وأن التعريب قد أكَّد وأظهر شخصية هذه اللغات ومكَّنها من أن تنمو وتشع، وخير دليل على ذلك كتب الأدب الإسلامي المدوَّن باللغات الأفريقية.

وسائل التنصير في أفريقيا

يعود تاريخ التنصير في أفريقيا إلى القرن الخامس عشر الميلادي، وقد تزامن التنصير مع حركة الكشوف الجغرافية الأوروبية. ففي هذا القرن وصلت أول بعثة كاثوليكية إلى القارة السوداء، أما البعثات البروتستانتية فقد توافدت إلى أفريقيا بعد أن مهَّد لها «دافيد ليفنجستون» ١٨١٣ ـ ١٨٧٣م، الرحّالة البريطاني الشهير الذي كان منصِّراً وعضواً في جمعية التبشير اللندنية، وكان أهم هدف لرحلته في أفريقيا، والتي اخترق بها أواسط القارة، هي اكتشاف الطرق التي يمكن أن يسلكها المنصِّرون من بعده، ويمكن القول، وبكل ثقة، إن حملات التنصير في أفريقيا قد واجهت، ومنذ بداية نشاطها، عقبة كؤوداً وهي الدين الإسلامي، فقال «المستر بلس»، وهو من كبار المنصِّرين: إنَّ الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدُّم التنصير في أفريقيا، والمسلم فقط هو العدو اللدود لنا، وذلك لأن انتشار الإنجيل لا يجد معارضة، بسبب جهل السكان ووثنيتهم، ولا مناضلة من الأمم المسيحية، وليس خصمنا هو العربي الذي يرتاد البلاد للاتجار بالرقيق، لأن هذه التجارة صارت صعبة، بل إنَّ الخصم المُعارض هو الشيخ أو الدرويش صاحب النفوذ في أفريقيا أكثر مما هو كذلك في فارس، فالشيخ والدرويش يجوبان شواطئ البحر الأحمر والنيجر والمغرب ووادَاي، ويبثان في الأهالي: أن الإمام المهدي ينتظر ظهوره وسينشر الإسلام في كل الأقطار، وقد ظهر مهدي منذ سنين

فحارب الإنكليز ثم توفي، فتولى الأمر بعده خليفة غُلب على أمره، أما الشيخ السنوسي العدو الألد للنفوذ الفرنسي والإنكليزي فله تقاليد أخرى[1].

ومما يجدر ذكره أن المنصِّرين قد دخلوا أفريقيا قبل المستعمرين، ومهَّدوا لهم كافة السُبل والطُرق، وخلقوا لهم الأجواء الملائمة، وبعد وصول القوات الاستعمارية الغربية إلى أفريقيا قام تعاون كامل ووثيق الصلة بين المنصِّرين والمستعمرين لأن الهدف واحد، ألا وهو استعمار أفريقيا ومحو معالم الإسلام والحضارة الإسلامية العريقة في القارة الأفريقية، ولكن، والحق يقال، لم تكن مهمة المنصِّرين وأسيادهم سهلة، ولم يكن طريقهم مفروشاً بالورود والرياحين، بل قوبلوا بجهاد عظيم قاده زعماء الحركة الإصلاحية الإسلامية «القادرية» وغيرها في أفريقيا، ومن هؤلاء أذكر المجاهد «عثمان بن فودي» الذي نجح في تأسيس امبراطورية إسلامية واسعة طبَّقت الشريعة الإسلامية في أوائل القرن التاسع عشر، وزعيم امبراطورية «التوكولور» الحاج «عمر التكروري» الذي حمل معه الطريقة التيجانية إلى بلاد «التوكولور» في غرب أفريقيا واستشهد عام ١٨٦٤م وهو يقاتل الفرنسيين، والمجاهد الحاج «محمد الأمين» الذي قاد الجهاد ضد الفرنسيين، في منطقة «سانجامبيا» وظل يقاوم فرنسا حتى استشهاده في آخر يوليو ١٨٨٧م، والمجاهد «ساموري» الذي جاهد ضد التوسُّع الفرنسي في غرب القارة حوالي سبعة عشر عاماً ولم يتوقف جهاده حتى عام ١٨٩٨م، و«رابح فضل الله» الذي جاهد ضد الفرنسيين والبرطانيين إلى أن سقط شهيداً في ١٢ نيسان ١٩٠٠م، و«محمد عبد الله حسن» الذي قاد المقاومة في شمال الصومال لمدة «٢٠» عاماً.

---

(١) انظر: «الغارة على العالم الإسلامي»، مرجع سابق، ص١٥.

وبعد هذا الجهاد تمكَّنت قوى الشر «إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا وهولندا والبرتغال وألمانيا» من بسط سيطرتها على القارة الأفريقية، وقد اصطبغت هذه الحملات الاستعمارية بصبغة واضحة، فقد كانت بمثابة حملة صليبية جديدة لأن جيوش الغزاة كانت مصحوبة بدعاة التنصير «الكاثوليك والبروتستانت».

وعمل المستعمرون والمنصِّرون على مسخ الهوية الإسلامية لأفريقيا واستلابها حضارياً وغزوها فكرياً، كما عملت الإدارة الاستعمارية على محاربة الإسلام في أفريقيا خصوصاً لأنه كان يمثِّل وقود حركة المقاومة ضد الاستعمار.

وسائل النشاط التنصيري في أفريقيا

أولاً: محاربة اللغات السائدة في أفريقيا: شنَّ المنصِّرون والمستعمرون حرباً شاملة ضد اللغات السائدة في أفريقيا، وقامت إرساليات التنصير بترجمة كتبها ومنشوراتها إلى بعض اللغات الأفريقية كي تتمكن من شحن عقول الأفريقيين بأفكارها بطريقة أكثر فاعلية، ونشطت بعد ذلك نشاطاً واسعاً لنشر اللغات الأوروبية لا لكي تثقف الشباب الأفريقي بالتطورات الحضارية المعاصرة، بل لكي تسهل على نفسها مهمة نشر الأفكار الاستعمارية عن طريق جذب عقول الأفارقة إلى ثقافة البيض وإحساسهم بأنها الثقافة الحقة والوحيدة التي يجب الاتجاه إليها، ولكن اللغة الوحيدة التي صمدت طويلاً في وجه التنصير والاستعمار في أفريقيا هي اللغة العربية التي ذكرتُ أنها كانت قد انتشرت انتشاراً واسعاً مع الفتوحات الإسلامية، وقامت بدور رائد في تعريب الأفارقة، إذ بلغت جملة اللغات غير العربية التي كُتبت بحروف عربية نحو «٨٠» لغة، من بينها أكثر من «٣٠» لغة أفريقية، بينها اللغات الكبرى التي

تنتشر في عدة دول «السواحلية والهوسا والفلانية والماندنكية»[1]، وقد أدركت البعثات التنصيرية وقوى الاستعمار في أفريقيا قوة ارتباط المسلمين الأفارقة باللغة العربية وبالحرف العربي، فاضطرت للوهلة الأولى إلى التعامل مع هذا الواقع بانتظار مجيء الفرصة المناسبة للإجهاز على اللغة العربية، ومن ذلك أن فرنسا استخدمت الحرف العربي في التعامل مع بعض مستعمراتها الأفريقية، كما أفادت إرساليات التنصير من الحرف العربي في سعيها لنشر النصرانية في أفريقيا، فترجمت الإنجيل إلى عدد من اللغات الأفريقية مكتوبة بالحرف العربي.

وكان استخدام الحرف العربي في مثل هذه الأعمال، وفي بعض نشاط الإدارة الاستعمارية، عبارة عن حيلة مؤقتة لتيسير التواصل مع السكان في فترة كانت لغات المستعمرين تلقى فيها مقاومة عنيدة، ويذكر الباحثون أن تدعيم أركان السيطرة الاستعمارية في أفريقيا قد اقترن به تعزيز مواقع اللغات الغربية وانتشار الحرف اللاتيني وأفول نجم الحرف العربي، وكان الهدف الاستعماري من محاربة اللغة العربية هو طمس الهوية الثقافية للأفارقة وقطع كل الصلات التي تربط الأفارقة بتراثهم الإسلامي، وقد اتخذ المنصِّرون إجراءات عديدة للقضاء على الحرف العربي، ومن ذلك:

١ ـ **منع استخدام الحرف العربي** في المدارس والدوائر الرسمية والوثائق الحكومية في شمال أفريقيا، وفرض الكتابة بالحروف اللاتينية.

---

(١) انظر: «أفريقيا المسلمة الهوية الضائعة»، تأليف الخليل النحوي، الفصل الثاني، مرجع سابق.

٢ ـ **العمل على تنمية اللغات الأفريقية** وتدوينها باستخدام أبجدية واحدة، ولكن مع التركيز على الحرف اللاتيني دون غيره، ومثال ذلك ما قام به الإنجليز في الصومال حيث أحيوا اللغة السواحلية، وهي لغة مكتوبة بأبجدية عربية، وعندما نجحوا في ذلك فرضوا الحرف اللاتيني على السواحلية حتى يتيسَّر لهم في النهاية نشر الإنجليزية. وقد تمكن المستعمرون من خلق مجموعات من أبناء الشعوب الأفريقية ذاتها لتتزعم هذه الدعوة، أي الدعوة إلى الكتابة بالحرف اللاتيني، وقد حقق المستعمرون نجاحاً في مساعيهم هذه، مثال ذلك ما حدث في الصومال بعد استقلاله، فقد كانت المفاجأة أن هذه الدولة، التي طلبت الانضمام إلى جامعة الدول العربية، قامت في الوقت نفسه باتخاذ قرار بكتابة اللغة الصومالية بالحرف اللاتيني عام ١٩٧٢م.

٣ ـ **إقامة عدد من مؤسسات الطباعة والنشر** في بلدان أفريقية للقيام بإصدار الكتب والمنشورات بالحرف اللاتيني، مثل «مؤسسة الحق» المهتمة بلغات غرب أفريقيا، و«مكتب شرق أفريقية للنشر»، وهو مؤسسة تهتم بالسواحلية بالدرجة الأولى.

٤ ـ **إصدار عدد من المعاجم** لربط اللغات الأفريقية باللغات الأوروبية، وقد نتج عن محاربة التنصير والاستعمار للُّغة العربية واللغات الأفريقية الأخرى نتائج خطيرة منها أن اللغات الوطنية، التي يبلغ عددها «٧٠٠» لغة، قد بقيت على حالها بلا كتابة، وأن قليلاً منها قد فُرضت عليه الأبجدية اللاتينية، وأن اللغات ذات الأصل اللاتيني قد أفادت في النهاية واستأثرت باهتمام المثقفين والكتاب لا لشيء سوى أنها تربطهم بالعالم الخارجي، ومن ثم كان تعدد لغات القارة الأفريقية وكثرتها عاملاً معوقاً لتطور الأدب

وانتشاره، لا لأن هذه اللغات قاصرة عن الوفاء بالتزامات الأدب وإنما لأن اللغات الأوروبية الجاهزة كانت في متناول الكتّاب والمثقفين بحيث وفَّرت عليهم مهمة تسجيل اللغات غير المكتوبة ومحاولة تنظيم قواعدها، وهي مهمة التفتت إليها الحكومات الجديدة إثر القضاء على السيطرة الاستعمارية[1].

ثانياً: وسيلة التعليم: قبل وصول إرساليات التنصير التي مهَّدت لقدوم الزحف، كان التعليم في أفريقيا على صلة وثيقة بالشؤون الأفريقية ومُلبياً لحاجات المجتمع، وكانت بعض جوانب هذا التعليم ذات صبغة رسمية ومرتبطة بأهداف المجتمع، كما كان التعليم مزدهراً في البلدان الأفريقية الإسلامية، وخاصة في غرب أفريقيا، وكان هناك عدد كبير من العلماء ودور العلم والطلبة والمساجد، وكانت حركة التدوين والتأليف مزدهرة، وانتشر القرَّاء والعلماء في الحضر والبوادي، وظهر عدد من العلماء المتمرسين في علوم الدين واللغة العربية، وهذا ما يؤكد انتشار الثقافة العربية الإسلامية في المنطقة وتأثر الأهالي بها. فقد وُجد في منطقة واحدة، وهي «تمبكتو»، آلاف الطلبة، ويُذكر أن عددهم قد تجاوز «١٨» ألف طالب، وكان للعلماء سلطات حتى على الملوك، وفي «تمبكتو» وحدها كان يوجد «١٥٠» مكتباً لتعليم الصبيان المواد الإسلامية، وكانت عملية شراء الكتب منتشرة ورائجة، ولذلك انتشرت المكتبات، وكان بعض العلماء يوزعون الكتب مجاناً على طلبة العلم[2].

---

(١) انظر: «الأدب الأفريقي»، د. علي شلش، «سلسلة اقرأ»، العدد ٢٤٨، دار المعارف، مصر، ص٣٧.

(٢) انظر: مقال «دور الاستعمار في تغريب أفريقيا»، د. عز الدين موسى، المنشور في جريدة «الشرق الأوسط»، العدد ٦٠٤٧، تاريخ ١٩/ ٦/ ١٩٩٥م.

وهكذا يتضح أن التعليم الإسلامي كان واسع الانتشار في المستوى الأَوَّلي، وكان متاحاً في مستوى المرحلة الثانوية والجامعية، مثل جامعة «تمبكتو» وجامعة القرويين وغيرهما، وعند وصول إرساليات التنصير، المتحالفة مع قوى الاستعمار، فإنهم لم يُدخلوا التعليم إلى أفريقية، بل أدخلوا مجموعة جديدة من المؤسسات التعليمية وأُنشئت مجموعة كبيرة من المدارس الكاثوليكية والبروتستانتية، وحتى المدارس الرسمية كانت تخضع لإشراف وتوجيه الكنيسة، وكان هدف المنصِّرين من إنشاء هذه المدارس هو تدريب الأفارقة من أجل خلق كوادر للإدارة الاستعمارية في المستويات الدنيا، أي توفير الموظفين للشركات الرأسمالية الخاصة.

وهكذا كان التعليم الاستعماري عبارة عن سلسلة من مواطن الضعف داخل مواطن ضعف أخرى، وكان موطن الضعف الأساسي مالياً، وهذا يعني أن الاعتبار السياسي هو الذي كان يوجِّه الإنفاق المالي أكثر مما يوجهه التوفير الحقيقي للأموال، ونتج عن هذه السياسة تجريد الجامعات الإسلامية، التي نشأت منذ عهد ما قبل الاستعمار، من قاعدتها الاقتصادية التي كانت تقدم لها الدعم.

أما إذا نظرنا في مناهج المدارس التنصيرية الاستعمارية فنجد أن الأوروبيين قد طبَّقوا مناهجهم من دون تفكير أو اعتبار، أو حتى إشارة إلى الأوضاع الأفريقية، وقد قال «عبده موميني» أحد التربويين الأفارقة[1]: «إن التعليم الاستعماري قد أفسد تفكير

---

(١) انظر: «أوروبا والتخلُّف في أفريقيا»، تأليف والتر رودني، مرجع سابق، ص٣٥١، ٣٦٤، ٣٧٠.

الأفريقي وحساسيته وملأه بعُقد شاذة». وأعطت البعثات التنصيرية التعليمية المبكرة أولوية فائقة للصبغة الدينية للتدريس، وهو أمر كاد يتلاشى في أوربا ذاتها، وقد منعت الكنيسة في أوروبا من توجيه التعليم الأوروبي في مراحله كافة، أما في أفريقيا فقد كان رجال الكنيسة هم الأساس في وضع وتحديد القيم والأهداف التربوية، خلال الفترة الاستعمارية، التي يجب زرعها في نفوس الطلاب الأفارقة، وكان هدف الكنيسة المُهيمنة على العملية التعليمية في أفريقيا هو الإبقاء على العلاقات الاجتماعية للاستعمار، وكانت الكنيسة تؤكد على التواضع والطاعة والخضوع. وأثناء قيام الكنيسة بخدمة الاستعمار فإنها غالباً ما اضطلعت بدور الحكم بشأن ما هو صائب ثقافياً، وكانت تتم مساواة معتقدات الأسلاف الأفارقة بالشيطان!

أما المدارس التي أنشأها المستعمرون فهي كثيرة، منها ما يتبع للكنيسة الكاثوليكية ومنها ما يتبع للكنيسة البروتستانتية، وأصبح واضحاً الآن أن كلَّ من التحق بهذه المدارس قد انضم فعلاً إلى الصفوة، وذلك لأن الأعداد التي تمتعت بهذا الامتياز كانت ضئيلة على مستوى المرحلة الابتدائية، وفضلاً عن ذلك وُجد في كل مستعمرة مدرسة ثانوية على الأقل أو معهد عال للقيام بدور إعداد من يتولون المناصب الإدارية السياسية في عهد الاستقلال السياسي، ويمكننا العثور على أسماء الوزراء والأمناء الدائمين لكل بلد من البلدان الأفريقية في الكشوف المدرسية لكلية «غوردون» في «السودان»، ومدرسة «الأليانس» العليا في «كينيا»، وكلية الملك «بودو» في «أوغندا»، ومدرسة «تابورا» الثانوية في «تنزانيا»، ومدرسة «ليفنجستون» في «مالاوي»، ومدرسة «ويليام بونتي» في

«السنغال»، ومدرسة «سيراليون» الثانوية، ومدرسة «مفاتسيبيم» في «غانا»، و«ليسيه جاليني» في «مدغشقر»، وعدد قليل آخر، ووجدت إلى جانب ذلك جامعات «ماكيريري، وفواره باي وأتشيمونا»، بوصفها جامعات قديمة العهد أو مؤسسات شبه جامعية[1].

وهكذا يتضح الهدف الأساسي للتعليم الاستعماري في أفريقيا، فهو مكرَّس برمَّته لخدمة التنصير والاستعمار، وبالتالي لم ينشر المعرفة ولم يقضِ حتى على الأمية وإنما قام بتنشئة جيل أو أجيال من أبناء القارة، وهيأ لهم الظروف لتسلُّم المناصب الحكومية والثقافية، وقاموا ولا يزالون بتأدية خدمات جليلة للاستعمار بعد رحيله. وهكذا وضع المنصِّرون وأسيادهم الحواجز في وجه تطور الشعوب الأفريقية من أجل تسهيل الاستغلال السياسي، وقاموا بعرقلة التقدُّم الثقافي والاقتصادي، وقاموا بنهب الثروات الأفريقية.

بقي أن أشير إلى العلاقة الوطيدة التي قامت بين الكنيسة والقوات الاستعمارية، وكيف مارست الكنيسة عملية نهب الثروات تحت مظلة الحماية الاستعمارية. فمدارس الكنيسة، على اختلاف مستوياتها، كان يتم تمويلها بالكامل عن طريق الأفريقيين الذين كانوا يدفعون استحقاقات الكنيسة ويقدمون لها الهبات طوعاً أو كرهاً، وهكذا أسهموا في إنعاش الصناديق التي أنشأتها الكنيسة لخدمة أهدافها التعليمية، كما أن البعثات التنصيرية ورجال الإدارة، وحتى الأوروبيين الذين استوطنوا الأرض الأفريقية، كانوا يعيشون على العمل الأفريقي والموارد الأفريقية وينفقون منها لبناء المدارس الأجنبية التي تقوم بدورها بتسميم أفكار الأفريقيين وتلوين عقولهم بالثقافة الأوروبية، ومن ثم جذبهم إلى النصرانية.

---

(١) راجع: «أوروبا والتخلُّف في أفريقيا»، مرجع سابق، ص٣٨٠.

وأخيراً لا بد من التأكيد على أن المستعمرين مهدوا قبل رحيلهم كافة السُبل أمام بقاء واستمرار البعثات التنصيرية لكي تواصل مهمتها الاستعمارية، حيث استخلف المستعمرون أنظمة قدمت المزيد من الخدمات والتسهيلات لتلك الهيئات، حتى أن بعض الحكّام الأفارقة كانوا أكثر تعصُّباً ضد الإسلام وأكثر معاداة للإسلام من النظام الاستعماري السابق، ومن هؤلاء الأمبراطور هيلاسيلاسي، حاكم أثيوبيا السابق، وغيره كثير. وهكذا استمر النشاط التنصيري الذي يقوم، للدعاية له، ثلاثة ملايين ونصف المليون من القسس[1]، وهذه بعض الأمثلة التي تؤكد بقاء التأثيرات الاستعمارية في معظم المدارس الأفريقية:

ف«غامبيا»، الواقعة غرب أفريقيا ونسبة المسلمين فيها ٩٠٪، لا تزال تعاني من آثار التعليم التنصيري، وقد لجأت بعثات التنصير في غامبيا مؤخراً إلى حيل جديدة بعدما لاحظ المنصِّرون أن طلاب المسلمين يفرون من مدارس التنصير المرفهة بعد أن افتضح أمر المنصِّرين وأهدافهم وضلالهم، وعندما خلت مدارسهم من أبناء المسلمين طلبوا دمج مدارس المسلمين بمدارسهم بحجة أن إمكاناتهم كبيرة وخبراتهم واسعة، ولكن المسلمين رفضوا ذلك بكل بساطة[2].

وفي «موزامبيق» قام المنصِّرون باتباع أساليب عديدة للقضاء على الإسلام، وكانت في مقدمة هذه الأساليب تعطيل المدارس الإسلامية ومنع استعمال اللغة العربية ووضع التعليم تحت نفوذ

---

(١) راجع: «أفريقيا المسلمة الهوية الصائعة»، مرجع سابق.

(٢) انظر: جريدة «الاعتدال»، عدد ١٢ آب ١٩٩٤م.

المنصِّرين، وكانت الضربة القاسية للتعليم الإسلامي في ظل الاحتلال البرتغالي ممثلة في الاتفاقية التي وقَّعتها البرتغال مع الفاتيكان في سنة ١٩٤٠م، والتي تحوِّل أمر التعليم في «موزامبيق» إلى سلطة الكنيسة الكاثوليكية، ولهذا تمَّ منع فتح المدارس الإسلامية، وهذا ما أسهم في تخلُّف المسلمين في «موزامبيق»[١].

ومثال آخر من كينيا، حيث قام المنصِّرون بإدخال مادة الجنس في مناهج المدارس الحكومية تحت شعار مزيف وهو «تعليم مواد التربية العائلية»، وطبعاً الهدف هو نشر الانحلال في أوساط الشباب الأفريقي، وذلك بتصوير الإباحية والتفسُّخ الأخلاقي على أنه تطور وحضارة[٢].

وفي «بوروندي»، التي يشكل المسلمون فيها ربع السكان، قام المستعمرون قبل رحيهلم بمنح البعثات التنصيرية حق الإشراف على التعليم، وكان موقف المسلمين أنهم رفضوا إرسال أبنائهم إلى مدارس البعثات التنصيرية وفضلوا التخلُّف على تلقي العلم على يد المنصِّرين مما أدى إلى تخلُّف المسلمين ثقافياً واقتصادياً[٣].

وأخيراً، هذا المثال من «أوغندا»: يقول الداعية الإسلامي «إدريس عيد» إن حكومة بلاده «أوغندا» فرضت مجانية التعليم في البلاد في المدارس الحكومية، والهدف من ذلك ليس خدمة المسلمين بقدر ما هو جذبهم إلى مدارس الحكومة التي تقوم بتلقين

---

(١) انظر: جريدة «الجزيرة» السعودية، عدد ١٥ نوفمبر ١٩٩٦م/ ٤ رجب ١٤١٧هـ، العدد ٨٨١٤.

(٢) انظر: جريدة «الجزيرة»، العدد السابق.

(٣) انظر: جريدة «الجزيرة» السعودية، ملحق آفاق إسلامية، عدد ١١/ ١٠/ ١٩٩٦م.

العقائد النصرانية المخالفة للقوانين والعقائد الإسلامية، ومن ذلك تدريسهم المسيحية في حين لا تتطرّق المناهج الأوغندية إلى الإسلام إلّا بصفته دين القمع والبطش والإرهاب. وأوضح «إدريس عيد» أن بعض المسلمين الذين ارتدُّوا عن دينهم، ومنهم رئيس وزراء سابق رغم أنه مسلم أباً عن جد، ولكن الحكومة الأوغندية أرسلته إلى بريطانيا للدراسة فعاد مؤمناً بعقائد مخالفة للشريعة الإسلامية، وعاد ليحارب الإسلام وفكره وعقيدته الجديدة، ومعروف أن اسمه هو «يوسف لولوي» الذي جاء بعد عهد «عيدي أمين»[١].

وتقوم منظمات التنصير بمحاربة الثقافة العربية الإسلامية بوسائل أخرى خارج نطاق التعليم، ومن ذلك أن الرئيس الكيني «دانيال أراب موى» قد قام، بعد شهر من وقوع الانفجار الذي استهدف السفارة الأمريكية في مدينة نيروبي عام ١٩٩٨م، بإصدار قرار حظر فيه نشاطات منظمات إسلامية خيرية بحجة إتقاء خطر الإرهاب الإسلامي، ومما يدل على خضوع الرئيس الكيني لإرادة المنصِّرين وأسيادهم هو أن هذا الحظر جاء ليشمل منظمات خيرية لا علاقة لها بالسياسة لا من قريب ولا من بعيد. أما المنظمات التي شملها الحظر فهي «مؤسسة إبراهيم البراهيم الخيرية، ومؤسسة الحرمين، ومؤسسة الرحمة، وهيئة الإغاثة الإسلامية، وكذلك مكتب رابطة العالم الإسلامي»، وقد احتج المسلمون على قرار الحظر واتهموا الحكومة الكينية بالخضوع والاستكانة للمشيئة الأمريكية ولخدمة أهداف المنصِّرين في محاربة الثقافة العربية الإسلامية، ولكي تظل المنظمات التنصيرية الإغاثية هي الوحيدة على الساحة الكينية، وقد

---

(١) انظر: جريدة «البيان» الصادرة في دبي، عدد ٢١ آب ١٩٩٨م.

صرَّح «حسين معلم محمد»، الوزير بالحكومة الكينية «مسلم»، بأن الغرض الرئيسي من حظر نشاط هذه المنظمات والمؤسسات الخيرية الإسلامية ليس إلّا إلغاء دور المسلمين الحضاري في هذه البلاد وطمس هويتهم[1].

ثالثاً: وسيلة الكتاب والإعلام والنشر: ويأتي دور الكتاب مكملاً لرسالة المؤسسات التعليمية، فقد قامت إرساليات التنصير بترجمة الإنجيل والتوراة إلى عدد كبير من اللغات الأفريقية، هذا بالإضافة إلى طباعة كتب أخرى تدعو إلى اعتناق النصرانية، وبمختلف اللغات السائدة في أفريقيا، «الإنجليزية والفرنسية والسواحلية والهوسا».

ذكر الداعية الإسلامي «أحمد حسن ديدات» من جنوب أفريقيا، في لقاء له مع مجلة الفيصل: «أنه إذا أخرجنا كتاباً إسلامياً فإننا نطبع منه مائة ألف نسخة، بينما هناك مجلة واحدة، هي «الثمرة الجلية» تصدر في أمريكا، تقوم بتوزيع ثمانية ملايين وثمانمائة ألف نسخة شهرياً، وهي مجانية ولا تصدر عن دائرة حكومية، بل إن ناشرها شخص واحد، ولديها محطات تلفاز واستيديوهات وفيديو. وأضاف: هناك جماعة «شهودا يهوا» إذا نشرت كتاباً فإنها تطبع منه أربعة وثمانين مليون نسخة ويُترجم إلى خمس وسبعين لغة، أما عن المجلات والنشرات، فإحدى مجلاتهم تطبع وتوزع «٨» ملايين و«٩٠٠» ألف نسخة، وتطبع بـ«٥٤» لغة، وهناك مجلة أخرى تصدر عن نفس الجماعة يطبعون منها عشرة ملايين و«٢٠٠» ألف نسخة

---

(١) انظر: جريدة «الاتحاد» الظبيانية، ملحق حديث الجمعة، عدد ٦/١١/ ١٩٩٨م.

بـ«١٠٢» لغة من لغات العالم، وتوزع بالمجان أو بأثمان زهيدة[١].
وقال: إن المنصِّرين يوزعون «٨٠٠» ألف نسخة من الإنجيل في جنوب أفريقيا وحدها، وقاموا بترجمة الإنجيل إلى مائة وسبع لغات أفريقية، وكلها توزع بالمجان.

ومن المبادرات الفردية أذكر أن رجل أعمال هولندياً واحداً قام بطبع «١٠٧» مليون نسخة من الإنجيل ووزَّعها بالمجان في سبيل الدعوة المسيحية، وللفاتيكان مطبوعاته الخاصة التي تصدر بلغات أفريقيا، ومن ذلك عدد كبير من المجلات، منها على سبيل المثال لا الحصر: «كاثوليك تايمز أوف إست أفريكا»، تصدر في موباسا الكينية، ومجلة «سان» في زامبيا. وللفاتيكان دور نشر منها «دار كاثوليك ميون بريس للطباعة والنشر» ومجلة «كريستشن» في غانا، والمحطة الإذاعية الدينية في «ليبيريا» والكثير غيرها، وتحصل على مواضيعها الدعائية من وكالة «فيديس» الكاثوليكية للأنباء، ومقرها «روما». أما منظمة «باكلن رومانا» للشباب الكاثوليك في روما فتنشر دعايتها على شباب الدول النامية، وخاصة أفريقيا، وتصدر مجلة «باكس رومانا جورنال»، التي تُباع في «٧٨» دولة، وتسعى إلى نشر الفكر النصراني الكاثوليكي في مختلف مجالات الحياة الدولية»[٢].

وعن خطورة الإعلام التنصيري، يقول الداعية الإسلامي «حقار بن

(١) راجع: مجلة «الفيصل»، العدد ١٣٥، ص٤٣ ـ ٤٥، حوار مع أحمد حسن ديدات.

(٢) راجع: «الاستعمار الفكري والروحي»، ف.ي. يرموشكين، ي.ر. موفا، ترجمة نجيب غبرة، دار الشيخ للدراسات والنشر، بيروت، ص٤٧.

محمد أحمد»: «إن الإعلام سلاح خطير والإذاعات الأفريقية موجودة، لكن كل المديرين العاملين فيها هم من النصارى ومن كبار المنصِّرين، فمثلاً إذاعة أفريقيا رقم «١» هي وليدة منظمة «سكوت» التنصيرية، وتصل إلى الأفارقة في كل مكان وبلهجات محلية، وكل برامجها مخصصة لمسح الأدمغة وغزو العقل الأفريقي، ففيها «٣٠» دقيقة مقطع موسيقي، و«٤٥» دقيقة مقطع تنصيري، وهكذا باستمرار، أما عن أفريقيا وتاريخها وإنسانها فقليل لا يتجاوز دقيقة واحدة، ثم يأتي التنصير. في الشارع الإفريقي جميع الناس حتى المسلم يقول: «كلامي صحيح مثل الإنجيل» إذا أراد أن يؤكد صدق ما يقوله، لماذا؟ لأنه يسمع هذه العبارة في هذه الإذاعة باستمرار[١] مقولة هذه حقيقة إنجيلية، ومعناه حقيقة ١٠٠٪ ـ هذا مجرد مثال ـ ويستطيع القارئ أن يتبين مدى خطورة الإعلام التنصيري في أفريقيا، يضاف إلى ذلك مساندة الإعلام الغربي للمنصِّرين في حربهم الثقافية ضد الثقافة الأفريقية، ويكفي أن أشير إلى بعض الأرقام لتوضيح الهيمنة الغربية على الإعلام والصحافة في أفريقيا.

ففي أفريقيا تصدر «١٩٠» صحيفة فقط بنسخ لا تزيد على ستة ملايين نسخة، بالإضافة إلى أن هناك ثماني دول أفريقية لا تملك صحفاً خاصة بها، وثلاث عشرة دولة أفريقية تملك كل واحدة منها جريدة واحدة فقط، لا تزيد نسخها عن عشرة آلاف نسخة، وكذلك لا وجود لوكالات أنباء وطنية خاصة في «١٨» دولة أفريقية[٢]، وقد

---

(١) انظر: مجلة «الفيصل»، العدد ٢٢٣، ص٥٤، حوار مع الداعية «حقار بن محمد أحمد» حول النشاط التنصيري في أفريقيا.

(٢) انظر: كتاب «الاستعمار الفكري والروحي»، مرجع سابق، ص٩ ـ ١٢.

صرَّح مدير تحرير مجلة «أفريك نوفيل»: «إن الصحافة الأفريقية ما هي إلا وليد لإحدى أو بعض كبريات وكالات الأنباء العالمية المُسيطرة على وكالات الصحافة والسينما والطباعة والنشر والإعلانات، وتشكل الشركات المتعددة الجنسيات هيكل السلطة التي تلعب دور فرض الثقافة الأمبريالية وتكييف الوعي وفرض النمط الاجتماعي والحياتي الغربي على الأفارقة».

وهكذا تحقق الصحافة الغربية والمجلات والأفلام السينمائية والتلفزيونية أرباحاً طائلة مما يشير إلى ضعف انتشار وتوزيع الأدبيات الوطنية.

وقليلاً ما تتطرق الصحف الأجنبية والأفلام التي تُوزع في أفريقيا إلى الواقع الأفريقي اليومي، ولا تنشر سوى أنباء محددة حول ما يحدث في أفريقيا، وقلَّما تُحلل المشاكل القائمة في هذه القارة، والنتيجة: من يريد معرفة أي شيء عن العالم الثالث عليه أن يستمع إلى المحطات التنصيرية وإلى محطة «بي بي سي» وصوت أمريكا وراديو فرنسا والموجة الألمانية وراديو هولندا وراديو إيطاليا، أو مشاهدة المحطات الفضائية الغربية، ومن الطبيعي أن تكون هذه المحطات رديفة للتنصير وعوناً له لمسح الأدمغة الأفريقية وتشكيل الأنماط الثقافية والاجتماعية المناسبة للغرب وللتنصير في آن واحد.

رابعاً: وسائل العمل الإنساني: قامت الجمعيات والهيئات التنصيرية، ولا تزال، باستغلال الفاقة الشديدة والمجاعات التي تجتاح مناطق واسعة من القارة للدعوة إلى النصرانية، حيث انتشرت جمعيات التنصير في المناطق الفقيرة أو المناطق المنكوبة توزِّع المساعدات الغذائية والدواء والكساء، وترعى المرضى والمعوزين،

كما تقوم أيضاً بزيارات للمسجونين وتقدم لهم المساعدات وتوزع لهم الأناجيل، ويقوم القسس بإغاثة المنكوبين ورعاية الأطفال والمعوقين وذوي العاهات، وقد أثمر هذا النشاط في تحويل أكثر من مليون مسلم أفريقي[1] إلى النصرانية، وفقاً لما أوردته نشرة صادرة عن منظمة الدعوة الإسلامية في السودان، ويؤكد «الخليل النحوي» أن الكنيسة ترفع في أفريقيا شعار: «اخلع عنك دينك نخلعْ عنك الجوع والمرض والعُري».

وبما أن منظمات التنصير تقوم باستغلال الفاقة والمناطق المنكوبة في كل أنحاء أفريقيا، لهذا سأكتفي بمثال واحد لتوضيح أساليب المنصِّرين في استغلال العمل الإنساني، وكيفية الاصطياد في المياه العكرة: ففي كينيا بدأ النشاط التنصيري المكثَّف بدءاً من عام ١٩٦٩م، حينما ضربت المجاعة وسيطر الجفاف على مناطق واسعة من هذه الدولة، وقد فقد الأهالي مواشيهم وانتشر النهب والسلب ومات الأطفال وترملت النساء ومات الرجال، وبينما كانت الحالة كذلك زار المنطقة أحد المنصِّرين الإيطاليين بقصد السياحة، وكان يستعمل دراجة بخارية، وعندما وجد السكان على هذه الحالة عاد إلى إيطاليا واستنفر الكنيسة الكاثوليكية، فتحركت الكنيسة على الفور بمالها ورجالها ونسائها بقيادة ذلك الإيطالي، فجمع مجموعة من أطفال المسلمين اليتامى في مراكز للتغذية ورياض الأطفال والمدارس، وسمى نفسه الأب «بيو»، وهكذا أصبح «بيو» أبوهم وغفل عنهم المسلمون.

أسَّس الأب «بيو» مركزين كبيرين في المنطقة، الأول في مدينة

---

(١) انظر: كتاب «أفريقيا المسلمة الهوية الضائعة»، الخليل النحوي، مرجع سابق.

«مرتي» ويشتمل على مستشفى فيه طبيبات وراهبات إيطاليات، أما الثاني فجعله مركزاً لتغذية الأطفال، ثم أسس مدرسة ثانوية للبنين، وبنى كنائس على شكل مساجد لا يفرقها عن المسجد سوى الصليب[1]، ثم جلب المولدات الكهربائية لإنارة المرافق، وأسس مدارس للحضانة وورشة للنجارة وأخرى للبرادة وورشة للكهرباء، وبنى البيوت للأسر الفقيرة، وقدم مساعدات مادية لهذه الأسر الفقيرة. كما لم ينسَ الأب «بيو» المنصِّر الأجيال الجديدة من المسلمين، فقام بكفالة عدد من طلاب المسلمين وأرسلهم للدراسة في إيطاليا لدراسة العلوم المختلفة، حتى تخرَّج منهم قساوسة.

ومن المشاريع التي أقامها «بيو» بناء خزّان للمياه في نهر «مرتي» الموسمي، ومشروعاً زراعياً للري الدائم على مسافة ألف فدان بتمويل من السوق الأوروبية المشتركة بمبلغ سبعة ملايين دولار عام ١٩٨٧م لإنتاج الذرة والخضراوات، وقام بتوزيع المشروع على الأسر التي تنصَّرت وبعض النساء الأرامل من المسلمات، وقام بحفر الآبار الارتوازية والجوفية، وأخذ يبيع المياه بأسعار رمزية للمواطنين، وأدخل الآلات الزراعية المتطورة من جرارات وغيرها، ومكث هذا القس من سنة ١٩٦٩م إلى يوم الناس هذا بصورة متواصلة، وبدأ يوسع أعماله في المناطق التي تجتاحها المجاعات في كينيا.

ومن الوسائل الجذابة التي لجأ إليها القس «بيو» في تنصير المسلمين الزواج، حيث شجَّع الشباب الذين تنصَّروا وساعدهم مادياً، وحرَّض الفتيات اللاتي تنصَّرن من بنات القبيلة لجذب

---

(١) انظر: جريدة «الجزيرة» السعودية، عدد ١٩/ ٧/ ١٩٩٦م/ ٤ ربيع الأول ١٤١٧هـ، مقال «المسلمون في مرتي ومشوار التنصير»، المنشور في ملحق آفاق إسلامية.

الشباب إلى الكنيسة وذلك باستمالة قلوب الشباب عن طريق العلاقات الجنسية المنحرفة مما يجر بعض الشباب، وهم على جهل وفقر، إلى النصرانية، وحسب الإحصاءات فقد نجح الأب «بيو» في جذب حوالي «٣٠٠» أسرة كانت مسلمة إلى النصرانية، عندها تنبَّه المسلمون فأرسلوا بعض المساعدات إلى مسلمي كينيا وبنوْا بعض المدارس الإسلامية والمساجد، وأقاموا بعض المشاريع الاقتصادية مما أدى إلى الحد من انتشار هذا الوباء التنصيري في «مرتي» الكينية.

كما تقوم بعض المنظمات التنصيرية بنقل عدد من أطفال أفريقيا إلى ملاجئ ومراكز خاصة يتم إعدادهم فيها للعودة إلى مواطنهم كمنصِّرين جدد، وتستمد البعثات التنصيرية في أفريقيا القدرة على التحرُّك عن طريق الإنفاق وتقديم الرشوة، وعن طريق البطاقات التعليمية والتقنية الزراعية، وفي بعض الأحيان تقوم بتقديم هدايا عينية للفقراء والمحتاجين.

خامساً: تقوم منظمات التنصير في أفريقيا بخلق الفتن بين المسلمين والنصارى، وتعمل جاهدة لتقسيم الأفارقة إلى عرب وزنوج، وعلى إثارة النعرات العنصرية بين السكان، وتُحرض الأفارقة على العرب في عملية مقصودة للاعتداء على الإسلام والمؤسسات التعليمية، وتقوم منظمات التنصير بتحريض الحكومات الأفريقية لارتكاب مجازر بحق المسلمين، ومثال ذلك[1] تلك المجزرة التي نفذتها الشرطة التنزانية في العاصمة «دار السلام» في

---

(١) انظر: جريدة «الاتحاد»، عدد ٧ مايو ١٩٩٩م الموافق ٢١ محرم ١٤٢٠هـ.

أوائل مايو ١٩٩٨م بجوار جامع «مومبى شاه»، حيث تعقد محاضرات وندوات إسلامية باستمرار تؤدي إلى دخول عدد كبير من النصارى في الإسلام، ورغم مطالبة المسلمين في تنزانيا للحكومة بإجراء تحقيق ومعاقبة الذين نفذوا هذه الجريمة البشعة إلّا أن الحكومة التنزانية لم تقم بأي إجراء، وادَّعت أن الشرطة قامت بمهامها الطبيعية في الحفاظ والدفاع عن الأمن وعن حياة وأموال المواطنين المسلمين، وتقوم منظمات التنصير بزرع الخلافات بين الدول الأفريقية، مثل أثيوبيا وأرتيريا ونيجيريا وليبيريا وغانا والكونغو وأوغندا، وتشجع حركات التمرد في جميع أرجاء القارة الأفريقية.

سادساً: تقوم منظمات التنصير ببناء الكنائس على شكل بناء المساجد، ومن ذلك بناء ثاني أكبر كنيسة في العالم في دولة ساحل العاج التي افتتحت عام ١٩٩٠م، واتضح أنها ليست كنيسة فقط بل مجمع ضخم لخدمة التنصير يشتمل على مراكز للإذاعة والنشر وتدريب المنصِّرين[١].

وذهب المنصِّرون إلى حد إقناع المسلمين بأن مَنْ يتنصَّر منهم يمكن أن تبقى صفته **كمسلم عيسوي** وليس نصرانياً، وذلك لخداع المسلمين وتضليلهم. ففي نيجيريا يقول الشيخ «العقيل بن عبد العزيز»، المدير العام لمؤسسة الحرمين الخيرية: إن إمكانيات المنصِّرين ساعدت على تنصير كثير من[٢] المسلمين والوثنيين،

---

(١) راجع: كتاب «حزام المواجهة: حرب التنصير في أفريقيا»، تأليف الأستاذين جبر الله عمر الأمين ومدبولي إسماعيل عثمان.

(٢) انظر: جريدة «الاتحاد»، عدد ٢٩/١/١٩٩٩م.

ونجد بعض الرجال يذهبون إلى المسجد وإلى الكنيسة، فهو عند المسلمين مسلم وعند النصارى نصراني تبعاً لما يجد من تسهيلات معينة، كما تقوم منظمات التنصير بإفساد المسلمين وترغيبهم بالخمر والزنا واللواط، ومؤخراً اكتشف المنصِّرون وسيلة جديدة لإغراء المسلمين[1]، بالإضافة للوسائل القديمة، وهي العزف على آلة «الجيتار» وإنشاد أغانٍ مسيحية، بعد أن لاحظوا أن الأفارقة يحبون الموسيقى. ومن المحاولات التي يقوم بها المنصِّرون لإزعاج المسلمين ودفعهم إلى ترك المدارس أنهم يفرضون على طلبة المدارس ارتداء زيٍّ مدرسي عليه إشارة الصليب، وكل طالب مسلم يرفض ذلك مصيره الطرد من المدرسة.

سابعاً: تقوم منظمات التنصير في أفريقيا بتشجيع ذوي الكفاءات العلمية في أفريقيا للهجرة إلى أوروبا وأمريكا، وذلك لحرمان أفريقيا من مواردها البشرية والمالية والحفاظ على تخلُّفها، ويتعرض هؤلاء في الدولة المضيفة لأساليب الترغيب والترهيب كي لا يعودوا إلى أفريقيا، ويصل الترهيب إلى حدِّ التصفية الجسدية.

ثامناً: تقوم منظمات التنصير في أفريقيا بنشر القاديانية وغيرها من الملل المنحرفة بين صفوف المسلمين، وبالفعل انتشرت القاديانية في أفريقيا متلفعة بثوب الإسلام، ومعروف أن القاديانية قد خدمت المخطط الاستعماري في السيطرة على أفريقيا، من حيث قيام أقطاب هذه البدعة بالدعوة إلى وجوب طاعة الإنجليز وتحريم الجهاد ضدهم، وقد استغلت القاديانية ظروف انتشار الجهل في القارة ووظفت أموالاً طائلة ووسائل مؤثرة جداً، كالصحف

---

(١) انظر: جريدة «الاتحاد»، عدد ٢٤ ربيع الأول ١٤١٥هـ الموافق ٣٠ أيلول ١٩٩٤م، ملحق حديث الجمعة.

والمجلات والمدارس والمكتبات.

كما تتحالف منظمات التنصير مع البدعة البهائية في أفريقيا، وتعمل منظمات التنصير على الترويج لأفكارها الهدامة في أفريقيا، ويقول الداعية الإسلامي «حقار بن محمد أحمد»: «إن هناك في أفريقيا ما هو أخطر من القاديانية والبهائية بكثير وهي الاختراقات التي حدثت في داخل من يدَّعي تمثيله للإسلام خير تمثيل وبخاصة في شمال أفريقيا. فبعض الذين أنشأوا المساجد في أفريقيا كان بعضهم من القساوسة الذين تخرَّجوا من مدرسة «سلمنكا»، ومهمة هذه المدرسة جمع أذكى الأطفال في أوروبا وتعليمهم الأسس الأساسية للتوراة والإنجيل، ثم إجبارهم على حفظ القرآن الكريم، وأكبر قدر ممكن من الأحاديث النبوية الشريفة وسيرة النبي محمد ﷺ والصحابة، كما علَّموهم اللغة العربية بدقة متناهية، وزوَّدوهم باللهجات المحلية ثم أرسلوهم بأسماء عربية، ويبدأ أحدهم نشاطه التنصيري على أنه شيخ متصوف لا علاقة له بالدنيا، وينكب عليه الناس فينشئ مسلكاً، والمسلك يتطور، بعد سنة أو سنتين، إلى طريقة. هذا الاختراق أخطر بكثير من القاديانية والبهائية التي يُعرف أنها كفرية بالنظرة الأولى»[1].

وأخيراً اتبعت بعض المنظمات التنصيرية أسلوباً جديداً للخداع في السنغال، والتقرُّب إلى المسلمين بتقديم مساعدات لخلايا تحفيظ القرآن الكريم وطلابها ومعلميها مستغلَّة فقر الطلاب والمعلمين، وذكر تقرير للندوة العالمية للشباب الإسلامي أن هذه الخلايا لا تتلقى أية مساعدة من أية جهات إسلامية في السنغال، ولذلك تحاول منظمات التنصير تحويل هذه الخلايا إلى معاهد

---

(١) راجع: مجلة «الفيصل»، العدد ٢٢٣، مرجع سابق، ص٥٣.

بهدف تحويلها عن هدفها[1].

تاسعاً: تقوم منظمات التنصير بالتدخل في الانتخابات البرلمانية والرئاسية التي جرت في أفريقيا عقب نهاية الحرب الباردة، وذلك بهدف إبعاد المسلمين عن المناصب القيادية، ومثال ذلك أنه في منتصف عام ١٩٩٤م أجريت الانتخابات الرئاسية والبرلمانية في «غينيا بيساو»، ذات الأغلبية المسلمة، وقد تدخلت الكنائس بشكل سافر للحيلولة دون وصول القوة الإسلامية التي يمثلها «أبو بكر جالوا» إلى منصب الرئاسة، ودعمت الكنائس رئيس حزب «بافتا»، المدعوم رأساً من الفاتيكان، حيث أن رئيس الحزب درس في الفاتيكان وهي تموِّله بشكل ضخم، ولعل جزءاً بسيطاً من هذا الدعم تمثَّل في ثلاث عشرة سيارة قدمت للحزب بعد شهور قليلة من تأسيسه[2].

وفي سيراليون تبلغ نسبة المسلمين ٨٥٪ من السكان ولكنهم لم يحصلوا على منصب رئيس دولة إلَّا في عام ١٩٩٦م. ففي ذلك العام حقَّق المسلمون أهدافهم، وذلك بفضل نشاطاتهم الواعية، وتمكنوا من الحصول على أغلبية ساحقة في الانتخابات الرئاسية، وكان أول رئيس مسلم في تاريخ البلاد يؤدي اليمين الدستورية أمام القضاة والجمهور على كتاب الله، القرآن الكريم، في برلمان البلاد بعد تسلُّمه زمام الحكومة ورمز السلطة طوعاً من القائد العسكري «جيليبوس مادايبو»، والرئيس المسلم هو الحاج «أحمد تيجان كابا»، مرشح الحزب السيراليوني. وخلال الانتخابات وقف النصارى إلى جانب المرشح المسيحي «كاريغا سمارت»، وقد

---

(١) راجع: جريدة «الاتحاد»، عدد ٣٠/ ١/ ١٩٩٢م، ملحق حديث الجمعة.

(٢) راجع: جريدة «الجزيرة» السعودية»، عدد ١٥/ ١١/ ١٩٩٦م، العدد ٨٨١٤.

تضافرت جهود الكنيسة في سيراليون وغيرها، ونذكر أن مجلس الكنائس العالمي قد أنفق «١٧٠» ألف دولار أمريكي لدعم المرشح النصراني[١]، ولكن جهود الكنيسة فشلت، ونجح «أحمد تيجان كابا» في منصب الرئاسة.

وأخيراً تنبغي الإشارة إلى أن المنصِّرين في أفريقيا يعملون على فرض العلمانية في الدول الأفريقية ذات الأغلبية المسلمة بعد نهاية الحرب الباردة، وقد حققوا نجاحات كبيرة في هذا المجال، فعلى سبيل المثال: نص الدستور النيجري، الصادر عام ١٩٩٦م، على أن الدولة النيجيرية دولة علمانية، وبالتالي تَمَّ فصل الدين عن الدولة، وتمكنت منظمات التنصير من إقناع الأحزاب الإسلامية بتبني العلمانية في برامجها. وبالفعل تبنت الأحزاب الرئيسية في نيجيريا العلمانية وأفكارها المعادية للقيم الإسلامية السمحة التي ينتمي إليها الشعب النيجيري، كما تعاني الدول الأفريقية، وبخاصة الإسلامية، من هيمنة الفرانكفونية التي تحاول فرض الفرنسية في الإدارة الحكومية والمدارس والجامعة وغيرها[٢].

---

(١) راجع: جريدة «الجزيرة»، العدد ٨٧٠٩، تاريخ ١٩٩٦/٨/٤م.

(٢) راجع: جريدة «الجزيرة»، العدد ٩٤٧٩، تاريخ ٢٠ جمادى الأولى ١٤١٩هـ الموافق ١١ أيلول ١٩٩٨م.

الفصل السادس

وسائل التنصير في آسيا وأوستراليا وأوروبا وأمريكا اللاتينية

من المعروف أن شمس الإسلام قد سطعت في قارة آسيا، ولم تمضِ سنوات قليلة حتى تمكن المسلمون من فتح بلاد الشام نهائياً وطرد الروم منها سنة ٦٣٨م. وبعد انتصار المسلمين الساحق في القادسية عام ٦٣٥م انفتحت أمامهم أبواب الامبراطورية الفارسية، وأخذت القوات الإسلامية تتوغل في بلاد فارس وفي بلاد ما وراء النهر وفي الجزيرة، ثم حاصر المسلمون القسطنطينية، عاصمة الدولة البيزنطية، ثم فتحوا أرمينية، وأسسوا ممالك في بلاد ما وراء النهر، ثم قاموا بفتح بلاد القوقاز. ووصل الإسلام إلى الصين في عام ٦٥١م، وهو العام الذي وصل فيه أول مبعوث إسلامي إلى الصين، وقد جاؤوا «٣٧» مرة بين عامي ٦٥١ ـ ٧٩٨م، أي بمعدل زيارة واحدة في كل أربع سنوات.

وفي القرن الثامن الميلادي أيضاً دخل الإسلام الهند والباكستان على يد القائد النابه قتيبة بن مسلم الباهلي، وقد بدأ التفكير بفتح السند منذ وقت مبكر حيث بعث المسلمون «عثمان بن أبي العاص الثقفي» إلى «الديبل» للاستطلاع، إلَّا أن المسلمين فتحوا القسم الأكبر من إيران ولم يتقدموا إلى أبعد من حدود «مكران». ثم جاء

حكم معاوية بن أبي سفيان، حيث أخذت رقعة الفتوحات بالاتساع، فتم فتح القسم الشرقي من «بلوجستان» وإمارة «قلات» التابعة للسند آنذاك وضُمت إلى مكران، وكل هذه تقع اليوم في باكستان. ثم تقدم المسلمون ففتحوا «قندهار» وكابُل ووقفوا عند هذا الحد، ولعلهم لم يكونوا يفكرون بالتقدُّم نحو بلاد الهند، ولكن الأحداث هيأت لهم السُبُل لفتح السند أولاً ثم باقي البلاد الهندية بعد ذلك.

وتفصيل ما حدث، أنه كان للعرب المسلمين تجار في جزيرة سيلان مع زوجاتهم، فبينما كانوا في طريقهم إلى العراق ألقت بهم رياح هوجاء إلى ساحل «الديبل» ـ كراتشي اليوم ـ، فاعتدى القراصنة السندهيون على سفن المسلمين فسلبوها وقتلوا عدداً من ركابها المسلمين، فصاحت امرأة منهم: «يا حجاج»، وحينما علم الحجاج بهذه الاستغاثة، من بعض الذين نجوا، قال: «لبيك»، وكتب إلى أمير السند يطلب منه معاقبة القراصنة والتعويض لأصحاب السفن، ولكن أمير السند اعتذر عن إجابة الطلب بحجة أن لا سلطة له على السند، فاستأذن الحجاج الخليفة عبد الملك بن مروان بفتح السند، وحينما جاءت الموافقة أرسل «عبد الله بن نبهان السلمي» فاستُشهد من دون أن يوفق في مهمته، ثم أرسل «بديل البجلي» لقتال السند ولكنه استُشهد في المعركة، فعهد الحجاج بهذه المهمة إلى «محمد بن القاسم الثقفي» وهو في السابعة عشرة من عمره. لم تخب فراسة الحجاج، فقد تمكن هذا الشاب من هزيمة «داهر»، ملك السند، هزيمة نكراء وقضى عليه، وسار محمد بن القاسم متقدماً في البلاد يفتح مدنها الواحدة تلو الأخرى حتى بلغ حدود «كشمير»، وقال مؤرخ إنكليزي: «لو أراد محمد بن القاسم أن يستمر بفتوحاته حتى الصين لما عاقه عائق».

وهكذا انتشر الإسلام في الهند وباكستان، أما بقية المناطق الأسيوية فقد وصلها الإسلام عن طريق التجار، مثل أندونيسيا وبورما والفيلبين وغيرها، وقد نتج عن هذا الفتح العظيم انتشار الإسلام واللغة العربية التي أصبحت لغة الدين والعلم والحضارة والتجارة والثقافة.

وسائل التنصير في آسيا

يواجه المسلمون في قارة آسيا تحديات عديدة تتمثل في نشاطات المؤسسات المعادية للإسلام، والصورة في البلاد الأسيوية لا تختلف كثيراً عن الصورة التي شاهدناها في القارة الأفريقية، فالتيارات الإلحادية والمنظمات التنصيرية تعمل بنفس الدرجة، والكَيد لأبناء المسلمين لا ينتهي، ويستخدم المنصِّرون، الذين توافدوا إلى قارة آسيا منذ قرون، قبل وبعد الزحف الاستعماري الغربي، نفس الأساليب التي يستخدمونها في أفريقيا والوطن العربي، ولكن الجديد في قارة آسيا أنَّ بعض التيارات المعادية للإسلام أقامت تحالفاً قيِّماً بينها لضرب الإسلام وتشويه أحكامه والتشكيك في قِيَمه وتعاليمه، والجديد أيضاً أن دولاً ذات أغلبية إسلامية تعاني عجزاً صارخاً في إعداد الدعاة، في حين تعمد التيارات المعادية إلى تكثيف جهودها بين مسلميها.

ففي بعض الدول فإن التضييق على المسلمين لا يتوقف، وكذلك فإن محاولات تحجيم المد الإسلامي تكشف عن مدى الخوف من الإسلام، فممارسات المنصِّرين تفضح الخوف من القوة الهائلة والعزة الفريدة التي يتحلّى بها المسلم في ظل الاستمساك بدينه وفي ظل الانضواء تحت لوائه. يقول الدكتور «محمد شفيق»، رئيس منظمة الدعوة الإسلامية في آسيا: «إنَّ مخططاً معادياً للإسلام

والمسلمين يتم الآن ويجري تنفيذه في أكثر من موقع في القارة الأسيوية، ولا شك أن محاولات تذويب الدعوة الإسلامية[1] وسط الأديان والمعتقدات الأخرى تستهدف تشويه الإسلام وتزييف صورته، وهذه المحاولات كثُرت واستشرت بشكل عنيف، بل إنها تعدت ما تتعرض إليه قارة أفريقيا من شراسة التنصير بدسِّ المغالطات في تعاليم الإسلام وأحكامه ومبادئه وبث الفرقة بين المسلمين».

أما د. نور الدين الزهري، الأمين العام لمنظمة الدعوة الأسيوية، فيقول: «إن المسلمين في آسيا يواجهون تحديات كبرى تأتي الدعايات التنصيرية والبوذية والتيارات اللادينية في مقدمتها، وإنَّ صفوف المسلمين لا تخلو من أن يندس فيها بوذي حاقد يروِّج دعايات مُغرضة وأقاويل فاسدة، أو منصِّر يشكك في قِيَم الدين الحنيف وأصوله، ويبذل مغريات كبيرة لجذب المسلم إلى النصرانية»[2]. ولعل أخطر ما تواجهه الدعوة الإسلامية في آسيا هو ادِّعاء المنظمات التنصيرية بأن المسلم يمكن أن يكون مسيحياً وبوذياً، أو ملحداً وشيوعياً مع احتفاظه بإسلامه، وهذه محاولة لتسليط بعض الأضواء على مخططات التنصير وعلى كل أعداء الإسلام، مع الإشارة إلى الوسائل التي يستخدمونها في بعض الدول الأسيوية:

في اليابان: تعرضت اليابان، التي تقطنها أقلية إسلامية ـ «٧٠» ألفاً ـ إلى حملات التنصير منذ النصف الثاني من القرن الماضي.

(١) انظر: جريدة «الاتحاد»، ملحق حديث الصائم، عدد ٧/ ٣/ ١٩٩٢م، حوار مع د. محمد شفيق.

(٢) انظر: جريدة «الاتحاد»، ملحق حديث الصائم، تاريخ ١٨/ ٣/ ١٩٩٢م.

يقول الشيخ علي الجرجاوي، في كتابه «الرحلة اليابانية»: «إن حكومة اليابان قد تنبَّهت، في بداية نهضتها، إلى أن الأوروبيين عادة ما يتخذون من الدين وسيلة إلى تحقيق مقاصدهم السياسية، مما دفع الحكومات اليابانية المتعاقبة إلى توجيه الإنذارات المتلاحقة إلى البعثات التنصيرية للتوقف عن نشاطاتها الهدّامة»، ولكن الذي حصل أن المنصِّرين أصرّوا على متابعة نشاطاتهم رغم الإنذارات ورغم التهديد، وحتى اليوم، وفي أيامنا هذه، يقوم المنصِّرون بمحاولات لتشويه مبادئ الإسلام الذي أخذ ينتشر بسرعة في اليابان، ومما يدل على ذلك الانتشار أن الوجود الإسلامي أصبح ظاهراً للعيان، والمسلمون موجودون في أقصى الشمال في جزيرة «هوكايدو»، وفي أقصى الجنوب في جزيرة «أوكيناوا» المحاذية لتايوان، ويوجد ما يقارب المائة جمعية إسلامية وعدد كبير من المساجد والمصليات، التي تم استئجارها، توجد هنا وهناك، في قلب طوكيو وفي بقية مدن اليابان، وهناك مركز إسلامي كبير أسسته السعودية في طوكيو[1]، وقد أدى هذا الانتشار الإسلامي إلى تزايد النشاط التنصيري في اليابان إلى درجة يمكن القول: إن الحركة الإسلامية تواجه أزمة خطيرة تكاد تعصف بمقدرات العمل الإسلامي في اليابان.

وأكَّد د. محمد شفيق «رئيس منظمة الدعوة الإسلامية في آسيا» أن أعضاء الجمعيات التنصيرية، وكذلك الجمعيات البوذية والإلحادية، يتعاونون لتشكيك المسلمين بدينهم، ويعملون على تمييع أداء الفروض الإسلامية، ويزعمون أنه يمكن للمسلم أن يؤدي من الفروض ما يشاء ويترك ما يشاء بكل بساطة وبكل حرية،

---

(١) انظر: جريدة «الرياض» السعودية، عدد ٧/ ٥/ ١٩٩٩م.

ويروج المنصِّرون حالياً أكذوبة وهي أن الدين الإسلامي سوف يتغيَّر، بل ويجب أن يتغيَّر، بحيث يحلِّل شرب الخمر وأكل لحم الخنزير، وغير ذلك من الموبقات[١].

وفي الصين: يعاني المسلمون من الوقوع بين مطرقة الشيوعية وسندان المنصِّرين، ورغم أن الحكم الشيوعي يحظر الدعوة إلى الدين «أي دين» إلا أن المنصِّرين تمكَّنوا من النفاذ من بعض الثغرات، ويعملون اليوم في الصين، خاصة بعد عهد الانفتاح على العالم الغربي، وتقوم بعثات التنصير بتشويه مبادئ الإسلام وملاحقة الطلاب المسلمين الذين يدرسون في الصين، وقد ذكر أحد المنصِّرين في تقرير له إلى منظمته أن هنالك طالباً واحداً من بنجلادش يدرس في بكين يستمع هو وأصدقاؤه إلى برامج الإذاعات التنصيرية، وهنا يمكن ملاحظة هذا التدقيق الغريب وهذا الرصد الدقيق: إنهم يرصدون نشاطات طالب واحد من بين مليار وأكثر من الناس الذين يعيشون في الصين[٢].

وفي كمبوديا: نفَّذ المنصِّرون في السنوات الماضية، من عام ١٩٧٥ ـ ١٩٩٠م، مخططاً إجرامياً، بالتعاون مع الحكم الشيوعي السابق في عهد «پول پوت»، وقاموا بقتل أكثر من نصف مليون مسلم، وأجبروا الفتيات المسلمات على الزواج من الشيوعيين والبوذيين، وقام الحكم الشيوعي بتنفيذ رغبات المنصِّرين عندما هدم المؤسسات الإسلامية، من مساجد ومدارس، وحوَّلها إلى حظائر للخنازير، وأحرق الشيوعيون الكتب الإسلامية والمصاحف، وقاموا

---

(١) راجع: جريدة «الاتحاد»، عدد ٧ مارس ١٩٩٢م.

(٢) راجع: مقالة فهمي هويدي «التبشير بين اللاجئين»، في مجلة «العربي»، مرجع سابق.

بنقل أعداد كبيرة من المسلمين إلى مناطق أخرى في محاولة للقضاء على الشخصية الإسلامية. وبعد سقوط حكم «پول پوت» وقيام الحرب الأهلية في كمبوديا، استغل المنصِّرون نتائج هذه الحرب، من فقر وجهل ومرض ومجاعات وتشريد، وقاموا بإعداد معسكرات لتربية أطفال المسلمين وفقاً للمنهج البوذي أو المسيحي، ومنعوا المسلمين من أداء شعائرهم الدينية، وامتد الحقد التنصيري إلى مقابر المسلمين، فقام الحاقدون بتهديمها وجعلوها ملاعب، ويوجد اليوم في كمبوديا «٣٨» جمعية تنصيرية تعمل لتنصير المسلمين وتدعوهم للنصرانية من خلال تقديم بعض المساعدات المادية، مثل بناء المدارس ورعاية الأيتام وحفر الآبار(١).

وفي الهند: بلغ عدد المسلمين في الهند، طبقاً لإحصاء الحكومة الهندية عام ١٩٩١م، ٩٦,٥ مليون نسمة، إلَّا أن تقديرات مسلمي الهند أنفسهم هي أن عددهم الحقيقي يتراوح بين ١٥٠ و٢٠٠ مليون نسمة، وهم منتشرون في كافة أنحاء البلاد، إلَّا أنَّ أكثر من نصفهم يعيش في ثلاث ولايات شمالية هي «أوتابراديش وبيهار والبنغال الغربية». ومما يعاني منه المسلمون في الهند أولاً: الصراع بينهم وبين الهندوس، وهذا الصراع قديم، وقد تجدد بشدة مع بداية التسعينات حول موقع مسجد «بابري» في مدينة «أبوديا الهندية»، حيث ادعى الهندوس بأن هذا المسجد قد أقيم في المكان الذي ولد فيه معبودهم «رام»، ورغم أن المحكمة العليا(٢) في الهند قد

(١) انظر: جريدة «الجزيرة»، ملحق آفاق إسلامية، عدد ٨ مايو ١٩٩٨م.

(٢) راجع: الملف السياسي الذي تصدره جريدة «البيان»، الصادرة في دبي، العدد ٤١٦، الجمعة ٧ مايو ١٩٩٩م، تحت عنوان «الهند ديمقراطية الأزمان».

أصدرت حكماً في ٦/ ١٢/ ١٩٩٢م بمنع الهندوس من بناء معبدٍ لهم على أرض مسجد «بايري»، إلّا أن المتطرفين الهندوس هاجموا المسجد وهدموه بالمعاول والأيدي. وهكذا انطلقت شرارة أحداث العنف الطائفي في ولاية «أوتاربراديش»، والتي يمثل فيها المسلمون أغلبية ساحقة، أضف أن المعاناة الكبرى للمسلمين الهنود تأتي من حملات التنصير الغربية ومخططاتها.

ففي الهند تلعب النساء المنصِّرات دوراً بارزاً، إذ لديهن جرأة كبيرة على اقتحام بيوت المسلمين تحت دعاوى مختلفة، فتارة تطرق المُنصرة الباب لتعرض على السكان المساعدة في أعمال البيت أو لتسأل عن الصغار[1]، أو لتعرض على ربة المنزل أهمية بناء صداقات، المهم أن تقتحم البيت لتنفث سمومها، ثم تقيم علاقة معينة وتستغل هذه العلاقة للقيام بعملها التنصيري. وفي الريف الهندي، حيث الفقر المدقع والفاقة والجوع والبؤس والمرض، يقوم المنصِّرون باستغلال هذه الأوضاع وشن الحملات التنصيرية، وسبق في شهر أكتوبر ١٩٩٢م أن تعرضت قرية «نلمبور» الهندية إلى حملة تنصيرية، أدت إلى تنصير «١٤٠» أسرة مسلمة بكاملها، ومؤخراً قام المنصِّرون في الهند بحملة لتنصير سكان الهند من المسلمين والهندوس بعنوان «زيارة لكل بيت»، وخلال خمسة عشر شهراً[2] زار «٤٧١» منصِّراً «٤» ملايين بيت في «٩٩٣٥» قرية في «١٨» ولاية هندية، حيث وزعوا ما مجموعه ٨,٨ مليون مطبوعة، وبهذا تنصَّر ألف شخص، وتم تشكيل «٢٥٠٠» مجموعة تنصيرية جديدة، كل مجموعة مكوَّنة من ثلاثة أشخاص أو أكثر.

---

(١) راجع: جريدة «الاتحاد»، عدد ٧ مارس ١٩٩٢م.

(٢) انظر: جريدة «الاعتدال»، عدد ١٤/ ١١/ ١٩٩٧م.

وقد أدى تزايد النشاط التنصيري في الهند إلى لجوء الهندوس إلى قتل أحد المنصِّرين الأوستراليين، هو المُنصر «غراهام ستيوارت»[*]، وقال مسؤول في الشرطة الهندية: «إن المنصر وولديه كانوا نائمين داخل سيارتهم، وخلال ذلك جاء مجهولون وأضرموا النار في السيارة بتاريخ ٢٣/١/١٩٩٩م في «مانو هاربو» في إقليم «كونجهار» شرق الهند، وقد أتت النيران على كنيسة القرية التي كانت السيارة تقف إلى جوارها، وكان المنصِّر المذكور يعمل بين مرضى الجذام في الولاية على مدى الأعوام الثلاثين الماضية.

وهناك حادث آخر، فخلال الأسبوع الأول من عام ١٩٩٩م قام مجهولون من الطائفة الهندوسيّة بترويع الطائفة المسيحية وأحرقوا الكنائس وهاجموا القساوسة[١] في ولاية «جوجرات» الغربية، وقد برر الهندوس عملهم هذا بأن المنصِّرين يرغمون فقراء الهندوس على تغيير ديانتهم.

في بنغلادش: من المعروف أن هذه الدولة تعتبر ثالثة الدول الإسلامية من حيث الزيادة في عدد السكان، ويبلغ عدد سكانها «١٢٠» مليون نسمة، وجميعهم من المسلمين، وهي ذات رقعة جغرافية صغيرة، وتعاني في معظم فصول السنة من الفيضانات والأعاصير والرياح الموسمية المُستمرة، مما يؤدي في كثير من الأحيان إلى المجاعات والكوارث، لذلك تستغل منظمات التنصير هذه الأحوال، وبخاصة حاجة الفقراء إلى الطعام والمأوى والملابس والدواء، وتقوم بممارسة نشاطها وسط هذه الأجواء الاستثنائية.

(*) اتضح أن القاتل هو «دارا سينغ»، وهو نفسه الذي قتل التاجر المسلم «شيخ رحمان» في ٢٦/٨/١٩٩٩م.

(١) راجع: جريدة «الحياة»، عدد ٢٤/١/١٩٩٩م.

يتواجد اليوم في بنغلادش وحدها ما يزيد عن «١٢٣٠» منظمة تنصيرية تعمل وفق استراتيجية مدروسة للاستفادة من ضحايا الفيضانات والكوارث، واستغلال حاجة المسلمين إلى المعونات، وقد استطاعت منظمات التنصير تحقيق بعض أهدافها، وتمكنت من تنصير أو استقطاب عدد كبير من الأسر الفقيرة التي عضَّها الفقر بنابه، ولا شك أن المنفذ الذي تسلكه منظمات التنصير لتحقيق أهدافها في حاجة لوقفة تأمل، حيث سمحت سلطات بنغلادش بتبني الأطفال والأيتام الذين راحت أسرهم ضحايا الفيضانات، وبالتالي أصبحوا عرضة للتشرد والضياع، وأصدرت قانوناً حكومياً يبيح التبني بشكل رسمي.

وهكذا فتحت حكومة بنغلادش أوسع الأبواب أمام النشاط التنصيري، فانطلق المنصِّرون بكل حرية لممارسة نشاطهم الهدّام، ولعلَّ من الأمثلة التي يمكن سرد بعض تفاصيلها لنشاط المنصِّرين ما يقوم به حالياً أنصار الكنيسة المعمدانية في بنغلادش، فقد وقع في يدي مقال منشور في صحيفة الرياض السعودية، وهو مترجم عن صحيفة أخبار «أي أم بي» التي تصدرها «بابتس بريس» والصادرة في «٦» ديسمبر ١٩٩٩م ـ وقد حرر هذا المقال الكاتب «كأي مور» المراسل المقيم على ما يبدو في «دكا» ببنغلادش ـ وقد جاء فيه: «إن المنصِّرين يعملون الآن لبناء «١٠٠» كنيسة سينتهي العمل فيها خلال العامين القادمين، ويعملون لتوظيف عشرة آلاف من المتطوعين من خارج بنغلادش للعمل بين الشباب والفتيات المسلمين، الذين تتراوح أعمارهم بين «٢٠» و«٣٠» عاماً، ليس على تنصيرهم فحسب بل إعدادهم ليصبحوا منصِّرين بين أبناء جلدتهم».

وتحدث المقال عن جهود أحد المنصِّرين كمثالٍ، واسمه المستعار «جي إيست»، والذي عاش بين ظهراني البغلادشيين لمدة عامين هو وزوجته، وذكر العجب من تحمله لمشاق الحياة في ذلك البلد، ولكن المشقة، في زعمه، تهون لخدمة معتقده، حيث قال: «إنه للعيش بين البنغلادشيين لا بد من النضال والكفاح في جو شديد الحرارة عالي الرطوبة، والتغلب على الخوف من الحشرات والبعوض وخطر التعرض للملاريا الذي أصبح يهدد البقاء والحياة، ولا تسأل عن الطعام وشرب الماء الملوث...». والعجيب أنه وأمثاله يتخلون عن أمور يحبونها طمعاً في بناء علاقة وطيدة مع السكان، لذا يلبس ملابسهم ويتعلم لغتهم ويأكل بيده ويدع أكل لحم الخنزير، والأهم من ذلك كله هو تعلُّمه للمصطلحات الإسلامية وبعض الآيات القرآنية التي تقرُّبه من هدفه مما يهيِّئ المناخ المناسب لجذب السكان الذين يبدون ارتياحاً شديداً عندما يستخدم الغربي لغتهم وثقافتهم[1].

وهكذا يتضح أن المنصِّرين يهدفون إلى بناء علاقات وطيدة مع السكان، ومن ثم العمل على الدخول من الثغرات التي تكمن في الغالب في العوز المادي والطبي والتعليم والتدريب على المهارات والحِرَف اليدوية البسيطة، وما إلى ذلك من أمور دنيوية. وهناك أمثلة أخرى تؤكد أن بنغلادش معرَّضة لحملة تنصيرية خطيرة جداً ستظهر نتائجها في المدى القريب، وسيحقق المنصِّرون معظم أهدافهم إن لم يقف أحد في وجه جحافلهم ويتصدى لهم.

---

(١) انظر: جريدة «الرياض» السعودية، عدد الجمعة ١٧/١٢/١٩٩٩م، مقال د. أحمد بن سعد آل مفرح، عنوانه «غثاء كغثاء السيل.. لماذا التقاعس؟».

في سنغافورة: يبلغ عدد المسلمين في هذه الدولة الصغيرة أكثر من نصف مليون مسلم، وفي هذه الدولة لا يقف المنصِّرون في وضع وبناء خططهم على أسلوب معين، وإنما هم دائماً يطوِّرون أساليبهم ويجددون خططهم، ولربما لجأوا إلى اعتماد أكثر من وسيلة أو أسلوب تنصيري في مجتمع إسلامي واحد. يقول «د. نور الدين الزهري»، أمين عام منظمة الدعوة في آسيا: «هناك صعوبات كثيرة تواجه الإسلام والمسلمين في سنغافورة، وهم يشتركون مع غيرهم في المعاناة من التيارات الإلحادية، إذ يوجد في سنغافورة بوذيون ونصارى وغيرهم... وأعمال التنصير في سنغافورة لا تتم بالمواجهة، كما هو الحال في دول أخرى، ذلك أن المنصِّرين يعتمدون طرقاً مختلفة لتبديل عقيدة المسلمين، وأهم هذه الطرق الكتب والمنشورات التي تُعدِّد مآثر المسيحية والتي تؤكد أن خلاص العالم كله من أزماته بيد المسيح، ولا يكاد يمضي أسبوع حتى يجد المسلم السنغافوري في صندوق بريده الخاص منشوراً أو منشورين يحضّانه على ترك الإسلام واعتناق المسيحية[1]، ويقابل المسلمون هذه المنشورات بالسخرية الشديدة وعدم الاهتمام لأن الجميع يدركون أنها تجرهم للهلاك واقتراف الموبقات، كما ويعاني المسلمون في سنغافورة من التحالف بين المنصِّرين والمنظمات الصهيونية النشطة في سنغافورة، ويعاني المسلمون هناك من عدم وجود صحيفة إسلامية واحدة، وحتى الإذاعة والتلفزة لا تتيح للمسلمين أية فرصة لإسماع صوتهم أو شرح معاناتهم.

---

(١) انظر: جريدة «الاتحاد»، عدد ١٨ مارس ١٩٩٢م، ملحق حديث الصائم.
تبلغ نسبة المسلمين في سنغافورة ١٥٪ من سكانها.

في أندونيسيا: تعد أندونيسيا أكبر دولة إسلامية، وتحتل المركز الرابع بين دول العالم من حيث حجمها السكاني، بعد أمريكا والهند والصين، حيث قدر عدد سكانها بنحو «٢٢٠» مليون نسمة، أكثر من ٩٠٪ منهم من المسلمين، وتبلغ مساحتها ١,٩٠٠٠٠٠كم٢، وتتألف من أكثر من «١٧» ألف جزيرة متناثرة على جانبي خط الاستواء، وقد دخلها الإسلام في القرن الثالث عشر الميلادي.

وأسس المسلمون ممالك قوية ومزدهرة في سومطرة وجاوة وغيرها، وبعد ثلاثة قرون من انتشار الإسلام جاء البرتغاليون، بداية بقصد التجارة ومحاربة الإسلام، ونهاية بضم هذه المناطق الشاسعة واعتبارها أجزاء من الامبراطورية البرتغالية، وفي أعقاب البرتغاليين جاء الهولنديون فطاردوهم حتى استقر الأمر ببقاياهم في جزيرة تيمور الشرقية، حيث أقاموا نوعاً من «الجيتو» ظل منعزلاً عن بقية جزر أندونيسيا التي أصبحت تابعة لهولندا، وبعد نضال طويل وكفاح مرير تمكَّن المسلمون من الحصول على الاستقلال عن هولندا في ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٩م، أما جزيرة تيمور الشرقية فقد ظلت تابعة للبرتغال حتى عام ١٩٧٤م، حيث اضطرت البرتغال إلى إخلاء تيمور الشرقية، فقامت أندونيسيا بضمها إلى الجمهورية الأندونيسية لتصبح المقاطعة رقم «٢٧»[1].

النشاط التنصيري في أندونيسيا: توافد المنصِّرون إلى أندونيسيا منذ خضوعها للاستعمار البرتغالي، ومن ثم الاستعمار الهولندي الذي دام «٣٥٠» عاماً، ومن المنظمات النشطة في أندونيسيا أذكر

---

(١) راجع: الملف السياسي الذي تصدره جريدة «البيان»، الصادرة في دبي، العدد ٤١٧، الجمعة ١٤ مايو ١٩٩٩م، ص١٠.

«جمعية التنصير الخارجية» و«خدمات الكنيسة العالمية» ومؤسسة «هيلين كيلر» وأخوات راهبات الإرساليات الطبية، وخدمات الإغاثة الطبية، وغيرها كثير. وفي مجال التعليم تعمل الكنائس الكاثوليكية على جمع التبرعات للكنائس والمدارس والجامعات ورياض الأطفال التي أنشأتها، وحتى في مجال الزراعة شاركت منظمات التنصير في تنفيذ المشروعات الزراعية، وخاصة إصلاح الأراضي.

وفي مجال الصناعة قامت إرساليات التنصير برفع كفاية العاملين، ومارست دوراً بارزاً في الخدمات الاجتماعية، وهذه نقطة ضعف مهمة في أندونيسيا، وذلك نتيجة لفقر السكان، كما لجأ المنصِّرون إلى الدعوة لدينهم بطريقة بشعة، وذلك باستغلال بؤس السكان وحاجتهم لابتزاز عقيدتهم الإسلامية والعمل على ارتدادهم عن دينهم في سبيل حفنة أرز أو زجاجة دواء أو قطعة قماش، وتقوم منظمات التنصير أيضاً بتوفير الغذاء والملابس والملاجئ للأيتام واللقطاء، وبناء المستشفيات، وتشجيع تحديد النسل وذلك للحدِّ من أعداد المسلمين. أما في مجال الثقافة فقد قامت إرساليات التنصير بإرسال طلاب المسلمين إلى الخارج للتأثير عليهم وإعدادهم حتى يكونوا دعامة للتنصير عند عودتهم إلى بلادهم.

ومن أساليب المنصِّرين في أندونيسيا استخدام سفن النقل بغرض الدعاية التنصيرية، لأن أندونيسيا مؤلفة من مجموعة كبيرة من الجزر، فتأتي القوارب حيث يستمع الأندونيسيون مضطرين إلى المحاضرات التنصيرية! كما أنَّ هناك من يقوم بتنظيفهم، وهكذا يخرج الأندونيسي، بعد أن يستمع ويستحم ويرتدي بعض الملابس

الجديدة[1] نصرانياً. بالطبع يحدث ذلك في الجزر البعيدة النائية، في جزر المولوك وإيريان الغربية وتيمور الشرقية وغيرها، وقد نتج عن هذا النشاط تنصير «٢٠» مليون مسلم، وقد أكَّد هذا الرقم المطران «نس ريماس»، رئيس الاتحاد التنصيري في أندونيسيا.

وأوضح المطران أن انتشار النصرانية في أندونيسيا أقوى من أي وقت مضى، ويقدر عدد المسيحيين بحوالي «٢٠» مليوناً. وأضاف المطران أن كنائس جديدة تُبنى بشكل أسرع من أن تحصيه الأرقام والإحصاءات، وأوضح أن نشاط المنظمات التنصيرية، خلال العقد الماضي، قد حقق أهدافه، وأنَّ عرض فيلم عيسى عليه السلام كان له تأثير كبير، حيث عُرض في آلاف الجزر والقرى المتناثرة والبعيدة مما جعل عدداً ضخماً من الناس يتنصرون[*].

هذا ما حصل في معظم الجزر الأندونيسية، وبخاصة النائية منها، ولكن الجزيرة الوحيدة التي ركَّز المنصِّرون جهودهم فيها، وبدعم كبير وواضح وصريح من الغرب كله، هي جزيرة تيمور الشرقية حيث أصبح معظم سكانها من النصارى الكاثوليك، ويقدرون بـ٩٠٪ من السكان، وهذه النسبة العالية والغريبة كانت ٢٠٪ وذلك عند خروج البرتغاليين منها عام ١٩٧٤م، أما سبب هذا الاختلال في التركيبة السكانية لصالح الكاثوليك في مدى «٢٥» عاماً فيعود إلى أخطر وأشرس حملة تنصيرية شهدها العالم، والعالم الإسلامي على وجه التحديد، وكانت أندونيسيا منها هدفاً مباشراً

---

(١) راجع: مجلة «الفيصل»، العدد ١٣٥، ص٤٥، مقابلة مع الداعية الإسلامي أحمد حسن ديدات، وهو من جنوب أفريقيا.

(*) راجع: جريدة «الرياض» السعودية، عدد ١/ ١٠/ ١٩٩٩م، صفحة قضايا إسلامية.

لتلك الحملة باعتبارها حقلاً خصباً للإرساليات التنصيرية المكثفة، ولم تكن أنشطة الإرساليات من الأسرار التي يتم الكشف عنها الآن فقط، بل كانت معروفة للجميع بمن فيهم الأندونيسيين، حكومة وشعباً، وقد أسفرت الكنائس، التي كانت تقف وراء تلك الحملة، عن وجهها الحقيقي المتمثل في تحويل أندونيسيا إلى دولة كاثوليكية ١٠٠٪، ورصدت من أجل ذلك مليارات الدولارات وأُتيحت للمشاركين في تلك الحملات تسهيلات ضخمة، من مستشفيات ومدارس، بل ومطارات لاستخدام الطائرات الخاصة للمشاركين في أنشطة التنصير، وبعد أن حقق المنصِّرون هذا النجاح أخذوا يطالبون بحق الكاثوليك في جزيرة تيمور الشرقية في تقرير مصيرهم، ومن ثم بالاستقلال التام عن أندونيسيا، علماً أن مساحة الجزيرة لا تزيد عن «١٥» ألف كيلومتر مربع، ولا تزيد نسبة السكان عن ٤٪.

ومن الملاحظ أن الغرب كله بدأ اليوم في قطف ثمار الجهود والمساعي الدولية، التي قام بها، على مدى ربع قرن من الزمان، لإقامة دويلة كاثوليكية داخل أندونيسيا المسلمة التي تشكِّل خُمس العالم الإسلامي من حيث عدد السكان. والسؤال: لماذا أبدى الغرب تأييده ودعمه الكامل للكاثوليك في تيمور الشرقية في إقامة دولة مستقلة، وكيف تجلّى هذا الدعم؟.

في الواقع هناك مؤامرة كبرى تستهدف أندونيسيا وترمي إلى تقسيمها إلى دويلات، نظراً لتعدد الأجناس والإثنيات واللغات والأديان الموجودة فيها، وهناك مطامع للغرب في تيمور الشرقية ومطامع لأوستراليا، وذلك نظراً للموقع الهام والاستراتيجي لهذه الجزيرة، فهي تقع في منتصف المسافة تقريباً بين أكبر وأهم جزر

أندونيسيا، وتقع الجزيرة في الجزء الجنوبي من بحر «آرفورا» حيث تطل على أقصر طريق بحري بين اليابان والفلبين في الشمال وأوستراليا في الجنوب، فهذا الموقع الهام هو أحد الأسباب الجوهرية لاهتمام الغرب بدعم الحركة الانفصالية في الجزيرة، سواء على المستوى السياسي أو الإعلامي. وعلى سبيل المثال فقد تم منح جائزة نوبل للسلام إلى «خوسيه راموس هورتا»، أحد زعماء الحزب الشعبي الديمقراطي في تيمور الشرقية، وإلى القس الكاثوليكي «كارلوس فيليب» لدورهما البارز في نشر فكرة منح حق تقرير المصير سلمياً.

ومن صور التأييد الغربي لتمرد الانفصاليين في تيمور الشرقية أذكر أنه عند الإعلان عن فوز «خوسيه راموس هورتا» والقس «كارلوس فيليب» بجائزة نوبل عام ١٩٩٦م، قامت محطة «سي إن إن» الأمريكية بتغطية ذلك الحدث بشكل غير مسبوق، وحضر الحفل عدد كبير من رؤساء الدول وحشد من مراسلي[1] ومندوبي وسائل الإعلام العالمية، وعند متابعة تلك التغطية المتميزة جرى التركيز على قضية استقلال تيمور الشرقية عن أندونيسيا، وتبين بجلاء ما الذي يُراد تحقيقه من وراء تلك الضجة الهائلة التي كان أبطالها قادة الانفصال التيموريين الذين استغلوا الفرصة للحصول على الدعم الغربي الكامل.

وبعد سقوط «سوهارتو» في مايو ١٩٩٨م، كنتيجة للأزمة الاقتصادية التي عصفت بأسواق أندونيسيا المالية، وبعد نشوب

---

(١) راجع: الملف السياسي لجريدة «البيان»، العدد ٤١٧، الجمعة ١٤/ ٥/ ١٩٩٩م، مرجع سابق.

الاضطرابات الاجتماعية والسياسية التي أدت إلى إضعاف سلطة الدولة والمؤسسة العسكرية الأندونيسية، تدخلت أمريكا والبرتغال وأوستراليا والدول الغربية الأخرى في الشؤون الداخلية الأندونيسية، بحجة وضع خطة لإنقاذ الاقتصاد الأندونيسي من الانهيار، وبموجب هذه الخطة يقوم صندوق النقد الدولي بتقديم قروض عاجلة، قيمتها «٤٠» مليار دولار، مقابل التزام أندونيسيا ببرنامج معين للإصلاح الاقتصادي، وبموجب هذه الخطة الجهنمية أصبحت أندونيسيا واقعة تحت ضغوط غربية كبرى مارسها صندوق النقد الدولي وغيره من مؤسسات التمويل الدولية. ونجحت الخطة أخيراً على حمل الرئيس «يوسف حبيبي»، خليفة سوهارتو، على القبول بإجراء استفتاء حول تقرير المصير في تيمور الشرقية، وبالفعل جرى هذا الاستفتاء المفروض تحت رعاية الأمم المتحدة في ٣٠ آب ١٩٩٩م، وأكدت نتائجه أن معظم سكان تيمور الشرقية، وهم من الكاثوليك، يرغبون بالاستقلال عن أندونيسيا، وعلى الفور تحركت الأمم المتحدة وأرسلت «٨٥٠٠» جندي إلى تيمور الشرقية لمساعدة سكانها على الاستقلال عن أندونيسيا.

وهكذا ساهم الغرب في خلق دويلة مسيحية في خاصرة أندونيسيا الإسلامية، والأخطر من ذلك أن انفصال تيمور الشرقية قد فتح الأبواب أمام النزعات الانفصالية الأخرى؛ صحيح أن تيمور الشرقية لا تشكل تلك المنفعة الاقتصادية لأندونيسيا، فهي جزيرة فقيرة جداً، ولكن سياسياً فإن أندونيسيا تحتاج إليها لأجل أن تساعدها على إبقاء اللحمة الوطنية، ومن الجدير ذكره أنه حتى قبل أن تحصل تيمور الشرقية على استقلالها، فقد ظهرت نزعات انفصالية أخرى.

ففي جزيرة «بالي» الصغيرة أعلن السكان، وهم جميعاً من

الهندوس، عن رغبتهم في الحصول على حكم ذاتي، وفي إقليم أتشيه، الواقع شمال سومطرة، نشبت الاضطرابات وأعلن سكان الإقليم عن رغبتهم في الانفصال عن أندونيسيا، وقد سقط المئات من القتلى في الاشتباكات التي حصلت بين الجيش والسكان في إقليم أتشيه خلال عام ١٩٩٩م، مما يدل على أن هنالك مؤامرة في هذا الإقليم على وحدة أندونيسيا، وهي مطالبة «حسن تيرو»، زعيم حركة أتشيه الحرة، الغرب بمساعدة حركته من أجل الاستقلال، حتى أنه طالب بالانضمام إلى رابطة الكومونولث البريطاني، وأكد «حسن تيرو» أن بريطانيا كانت بين الدول القوية التي كانت تعتبر أتشيه دولة منفصلة، وأكَّد أن أوستراليا، العضو في الكومونولث، يمكن أن تلعب دوراً في مساندة أتشيه للانفصال عن أندونيسيا[١].

وشهدت جزر المولوك، «البهار» سابقاً، اضطرابات ومصادمات بين المسلمين والمسيحيين في جزيرة «سيرام» وفي مدينة «أمبون»، وطالب الانفصاليون خلال عام ١٩٩٩م بالانفصال عن أندونيسيا، وقد سقط خلال الاشتباكات أكثر من «٢٠٠٠» قتيل وعشرات الألوف من اللاجئين، ومعروف أن جزر المولوك، بخلاف سائر اتحاد أندونيسيا، يشكل المسيحيون «٤٤» في المئة من سكانها. وفي إقليم «إيريان جايا»[*] الأندونيسي، الغني بالنحاس والبترول، نشبت اضطرابات عرقية ودينية خلال عام ١٩٩٩م، وقال الزعيم الانفصالي «توم بينال» إن إقليم «إريان جايا» في شرق أندونيسيا يمكن أن يحقق الاستقلال عن أندونيسيا في عام ٢٠٠٣م، لكن

---

(١) راجع: جريدة «الاتحاد»، عدد الثلاثاء ١/ ٢/ ٢٠٠٠م.

(*) **إيريان جايا**: إقليم أندونيسي يقع في النصف الغربي من جزيرة غينيا الجديدة، ولأوستراليا مطامع كثيرة فيه.

الحرية قد يكون لها ثمن دموي، مثلما حدث في تيمور الشرقية. وأضاف «أن الانفصاليين يعتزمون تنظيم مؤتمر في وقت لاحق من العام ٢٠٠٠م لوضع استراتيجية الاستقلال عن أندونيسيا»(*).

وهكذا يتضح أن أندونيسيا معرضة للتفتيت والبلقنة والدمار، وقد ينجح الغرب في ذلك كله إن لم يتمكن الشعب الأندونيسي وحكومته الجديدة من التصدي للسياسات الغربية الهادفة إلى تفتيت الوحدة الوطنية.

في الفلبين: من المعروف أن الفلبين تتكوَّن من مجموعة من الجزر تبلغ حوالي «٧١٠٠» جزيرة، وأشهرها جزر «لوزون ومنديناو وقيسايا وصولو»، وقد نالت الفلبين استقلالها عن أمريكا في ١٢/٦/١٩٤٦م، وتجمع الروايات على أن دخول الإسلام إلى الفلبين كان عن طريق التجار المسلمين، وذلك ما بين القرنين السادس والثامن الهجريين ـ الرابع عشر الميلادي ـ حيث أسس «الشريف أبو بكر» أول حكومة في منطقة «صولو» وتبعه الشريف «محمد بن علي» في منطقة «منديناو»، وبهذا يُعد الإسلام أول دين سماوي يدخل الفلبين، حيث كان سكانها وثنيون.

وازدهر الإسلام في تلك المنطقة إلى منتصف القرن السادس عشر الميلادي، حيث شهدت الفلبين سلطنة «صولو» الإسلامية، وسلطنة «منديناو» الإسلامية أيضاً، وأطلق على عاصمة الفلبين اسم «أمان الله» التي حُرِّفت فيما بعد وأصبحت «مانيلا»، وبقيت الأحوال كذلك حتى جاء[1] ماجلان على رأس أول بعثة صليبية

(*) راجع: جريدة «الديار»، العدد ٤٠٦٢، تاريخ ١١ يناير ٢٠٠٠م.

(١) انظر: جريدة «البيان»، صفحة «الدين والحياة»، عدد الجمعة ١٢/٩/١٩٩٧م.

عام ٩٢٦هـ/ ١٥٢١م، وهو الذي أرسله الملك «فيليب الثاني» حيث سُميت البلاد بعد ذلك على اسمه.

دام الصراع طويلاً بين المسلمين والإسبان، وخلال هذا الصراع الطويل ظهر السلطان المسلم «لابو لابو» الذي رفض الخضوع لماجلان، وحرَّض سكان الجزر الأخرى عليه، وعندما ذهب ماجلان إلى جزيرة «سيبو» الصغيرة لتأديب «لابو لابو» طلب ماجلان من «لابو لابو» الاستسلام قائلاً: «إنني باسم المسيح أطلب إليك التسليم، ونحن العرق الأبيض أصحاب الحضارة أولى منكم بحكم هذه البلاد». فأجابه السلطان «لابو لابو»: «إنَّ الدين كله لله، وإن الإلٰه الذي أعبده هو إلٰه جميع البشر على اختلاف ألوانهم». ثم هجم على ماجلان وقتله بيده وشتَّت شمل فرقته ورفض تسليم جثته للإسبان، ولا يزال قبره هناك في جزيرة «سيبو» شاهداً على ذلك[1].

ولما فشل الإسبان في احتلال جنوب الفلبين، حيث يعيش المسلمون، اتجهوا إلى الشمال حيث فرضوا سيطرتهم على شمال الفلبين، ومنها استطاعوا التسلل إلى الجنوب وفرضوا سيطرتهم عليه عام ١٠٧٨هـ. واستمر الاستعمار الإسباني طيلة «٣٣٧» عاماً كان نتيجتها إخراج المسلمين من مانيلا وتحويلها إلى مقاطعة مسيحية، ومنع الدعوة الإسلامية من الانتشار بين السكان بقوة السلاح، إلّا أن أهالي «منديناو» حافظوا على عقيدتهم. وفي عام ١٨٩٨م حلَّ الأمريكان محل الإسبان في استعمار الفلبين مقابل «٢٠» مليون دولار، وبدأ صراع المسلمين ضد الاستعمار الأمريكي.

---

(١) راجع: «الكشوف الجغرافية دوافعها وحقيقتها»، تأليف محمود شاكر، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ، ص٣٧.

وخلال الحرب العالمية الثانية قاوم المسلمون الغزو الياباني ومنعوه من احتلال مناطقهم، وبعد الحرب حصلت الفلبين على استقلالها عام ١٩٤٦م بعد مقاومة باسلة من قِبل المسلمين في جزيرة «منديناو». وبعد الاستقلال قامت المنظمات التنصيرية بإكمال مسيرة إيذاء المسلمين، فأنشأت مُستعمرات نصرانية في مناطق المسلمين وهجَّرت النصارى إليها، وعمدت إلى احتكار ثروات المناطق الإسلامية، وعندما تم اكتشاف البترول في منطقة بحر «صولو» الإسلامية زحف المنصِّرون إلى هذه المناطق وانتزعوها من المسلمين بقوة الجيش، وقاموا باستخدام وسائل العنف والإرهاب، بالإضافة إلى ملاحقة المسلمين وقتلهم وإحراق بيوتهم وقراهم ومساجدهم ومدراسهم، حيث قدِّر عدد الشهداء المسلمين ما بين «١٠٠» ألف إلى «٢٥٠» ألف مسلم، وأصبح ٨٠٪ من المسلمين يعيشون بدخول أدنى من المتوسط.

وشددت منظمات التنصير المدعومة من الحكومة قبضتها على مناطق المسلمين، وخصَّصت ربع مليون جندي لقمع ثورات الجنوب المسلم، وكان الرد الطبيعي للمسلمين هو إنشاء جبهة «مورو» الإسلامية التي أخذت على عاتقها تحرير مناطق المسلمين وتطبيق شرع الله، وقد حققت نجاحات وأرغمت الحكومة الفلبينية، في عام ١٩٩٦م، على الموافقة بإقامة حكم ذاتي للمسلمين.

وفي سلطنة بروناي يشكل المسلمون ٦٣٪ من السكان، وتُعد هذه الدولة من أغنى مناطق ودول العالم، وكانت خاضعة للاستعمار البريطاني، وقد شمَّر المنصِّرون عن سواعدهم وجاؤوا إلى هذه البلاد وزرعوا خلاياهم التنصيرية في كل مكان من أراضي هذه الدولة الصغيرة التي لا تزيد مساحتها عن «٥٧٦٥» كم^{٢}،

وعملوا على محاربة الإسلام، وحاولوا تحويل البلاد إلى بلاد مسيحية صرفة، وحتى بعد استقلال هذه الدولة عن بريطانيا في ١/ ١/ ١٩٨٤م ظلت منظمات التنصير تمارس أعمالها ونشاطاتها التخريبية الهدامة، وتعمل على زرع الخلافات بين المسلمين والمسيحيين والبوذيين مما دفع حكومة «بروناي» إلى طرد عدد كبير من المنصِّرين والقساوسة والرهبان، في عام ١٩٩٢م، وذلك تفادياً لأخطارهم وشرورهم، وقامت حكومة «بروناي» بإصدار مرسوم تضمَّن قيوداً شديدة على المنصِّرين، ونص على عقوبات قاسية تُفرض بحقهم إذا ضُبطوا مُتلبسين بجرائمهم[١].

أما إيران، فقد تعرضت لغارات المنصِّرين منذ أوائل القرن التاسع عشر حيث قاموا بفتح المدارس وبنوا الكنائس والمستشفيات، وحاولوا تنصير المسلمين بكل الوسائل المتاحة، وقدَّموا الخدمات الطبية. وتفاقم نشاطهم، وازدادت مخاطرهم في عهد الشاه البائد، وحتى بعد قيام الثورة الإسلامية الإيرانية فإن أعمال المنصِّرين ظلت مستمرة بأشكال خفية.

ففي تقرير صادر عن جمعية «إخوة الإيمان» التنصيرية، في عام ١٩٨١م، ورد فيه: أنه على الرغم من قيام الثورة الإيرانية بمنع وحظر نشاط الكنيسة رسمياً وإبعاد ثلاثة[٢] من روّادها، فإن العمل التنصيري لم يتوقف من أجل تعميق فهم المسلمين وإيمانهم بالإنجيل، ويدعو التقرير إلى الصلاة من أجل عدد من المنصِّرين

---

(١) راجع: «الخيرية»، نشرة فصلية تصدر عن العلاقات العامة لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، العدد ١١، تاريخ ذي القعدة ١٤١٢هـ/ أيار ١٩٩٢م.

(٢) راجع: مقال فهمي هويدي في مجلة «العربي»: «التبشير بين اللاجئين المسلمين».

والمنصِّرات الذين يقومون بأعمال التنصير وعقد الاجتماعات في بيوتهم. وهكذا فالنشاط التنصيري مستمر في توزيع الأناجيل والنشرات على بيوت المسلمين في إيران.

وفي آسيا الوسطى نشطت جمعيات التنصير بعد سقوط الحكم الشيوعي ومعاودة النشاط الإسلامي في الجمهوريات الإسلامية المستقلة، وفي هذا الوقت بالذات تتعرض هذه الجمهوريات الفتية لحملات التنصير ولتخريب المنظمات الصهيونية المتحالفة مع المنصِّرين، وقد قام قادة العمل التنصيري، في أوروبا وروسيا، بدراسة الوضع في جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية، وتم وضع خطة للنشاط التنصيري تشمل الجمهوريات الإسلامية والقوقاز وسيبيريا، وتتضمن هذه الخطة ترجمة الإنجيل إلى «٤٥» لغة محلية، وعقد دورات تدريبية لتدريب المنصِّرين على العمل في هذه المناطق الإسلامية، وعلى سبيل المثال يوجد اليوم في كازاخستان «٣٧» جمعية تنصيرية تعمل في أوساط المسلمين لإبعادهم عن عقيدتهم، مستغلة حاجاتهم الحياتية من تعليم وفُرص عمل وخدمات وغيرها[١]. وفي جمهورية جورجيا، ذات الأغلبية المسيحية، والتي استقلت عن الاتحاد السوفييتي، حيث يبلغ عدد المسلمين فيها مليون نسمة، دخل المنصِّرون لينفثوا سمومهم في أوساط المسلمين الذين يعانون من أوضاع اقتصادية صعبة ومن التخلُّف والجهل بالشريعة الإسلامية.

وفي أرمينيا تقوم الحكومة المسيحية بهدم الآثار الإسلامية،

---

(١) راجع: جريدة «الاتحاد»، عدد ١٣/ ١٠/ ١٩٩٨م، وجريدة «الجزيرة»، العدد ٨٧٦٥، تاريخ ٢٧ أيلول ١٩٩٦م.

كالمساجد والمقابر والمباني التاريخية الإسلامية، في مقاطعة «قره بانخ» الإسلامية المُتنازع عليها بين أذربيجان وأرمينيا، والتي احتلتها أرمينيا بقوة السلاح، ونقل مراسل وكالة الأنباء الإسلامية في «باكو» نبأً خطيراً مفادُه أنَّ السلطات الأرمنية تقوم حالياً ببناء كنيسة كبيرة بمركز مدينة «شوشا» الإسلامية القديمة، التي تُعتبر من الحواضر الإسلامية العريقة في منطقة «قره بانخ»، وأكد النبأ أن الأرمن يقومون بدعوة ممثلي المنظمات التنصيرية لزيارة هذه المدينة لحضور حفل افتتاح كنيستهم التي أقاموها، وأنَّ المنصِّرين في أرمينيا قد حققوا بعض النجاحات بين المسلمين[1].

كما تشهد جمهوريات القوقاز، التي لا تزال خاضعة للحكم الروسي، نشاطاً تنصيرياً واسعاً وخاصة في داغستان ذات الأغلبية الإسلامية، وذلك لاستغلال الظروف المعيشية الصعبة التي يعاني منها السكان في داغستان، وقد أدى هذا النشاط الواسع إلى مبادرة المسلمين[2] للتصدي للمنصِّرين. ففي نوفمبر ١٩٩٨م قام بعض الداغستانيين باختطاف المُنصِّر الأمريكي «جريج هربرت»، الذي كان يزاول نشاطه التنصيري المُريب منذ عام ١٩٩٦م، في «محج قلعة» عاصمة داغستان، واقتادوه إلى جهة مجهولة.

بقي أن أذكر أن المنصِّرين يقومون بالترويج لأفكار المِلَل المنحرفة ـ القاديانية واحدة منها ـ في جمهوريات آسيا الوسطى، كما أن المؤسسات الصهيونية، العاملة في جمهوريات آسيا الوسطى، تقوم بترويج أفكار البهائية في تلك المناطق، ويُذكر أنَّ إسرائيل قد تمكَّنت من التغلغل إلى هذه الجمهوريات وعقدت عدداً

---

(١) راجع: جريدة «الاعتدال»، عدد ١٤/ ١١/ ١٩٩٧م.

(٢) انظر: جريدة «البيان»، عدد ١٣/ ١١/ ١٩٩٨م.

من المعاهدات والاتفاقيات مع هذه الدول الإسلامية، وتخطط لإقامة مشاريع مختلفة هناك.

وفي تركيا كان للمنصِّر «هنري مارتن» اليد الطولى في إرسال المنصِّرين إلى الدولة العثمانية، ومن بعده جاءت الإرساليات التنصيرية، وكان في مقدمتها جمعية التبشير الأمريكية و«الجمعية اليهودية الإنكليزية» وغيرها كثير، وقامت هذه الإرساليات بافتتاح المدارس وبناء الكنائس والجامعات والكليات وأشهرها كلية «روبرت» في إستانبول، وهي كلية مسيحية سافرة غير متسترة لا في تعليمها ولا في الجو الذي تهيئه لطلابها.

استغل المنصِّرون مراحل ضعف الامبراطورية العثمانية وقاموا بخلق المنظمات المعادية للإسلام، وتمكَّنوا من إيجاد جماعة يهودية أظهرت الإسلام وأبطنت اليهودية للكيد للإسلام والنيل منه، وقد عرفت هذه الجماعة بيهود «الدونمة»، وقد تفنَّنت هذه الجماعة في الكيد للإسلام من داخله، وقد سكن هؤلاء اليهود منطقة «سلانيك» التركية وبقوا متمسكين بيهوديتهم، وهم يعتزُّون بمصطفى كمال «أتاتورك» ويعتقدون اعتقاداً راسخاً أنه منهم، وعن طريق هذا الرجل، المدفوع من قِبَل المنصِّرين ويهود الدونمة والحركة الماسونية، حقق الغربيون هدفهم وهو القضاء على الدولة العثمانية الإسلامية وعلى كل أثر للشريعة الإسلامية، حتى في قانون الأحوال الشخصية.

ففي عام ١٩٢٣م، وبعد أن ظهر أتاتورك كبطل حقق الاستقلال، تم إعلان الدولة التركية الحديثة، وإثر إعلان الجمهورية بدأ أتاتورك بتنفيذ المخطط الغربي عن طريق سلسلة من الإجراءات، التي أسماها إصلاحات، كان الهدف منها تحويل المجتمع التركي إلى

مجتمع علماني، وكان هدفه أن تحلَّ القِيَم الغربية محل القِيَم والعقيدة الإسلامية، ورأى أتاتورك أنه يجب حصر العقيدة الإسلامية في مستوى الاختيار الشخصي وإبعادها تماماً عن التنظيم السياسي والاجتماعي.

وقام أتاتورك، في الفترة التي تولى فيها الحكم، من عام ١٩٢٣م وحتى موته عام ١٩٣٨م، بسلسلة من الإجراءات الجذرية التي هدفت إلى القضاء على نفوذ الإسلام ورجاله واستبداله بقِيَم علمانية غربية، لذلك أعلن، في ٣ مارس ١٩٢٤م، إلغاء الخلافة الإسلامية وتوحيد التعليم، وإلغاء التعليم الديني، وإلغاء المعالم الدينية، وإلغاء وزارة الأوقاف واستبدالها بمديرية الشؤون الدينية التابعة لمكتب رئيس الوزراء، كما تبنّى الزي الغربي والقبعة بدلاً من العمامة، في ٢٥ نوفمبر ١٩٢٥م، وعمد إلى تصفية الطرق الدينية في ٣٠ نوفمبر ١٩٢٥م، وإقرار التقويم الميلادي بدلاً من الهجري في ١٠ يناير ١٩٢٦م، وتبنّى عناصر من النظم القانونية السويسرية والألمانية في أوكتوبر ١٩٢٦م، وسحب الاعتراف بالإسلام كدين للدولة في ١٠ يناير ١٩٢٨م، وعمد إلى تغيير الأذان من العربية إلى التركية في ٣ فبراير ١٩٣٢م. ومما يجدر ذكره أن وزير العدل «محمود أسعد»، أحد مترجمي القانون السويسري إلى اللغة التركية، كان حريصاً على عدم استخدام أي لفظ عربي، على الرغم من كثرة المفردات العربية في اللغة التركية.

وهكذا تم استبدال الكتابة التركية، التي كانت تعتمد الحرف العربي، بالحرف اللاتيني، والأخطر من ذلك أن «محمود أسعد» كتب، في مقدمة ترجمة القانون السويسري، نبذة تعرَّض فيها للإسلام ووصف القرآن الكريم بأنه قانون الصحراء.

وهكذا ضرب المنصِّرون ضربتهم الناجحة، وفصلوا تركيا عن محيطها الشرقي بشقيه الإسلامي والعربي، وأصبحت تركيا دولة علمانية لا بل أكثر علمانية من الدول الأوروبية التي خلقت العلمانية، ودليلنا على ذلك أن الحكومة التركية تمنع الفتيات المسلمات المحجبات من دخول الفصول الدراسية، في نفس الوقت الذي أعلنت فيه صحيفة «الأندبندنت» البريطانية أن البحرية البريطانية تسعى للحصول على رأي باكستان وتركيا لإدراج الحجاب في الزي الرسمي لقواتها المسلحة، بحيث يمكن للمسلمات الالتحاق بصفوفها، وأن البحرية البريطانية تنوي تجنيد الدفعة الأولى من المجندات المسلمات في أيلول ١٩٩٩م في حال حلِّ مسألة الحجاب(١).

ومن مثالب(*) العلمانية التركية ما حدث في الانتخابات الأخيرة، حيث قام الناخبون الأتراك بانتخاب المهندسة المسلمة «مروة قاوقجي» كنائبة في البرلمان التركي، ورغم أن اللجنة الانتخابية العليا لم تعترض على ترشيحها كمُحجَّبة، ورغم أنه لا يوجد في الدستور أو القوانين أي مادة تمنع عليها الحجاب، ولا حتى في اللائحة الداخلية لعمل البرلمان، ورغم أن جميع القوانين والاتفاقيات والمعاهدات التي وقَّعت عليها تركيا تحمي حقها في الاحتفاظ بحجابها، إلّا أن الحكومة التركية اعترضت على حضور النائبة «مروة قاوقجي» جلسات البرلمان وهي محجبة، وقام بعض النواب العلمانيين بمهاجمتها، وحاولوا الاعتداء عليها بالضرب

---

(١) انظر: جريدة «الرياض» السعودية، عدد ١٤١٨/٩/٥هـ، وجريدة «الجزيرة»، عدد ١٤١٨/٩/٩هـ، نقلاً عن جريدة «الأندبندنت» البريطانية.

(*) **مثالب**: عيوب.

والشتم وكل صنوف التحقير، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل أعلن رئيس الوزراء التركي «بولند أجاويد» أن حكومته تستعد لإسقاط الجنسية التركية عن النائبة الإسلامية المحجبة «مروة قاوقجي»، التي أثار تمسُّكها بالحجاب أزمة في البرلمان التركي، وقال «أجاويد» بكل صراحة ووقاحة: «إنَّ الحكومة التركية قد أعدَّت مرسوماً لإسقاط الجنسية التركية عن «مُروة قاوقجي»، وإن المرسوم قد قُدم إلى جميع الوزراء لتوقيعه، وسيسلم إلى اللجنة الانتخابية العليا بعد التوقيع عليه». أما الحُجج التي تذرَّعت بها الحكومة الديمقراطية في تركيا، لإسقاط الجنسية التركية عنها، فهي أن «مروة قاوقجي» تحمل جنسية أمريكية تركية مزدوجة! والعجيب أن الحكومة التركية تريد إسقاط الجنسية التركية عن هذه النائبة فيما لم تحرك ساكناً إزاء النائب الصهيوني «جيفي قمحي» الذي يحمل جنسية أمريكية وتركية وإسرائيلية(*)، مهما حاول إخفاء ذلك!.

بقي أن أذكر أن العلمانية التركية قد أحدثت الكثير من الأذى لسمعة تركيا حينما لاحقت هذه النائبة التي انتخبها الشعب التركي وفق قواعد اللعبة الديمقراطية، وهي بهذا تُضيف إلى رصيدها المفعم بالممارسات غير الديمقراطية نقاطاً سوداء، وتكشف بغباء عن وجهها الحقيقي المعادي للانتماء الإسلامي لتركيا.

وفي ختام هذه الجولة الآسيوية، لا بد من الإشارة إلى أن المسلمين في فيتنام، وهم أقلية صغيرة، يعانون من الحكم الشيوعي ومن منظمات التنصير، وكذلك الأمر في كوريا الجنوبية.

(*) مما يجدر ذكره أن تانسو تشيلر، رئيسة الوزراء السابقة وعضو البرلمان التركي، تحمل الجنسية الأمريكية أيضاً، ولكن العسكر في تركيا لم يحركوا ساكناً ضدها، بينما تم إسقاط عضوية مروة قاوقجي من البرلمان التركي في ١ صفر ١٤٢٠هـ الموافق ١٦ مايو ١٩٩٩م.

أما كشمير، التي تخوض نضالاً مسلحاً ضد الاحتلال الهندي، فتعاني من حملات التنصير التي تستغل وجود الأيتام واللاجئين والجرحى، وتعمل تحت ستار تقديم الخدمات الإنسانية لتنصير المسلمين في كشمير.

وفي «بورما» يعاني المسلمون من الاستبداد الشيوعي ومن اعتداءات البوذيين، ومن نشاطات المنصِّرين الذين يعملون جميعاً على التنكيل بالمسلمين ومنع تعليمهم وعدم الاعتراف بأي حق من حقوقهم الإنسانية. والمطلوب أخيراً دعم المسلمين في هذه المناطق انطلاقاً من الحديث الشريف: (من لم يهتمَّ بأمر المسلمين فليس منهم).

وسائل التنصير في أوستراليا

أما أوستراليا فقد وصل إليها الإسلام عن طريق ثلاثة رجال من أهالي «كشمير»، ثم جاء بعدهم اثنا عشر مسلماً ومعهم مائة وعشرون جملاً، ثم تتابع وصول المسلمين في موجات متواصلة ومُستمرة، وكان لهؤلا المهاجرين الأوائل الفضل في اكتشاف أعماق هذه القارة، وفي الربط بين أجزائها المختلفة وفي مد خطوط التلغراف، ونقلوا صناديق الطعام والماء إليها، وكان المسلمون بحق يمثلون شريان الحياة وفرسان الأمل والنجاة، وقد حافظ هؤلاء المسلمون على عقيدتهم بجرأة، وراحوا يبنون المساجد في كل مدينة حتى بلغ عددها «٢٦» مسجداً، ومنذ ذلك الحين والإسلام ينتشر في أوستراليا.

كان هذا الانتشار مرتبطاً بحركة المرشدين الأوائل والأدلاء من مسلمي الأفغان والهند، ثم جاءت فترة توقفت فيها هذه الحركة بعد صدور القانون الأوسترالي الذي يحرم على الملوَّنين والآسيويين

دخول أوستراليا منذ عام ١٩٠٢م، ولكن الظروف تغيرت بعد الحرب العالمية الثانية، حيث شهدت أوستراليا هجرة جماعية شجعتها الثورة الصناعية في أوستراليا والحاجة الماسَّة إلى الأيدي العاملة، وهذا ما ساعد أعداداً كبيرة من المسلمين في الوصول إلى أوستراليا، إلّا أنه في الواقع فإن الزيادة الفعلية في أعداد المسلمين حصلت بعد عام ١٩٦٥م مع وصول المسلمين الأتراك واللبنانيين عقب الحرب الأهلية اللبنانية، وخاصة بعد عام ١٩٧٥م.

ومما يجدر ذكره أن المسلمين الأوائل قد تعرضوا لحملات تنصيرية حققت الكثير من أهدافها، حيث استطاعت منظمات التنصير الأوسترالية الغربية من جعل المسلمة تتزوج بغير المسلم، وبالتالي نشوء جيل خليط مستهجن، وشيئاً فشيئاً اختفت شعائر الإسلام، وفي نهاية هذه المرحلة لم يبقَ في أوستراليا سوى ثلاثة مساجد لا يدخلها إلّا عدد قليل من المسلمين.

أما اليوم، فيعاني المسلمون، بعد وصول الدفعة الثانية من المسلمين بعد الحرب العالمية الثانية، من عزلة نسبية عن العالم الإسلامي، ولكن معاناتهم الكبرى ترجع إلى نشاط المنظمات التنصيرية الأوسترالية والغربية، وعن خطر هذه النشاطات التنصيرية يقول «عبد الودود شلبي»: «إنَّ أوستراليا دولة علمانية والحرية الدينية فيها مكفولة، ولكن الجمعيات التنصيرية الكاثوليكية تعمل هناك بنشاط كبير، فالكنيسة الكاثوليكية تملك إذاعة خاصة، ولها مدارسها وجامعاتها الخاصة، وهناك أيضاً في أوستراليا تجد من يطرق بابكَ ويستأذنك بالدخول لحظة، ثم تفاجأ بهذا الزائر يعرض عليك عقيدته ويُغريك باقتفاء أثره، وقبل أن ينصرف لا يفوته أن يترك لك كتاباً أو صليباً على سبيل البركة».

ويؤكد الدكتور «شلبي» أنه «اطَّلع على خريطة وضعتها الكنائس الأوسترالية لتنصير المسلمين في العالم كله، وقد اختطت هذه المؤسسات التنصيرية أسلوباً جديداً للتنصير المُقنَّع أو الذبح بدون إراقة دماء»[1]. والسؤال الآن: هل استطاع المُنصِّرون تحقيق بعض النتائج في أوستراليا؟

الواقع أن المسلمين في أوستراليا، وخاصة الذين جاؤوا إليها بعد الحرب العالمية الثانية، يتمتعون بدرجة جيدة من الوعي والنضج والتمسك بالإسلام، ولذلك فإن التنصير لم ينفع معهم بدليل أن أعدادهم قد أصبحت ربع مليون نسمة، وأن الإسلام ينتشر بين الأوستراليين أنفسهم، وقام عدد منهم بتأدية فريضة الحج إلى مكة المكرمة في موسم الحج لعام ١٤١٩هـ.

وسائل التنصير في أوروبا وأمريكا اللاتينية

عرف الإسلام طريقه إلى أوروبا في وقت مُبكر من عام ٧١١م، عندما قاد طارق بن زياد حملة إسلامية وفتح أسبانيا التي أصبحت قاعدة لانطلاق الجيوش العربية إلى داخل فرنسا، حيث تم فتح «نوريون» عام ٧٢٠م، و«تولوز» عام ٧٢١م، كما تم فتح «بوردو» على يد عبد الرحمٰن الغافقي عام ٧٣٢م، وتوقف المد الإسلامي بعد خسارة المسلمين لمعركة بواتييه (بلاط الشهداء). وعن طريق البحر المتوسط عبر الإسلام إلى صقلية وسردينية عام ٨٢٧م، واستمر بنو الأغلب في فتح مناطق في جنوب إيطالية حتى وصلوا مشارف «روما»، كما حاولوا فتح جنوب فرنسا وسيطروا على جزيرة «كورسيكا» عام ٨٠٦م.

---

(١) انظر: كتاب «التزوير المقدس»، تأليف عبد الودود شلبي، ص٤٧.

وفي العصور الحديثة تمكَّن العثمانيون من دخول منطقة البلقان عام ١٣٥٥م، وتم الاستيلاء على جميع أراضي دول أوروبا الشرقية، حيث تمَّ فتح بلغاريا عام ١٣٧٢م، وبلاد الصرب عام ١٣٨٦م، والبوسنة والهرسك عام ١٣٨٩م، وألبانيا عام ١٤٣٠م، أما القسطنطينية فقد تأخَّر فتحها إلى عام ١٤٥٣م، وفتح المسلمون الجبل الأسود عام ١٤٨٥م، وبلغراد عام ١٥٢١م، وبلاد المجر عام ١٥٢٦م، ووصلت جيوش المسلمين إلى «ڤيينا» وحاصرتها عام ١٦٢٩م، ونتج عن هذا الفتح اعتناق بعض الأوروبيين للإسلام في يوغسلافيا ودول البلقان قاطبة، وظلوا محتفظين بإسلامهم حتى بعد طرد العثمانيين من أوروبا الشرقية وحتى اليوم.

ترك المسلمون آثاراً حضارية لا تزال قائمة في أوروبا إلى اليوم، وشهد العصر الحديث هجرة العديد من المسلمين إلى دول أوروبا الغربية لأسباب سياسية وعسكرية واقتصادية وثقافية، وخاصة من بلدان المغرب العربي.

وبعد الحرب العالمية الثانية تدفقت أعداد كبيرة من المسلمين إلى دول أوروبا الغربية حيث كانت هذه الدول بأمسِّ الحاجة للأيدي العاملة، وخلال العشرين السنة الماضية هاجرت أعداد كبيرة من العرب والمسلمين إلى أوروبا لأسباب مختلفة، وأصبح عدد المسلمين في أوروبا يزيد عن «٢٣» مليون نسمة، منهم نسبة كبيرة من الأوروبيين أنفسهم.

وسائل التنصير في أوروبا

قامت جمعيات التنصير في أوروبا ببذل المساعي التنصيرية بين المسلمين في أوروبا، وقد نجحت للوهلة الأولى بين المهاجرين الأوائل بواسطة التزاوج أو تحويل المسلمين إلى علمانيين، واليوم

تقوم جمعيات التنصير في أوروبا بالعمل في أوساط المسلمين، وتقوم بنشر وترويج أفكار النِّحَل(*) المنحرفة، وتعمل السلطات الأوروبية، بالاتفاق مع جمعيات التنصير، على وضع العراقيل والصعوبات في وجه المسلمين لتزيد في معاناتهم ولتدفعهم إلى النصرانية، ومن هذه الصعوبات تضييق فُرص العمل وعدم الاعتراف بالحقوق الإنسانية للمسلمين.

وتنشط جمعيات التنصير بين الطلاب المسلمين وتعمل على تغريبهم وتنصيرهم أو على الأقل زعزعة العقيدة الإسلامية في نفوسهم، وتعمل على تشجيعهم على الزواج من المسيحيات و﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾(**) لممارسة الفجور وتعاطي المخدرات والزنى والموبقات، ولكن من الملاحظ أنه ورغم كل ذلك فالإسلام ينتشر في أوروبا الغربية بطريقة تدعو للتفاؤل!

أما البلدان الأوروبية التي تحررت من الحكم الشيوعي، فتقوم جمعيات التنصير ببذل جهود كبيرة فيها لتنصير المسلمين. ففي ألبانيا يوجد «٨٣» منظمة تنصيرية تعمل داخل البلاد لمحاربة الإسلام ولتشويه مبادئه، وقد حققت هذه الجمعيات نجاحات كبيرة، وسأضرب مثالاً واحداً يؤكد ذلك النجاح: من الثابت الآن أن كنيسةً غربية قد استولت على أكبر دار للأيتام في عاصمة ألبانيا «تيرانا» والتي تضم أكثر من «٢٥٠٠» طفل مسلم، وقد عللت السلطات الألبانية هذا الخنوع إلى ظروفها الاقتصادية، أما المؤسسة التي حصلت على هذه الصفقة الكبيرة فهي «مبرَّة أمل العالم»، وهي

(*) **النِّحَل**: المذاهب الفكرية.

(* *) ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم/ ٨٣]: تعبير قرآني معناه: تغريهم بالمعاصي إغراءً وتدفعهم دفعاً.

مؤسسة تابعة لكنيسة معمدانية مستقلة في «فلوريدا» بأمريكا، وينص العقد الذي وقَّعته الحكومة الألبانية مع «مبرة أمل العالم» على أن تستأجر «المبرةُ» الدار لمدة «٤٩» عاماً، وهي مدة كافية لإخراج «٢٥٠٠» يتيم من الإسلام بل وإعدادهم، وأجيال أخرى، كقادةٍ للعمل التنصيري في أوروبا، وقد أعلن «كاولي جوني»، المتحدث باسم «مبرة أمل العلم»، أن كنيسته تعتقد بوجوب نشر الإنجيل من خلال هؤلاء الأيتام، إضافة لآلاف غيرهم في كينيا والفلبين، وعن مشروعهم التنصيري في ألبانيا قال: «إنَّ هدف المشروع الألباني ذو شقين: الأول: نشر الإنجيل، والثاني: توفير جو أسري ما أمكن للأطفال».

ولمعرفة حقيقة ما يجري داخل دار الأيتام، التي اشترتها «مبرة أمل العالم»، لا بد من الاستعانة بالمصادر الغربية ذاتها، وخاصة الصحافة الغربية التي تفضح كل شيء، وقد وجدنا ضالتنا بما نقلته صحيفة بريطانية زارت الدار في عام ١٩٩٦م، وقد أكَّد لها مدير الأنشطة في الدار، «أنَّ الأطفال سيغنون الأغاني كما سيستمعون لبعض القصص، وقد قام الأطفال بواجبهم بهذا الصدد، وبدأوا حفظ الأغاني عن ظهر قلب على رغم كونها باللغة الإنجليزية، وقد كانت بعنوان «كم أحب يسوع ويسوع يحبني»، ثم قام أحد المشرفين بقص رواية الإنجيل ختمها ببيان الأشخاص الذين يدخلون الجنة». بقي أن أقول: إنَّ مصاريف الدار تبلغ ما بين ٣ - ٥ مليون دولار سنوياً يتم جمعها من مدارس نصرانية في أمريكا وأوروبا عبر جماعات نصرانية هناك، وأصبح من المؤكد أن هذه المؤسسة التنصيرية بصدد استلام دار ثانية للأيام في «تيرانا»، العاصمة الألبانية، تضم أطفالاً في الثالثة من أعمارهم.

ومن الجدير ذكره أن مؤسسة «مبرة أمل العالم» التنصيرية قد استطاعت، وبدعم من مؤسسات تنصيرية عالمية، الحصول ليس على دار أيتام واحدة فقط بل غيَّرت عقودها لتشرف على جميع[1] دور الأيتام في ألبانيا متغلبة على ما كان ينافسها من هيئات إسلامية، وقد نجحت المنظمات التنصيرية العاملة في ألبانيا في تأليب[*] السلطات الألبانية على المؤسسات والهيئات العاملة في الحقل الدعوي الإسلامي، وفعلاً قامت السلطات الألبانية بمطاردة العاملين في الحقل الدعوي والتضييق على العاملين فيه.

وفي بلغاريا يوجد نحو «٢» مليون مسلم كانوا قد عانوا من ظلم واضطهاد الحكم الشيوعي، وبعد سقوط هذا الحكم توافدت منظمات التنصير إلى بلغاريا وقامت بشن حملة واسعة النطاق لتنصير المسلمين، ومن الجمعيات العاملة هناك «جمعية أصدقاء تركيا» ومقرُّها الرئيس في أمريكا، وقد استطاعت جمعيات التنصير، تنصير «١٢٠٠» شخص منذ بداية عام ١٩٩٢م وحتى حزيران ١٩٩٤م، ومن نشاطات جمعيات التنصير في بلغاريا إرسال نسخ من فيلم فيديو عن حياة السيد المسيح إلى بلغاريا وطبع عشرات الألوف من الإنجيل باللغة البلغارية[2].

وفي البوسنة والهرسك، استغلت منظمات التنصير حرب الإبادة الجماعية التي شنَّها الصرب ضد المسلمين في البوسنة، وما نتج

---

(١) انظر: جريدة «الجزيرة»، العدد ٨٨١٤، تاريخ الجمعة ٤ رجب ١٤١٧هـ/ ١٥ نوفمبر ١٩٩٦م.

(*) **التأليب على**: التشجيع ضد شخصٍ آخر أو الإغراء بالعداوة ضده.

(٢) انظر: جريدة «الاتحاد»، ملحق حديث الصائم، ٢٨ رمضان ١٤١٣هـ الموافق ٢١ مارس ١٩٩٣م.

عنها من تشريد السكان من أطفال ونساء وشيوخ. فخلال حرب الإبادة التي شنَّها الصرب، من عام ١٩٩٢م إلى ١٩٩٦م، قامت الدول الغربية بفتح ذراعيها وأبوابها أمام أفواج اللاجئين من مسلمي البوسنة والهرسك، وأعدت لهم المخيمات والمعسكرات وزوَّدتها بالمدارس والمستشفيات، ولكن، وفي الوقت نفسه، حشدت مجموعة كبيرة من القساوسة والأخصائيين الاجتماعيين والمدرسين والأطباء للإشراف على تلك المستشفيات والمخيمات(١)، وكانت المهمة الأساسية الموكلة لهؤلاء جميعاً هي تعريف اللاجئين بدين المسيح، فلقمة الخُبز تُقدم في مطاعم المعسكرات تحت شعارهم المزعوم «رحمة الرب المسيح بأبنائه من البوسنة والهرسك».

يرقد الجريح، وكذلك المريض تحت الصليب في المستشفيات ويتلقى الدواء باسم ما يدعى بالرب يسوع المنقذ، ثم يأتي دور الأخصائيين الاجتماعيين والقساوسة في «تنوير» هؤلاء اللاجئين والأخذ بأياديهم إلى طريق النجاة إلى النصرانية. واليوم تلعب المنظمات التنصيرية في أوروبا نفس الدور مع اللاجئين من مسلمي كوسوفو، حيث قامت منظمات التنصير بالفعل باستغلال الظروف الأليمة والأوضاع السيئة لمسلمي كوسوفو، وقدمت لهم الحاجات الضرورية مقرونة بالدعاية النصرانية لتنصير المسلمين أو تشكيكهم بالإسلام، كما قامت شبكة صربية ببيع أطفال المسلمين خلال حرب البوسنة والهرسك.

تقوم شبكات صربية اليوم باصطياد أطفال كوسوفو وتقوم ببيعهم

---

(١) انظر: جريدة «الاتحاد»، ملحق حديث الصائم، ٢٨ رمضان ١٤١٣هـ الموافق ٢١ مارس ١٩٩٣م.

بثمن يتراوح بين ألف وعشرة آلاف دولار للطفل الواحد، ومن الجدير ذكره أن الكنائس هي أكثر الجهات شراءً لأطفال المسلمين وذلك لتنصيرهم؛ ماذا يعني ذلك؟ إنه يعني، بكل بساطة: أنَّ الصرب يعيدون تجارة الرقيق الأبيض، ويحدث كل ذلك والعالم الغربي المتحضر، الحريص على حقوق الإنسان، يتفرج[1]!
ويحضرني في هذا المقام ما قاله الشاعر:

قتلُ امرئٍ في غابة ... جريمة لا تُغتفر
وقتلُ شعبٍ آمنٍ ... مسألةٌ فيها نظر

هذه عدالة الغرب.

في أمريكا اللاتينية، تقوم جمعيات التنصير بنشاط واسع لتنصير المسلمين والوثنيين في أمريكا اللاتينية متَّبعة نفس الأساليب الرخيصة التي استخدمت في آسيا وأفريقيا وأوروبا، ويتركز النشاط التنصيري اليوم على الأقليات الإسلامية، وبخاصة في البرازيل التي تضم جالية إسلامية كبيرة، ولأنها تجاور «سورينام» الدولة الإسلامية الوحيدة في أمريكا الجنوبية. وتشهد البرازيل حملات تنصيرية مدعومة من مجلس الكنائس العالمي وبتمويل من تجار المخدرات، هدفها تحويل الشعوب الوثنية في جزر البحر الكاريبي إلى النصرانية وكذلك تنصير المسلمين؛ وتتزعم هذه الحملة جماعة تنصيرية تُطلق على نفسها اسم «الكنيسة العالمية لمملكة الرب» التي أنشأها القسيس «إدير ماسيدو» عام ١٩٧٧م في البرازيل، وخلال السنوات الماضية نمت هذه الكنيسة وتوسَّع نشاطها، وأصبح لها فروعٌ في

---

(١) انظر: جريدة «الاعتدال»، عدد ١٢ آب ١٩٩٤م، وجريدة «الاتحاد»، عدد ٧/ ٥/ ١٩٩٩م.

الولايات المتحدة الأمريكية وتشيلي وكولومبيا والأرجنتين والأوروغواي والبرتغال وأنجولا، وهي تدير مجموعة من محطات الإذاعة والتلفزة، ويستغل المنصِّرون في هذه المناطق سوء الأوضاع الاقتصادية الناجمة عن الجفاف والمجاعات، ويتسابقون لتقديم خدماتهم الإنسانية ممزوجة بالأهداف التنصيرية المشبوهة، ومن المفيد ذكره هنا أن الفاتيكان يقوم بتشجيع المنصِّرين ويبارك جهودهم حتى أن البابا شخصياً يقوم، بين الحين والآخر، بزيارة بلدان أمريكا اللاتينية.

ففي زيارة البابا إلى البرازيل حشد المنصِّرون أكثر من «٢٠٠» ألف شخص من أتباع الكنيسة العالمية لمملكة الرب في أحد المدرجات الرياضية، وكان الهدف هو استعراض القوة والتبجُّح بنفوذ الكنيسة[1] لا غير، فهل هي عودة الحروب الصليبية؟!

---

(١) راجع: جريدة «الاتحاد»، حديث الجمعة، يوليو ١٩٩٢م، ص٦.



الفَصْلُ السَّابع

التنصير بلغة الأرقام

الظاهرة التي لا يستطيع أحد إنكارها أن المنصِّرين قد نشطوا في هذا العصر وتعددت وسائلهم سعياً لنشر باطلهم، واليوم تجوب إرساليات التنصير العالم شرقاً وغرباً، وهذه بعض الأرقام المذهلة التي تعطينا فكرة واضحة عن ضخامة هذا النشاط التخريبي المدمِّر الذي يسعى لمحو الهوية الإسلامية. تقول الأرقام:

ـ هناك «١٧» مليون منصِّر يعملون ضد الإسلام في أنحاء العالم.

ـ هناك جيش من المنصِّرين قوامه «١١٢» ألف منصِّر يستهدف تحويل القارة الأفريقية إلى قارة صليبية عام ٢٠٠٠م.

ـ يوجد في أفريقيا «٥٠» إذاعة تنصيرية تبث برامجها بمختلف اللهجات واللغات، و«٥٠٠» مدرسة لاهوتية، و«٢٠» ألف معهد كنسي لتخريج المنصِّرين[١].

ـ في عام ١٩٥٠م كان للكنيسة الكاثوليكية وحدها «٨» آلاف بعثة تنصيرية منتشرة في أنحاء العالم.

---

(١) انظر: مقال محمود عبد الرحمٰن: «كيف نواجه التنصير»، في جريدة «الاتحاد» الظبيانية: عدد السبت ١٤ رمضان ١٤١٦هـ الموافق ٣ فبراير ١٩٩٦م.

- يوجد في الشرق الأوسط «١٣٠٠» منصِّر متفرِّغ، معظمهم يديرون مراكز طبية.

- تقوم دائرة تنصير الشعوب في الفاتيكان بالإشراف على «٥٨» ألف مدرسة و«٢٦» ألف معهد وجامعة في أنحاء العالم، وفي أفريقيا وحدها يقوم المنصِّرون بالإشراف على تعليم خمسة ملايين طالب وطالبة.

- جنَّد المنصِّرون كل الوسائل المتاحة لتحقيق أهدافهم، فهناك ما يقارب من «٢٥» ألف مجلة ومطبوعة، وأكثر من «٢٤» ألف منشور و«مطوية»(*) لنشر معتقدهم.

هذا على الصعيد الجماعي، أما على الصعيد الفردي فتعمل العديد من العائلات لدعم النشاطات التنصيرية في العالم الإسلامي، فمثلاً عائلة: «آرم سترونغ» الأمريكية تدعم إصدار مجلة «الحقيقة» وتطبع منها ٧,٨ مليون نسخة شهرياً وتوزع مجاناً، وتصدر مجلة اليقظة شهرياً بعدد ١٠,٦ مليون نسخة وتوزع مجاناً بثلاث وخمسين لغة!!! ومجلة أخرى تُعرف بـ«برج المراقبة» تطبع ١٣,٥ مليون نسخة شهرياً بـ «١٠٤» لغات، وهناك أكثر من ثمان وعشرين ألفاً وتسعمائة وعشرين مؤسسة ومكتب خدمات تنصيرية في العالم بـ«٩٥» لغة، يعمل فيها ما يزيد عن خمسة ملايين وخمسمائة منصِّر.

أما على الصعيد المادي فهناك مليارات الدولارات المجنَّدة لخدمة التنصير في العالم الإسلامي، فهم يُرخصون لمعتقدهم الغالي والنفيس، مستغلين غفلة السواد الأعظم من المسلمين وتكالبهم على الدنيا وزخرفها والتناحر فيما بينهم[1].

(*) **مطوية**: منشورات صغيرة الحجم قابلة للطي.

(١) انظر: جريدة «الرياض» السعودية، عدد الجمعة ١٧/ ١٢/ ١٩٩٩م، مرجع سابق.

- يوجد أكثر من «٥٠٠٠» منظمة تنصيرية تعمل في العالم الإسلامي تحت ستار جمعيات حقوق الإنسان.

أما أحدث إحصائية فقد نشرتها المجلة الدولية لأبحاث التنصير، التي تصدر في أفريقيا، فأشارت إلى الآتي:

- بلغ مجموع التبرعات لأغراض كنسية عام ١٩٨٩م «٥» مليارات دولار أمريكي، أما عدد المجلات والنشرات والدوريات المسيحية التي توزع في العالم فيبلغ «٢٢٧٠٠» مطبوع، وتم توزيع «٧٢» مليوناً، و«٥٥٢» ألف نسخة من الإنجيل عام ١٩٨٩م.

- تستغل جمعيات التنصير «٤٥» مليون جهاز كمبيوتر في تخطيط برامجها وتنفيذها، وهناك «١٩٠٠» محطة إذاعية وتلفزيونية مسيحية في العالم، كما وإن عدد المنصِّرين المحليين، الذين ينتمون إلى الدول التي يعملون فيها، قد بلغ «٣» ملايين و«٨٦٥» ألف شخص فقط.

وجاء في إحصائيات النشرة الدولية للبحوث الإرسالية المسيحية عن التنصير ونشاطاته في العالم، أن عدد المؤسسات التنصيرية أصبح «٩٩٥٨٠» مؤسسة في عام ١٩٩١م، و«٢١٣٠٠» وكالة للإرساليات التنصيرية العاملة خارج أوطانها، وإنَّ دخَّل الكنائس العالمية في مجال التنصير بلغ «٩,٣٢٠» مليار دولار، وقيمة التبرُّع لخدمة المشاريع المسيحية بلغ «١٦٣» مليار دولار، والدخل الإجمالي للإرساليات الأجنبية يساوي «٨,٩» مليار دولار، ويعمل في خدمة مؤسسات التنصير[1] «٨٢» مليون جهاز كمبيوتر لحفظ

---

(١) انظر: جريدة «الاتحاد»، ملحق حديث الجمعة، تاريخ ٢٠/١/١٩٩١م، وتاريخ ٢٤ ربيع الأول ١٤١٥ الموافق ٣٠ أيلول ١٩٩٤م.

ونشر المعلومات، وصدر، لتحقيق هذا الهدف، «٨٨,٦١٠» كتاب في سنة واحدة علاوةً على المجلات المسيحية البالغ عددها «٢٤,٩٠٠» مجلة، ووصل عدد الأناجيل الموزعة في العالم، عام ١٩٩١م، إلى «٥٣» مليون نسخة.

أما محطات الإذاعة والتلفزة المسيحية فهي «٢٣٤٠» محطة، وذكرت النشرة الدولية لأبحاث التنصير أن هدف عمليات التنصير الوصول إلى «١٢٣١» مليون إنسان لم يصلهم التنصير بعد.

أما عن الخطط التي وضعها المنصِّرون فيكفي الاطِّلاع على الخطة التي وضعتها لجنة «لوزان» للتنصير: ففي حزيران ١٩٩٦م، كشف القس «توم هيوستن»، المدير الدولي للجنة لوزان للتنصير المسيحي العالمي، عن خطة دولية تستهدف تنصير ملايين الأشخاص في أنحاء مختلفة من العالم، مستغلة في ذلك حاجة معظهم إلى الغذاء والمال، وأضاف: «إنَّ قادة مؤسسات الإعلام التنصيري يخططون كذلك للبث المرئي والمسموع لنشر البث الخاص بالتنصير، ليصل إلى جميع دول العالم قبل عام ٢٠٠٠م». وقال القس «توم هيوستن»: «إن النشاط التنصيري سيزداد في السنوات القادمة مع اعتناق نحو «١١» مليون شخص للمسيحية في جنوب وشرق ووسط أفريقيا»، وأكَّد أن الكنيسة ستستمر في التوسع لأنها العنصر الوحيد الذي يقدم المساعدات السخية والفرح في الظروف الصعبة التي تمرُّ بها الشعوب، حسب زعمه.

وتقول لجنة لوزان للتنصير العالمي: «إن أكبر تجاوب مع التنصير، من الآن وحتى عام ٢٠٠٠م، سيكون في أمريكا اللاتينية والهند وأندونيسيا». وفي نشرة تصدرها البعثة التنصيرية للأبحاث والاتصالات في «منروفيا» و«كاليفورنيا» عن التنصير، جاء أنه تم

تقسيم العالم الإسلامي إلى عدة أقسام هي: الشرق الأوسط وتركيا وغرب آسيا وشمال أفريقيا وبنجلادش وغرب أفريقيا، ويزعم المنصِّرون أن التوصل إلى تنصير نسبة ٢٠٪ من معتنقي الإسلام في بلدان أندونيسيا وماليزيا وجزر القمر وجزر المالديف سيكون ممكناً بعد عشر سنوات من الآن، وذلك يعني تنصير «٢٤» مليون مسلم.

وبالنسبة لبلدان إسلامية أخرى يزعم المنصِّرون أن نسبة المسيحيين ١٠٪ من مجموع السكان في النيجر وغانا والسنغال وساحل العاج ونيجيريا ودول أخرى، وأنهم يتوقعون أن يتم تنصير «٢٣» مليون شخص خلال الأعوام العشرة القادمة.

وجاء في تقرير قُدم لندوة المؤتمر الأفريقي للكنائس، التي عقدت في «ممباسا» الكينية، قال القس «منكير أساسياس»: «إنَّ الإنجيل يجب أن يصل إلى مسمع كل رجل وطفل وامرأة في هذا العالم، وبلغة يستطيعون فهمها لنتمكن من تنصيرهم»، مشدداً على دعم المبادرات الرئيسية للتنصير. أما بعثة المد المسيحي فقد وضعت استراتيجية تنصيرية، ومبادرة التنصير لعام ٢٠٠٠م للبث العالمي بالأقمار الصناعية، ومبادرة بعثة عام ٢٠٠٠م في أمريكا، وتبث إلى جميع أنحاء العالم[1].

وأخيراً، وفي عام ١٩٩٦م، ذكرت النشرة الدولية لأبحاث التنصير في العالم إحصائيات جديدة عن وسائل وإمكانيات النشاط التنصيري في العالم، وجاء فيها أن ما جمعته المنظمات النصرانية خلال هذا العام هو «١٩٣» مليار دولار أمريكي، وعدد المنظمات

---

(١) انظر: جريدة «الاتحاد»، ملحق حديث الجمعة، العدد ٢٢٨، تاريخ ٢٨ محرم ١٤١٧هـ الموافق ١٤/٦/١٩٩٦م.

التنصيرية بلغ «٢٣٣٠٠» منظمة، والمنظمات التي ترسل منصِّرين إلى الخارج «٤٥٠٠» منظمة، وعدد المنصِّرين الذين يعملون داخل أوطانهم «٤,٦٣٥,٥٠٠» منصِّر، وعدد كتب الإنجيل التي يتم توزيعها خلال عام واحد «١٧٨,٣١٧,٠٠٠» كتاب، وعدد المجلات والدوريات «٣٠١٠٠» دورية. وفي مجال البث الإذاعي والتلفزيوني ذكرت النشرة أن عدد محطات الإذاعة والتلفزة التي تملكها المنظمات التنصيرية يبلغ «٣٢٠٠» محطة.

أكتفي بهذه الأرقام للتدليل على ضخامة النشاط التنصيري وشموله لكافة أنحاء العالم، مع العلم أن حجم النشاط التنصيري يزداد ويتصاعد بكفاءة عالية كل عام، بل كل يوم، وأضع هذه الأرقام أمام المسلمين ليدركوا حجم المخطط التنصيري الذي يستهدف كل مسلم على وجه الأرض.

والسؤال الآن: كيف ينظم المنصِّرون عملهم التنصيري؟ سأكتفي بمثال من قارة أفريقيا: إنَّ تواجد منظمات التنصير في أفريقيا ظاهر للعيان، وشامل إلى درجة أن المواطن الأفريقي أصبح يعتقد أن الجهة التنصيرية أقوى بكثير من الدولة التي يعيش فيها وينتمي إليها، وأصبح يعتقد أيضاً أن التنصير مسؤول عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتردية، ومسؤول عن معظم الأمراض المتفشية بسبب وجوده في السلطة. أمَّا كيف ينظم المنصِّرون عملهم التنصيري؟ فجواباً على ذلك أقول: من الناحية الإدارية يتمتع التنصير بوحدة قيادة وبوحدة إدارة وخطة موحدة وبالتنسيق في التنفيذ؛ فوحدة القيادة من البابا إلى مجلس كرادلة روما إلى مجلس أساقفة الكنائس المحلية إلى الفاتيكان إلى رُسل الكرسي البابوي إلى القساوسة المحليين والإقليميين، وما من شيء يُنَفَّذ إلا بعلم كل هؤلاء وبتنسيق شديد، وليس هناك مجال للتعارض.

فالذي يستلم مكتباً من مكاتب التنصير أو منظمة من منظماته لا بد أن يكون قد تم تأهيله فكرياً على المستوى الديني، ومرَّ باختبارات وتجارب وامتحانات كثيرة، وأن يكون إدارياً ناجحاً بحيث يتمكَّن من إدارة المكتب أو المنظمة بشكل متكامل، وتعتبر المنظمة التنصيرية كالدولة ولها فروع في كل مكان، وهي منظمات تخصصية، بعضها مختص في مجال الزراعة وبعضها مختص بتنصير المسلمين الصغار، وهناك منظمات متخصصة بإخراج المسلم من الإسلام فقط، وذلك ببث الأفكار والادعاءات المشككة في دينه وجعله ليس مسلماً ولا نصرانياً، وبعضها متخصص في مجال الطب، وبعضها في تأهيل أعضاء جهاز الدولة بحيث يصبح العضو رئيساً أو وزيراً أو رجلاً تحتمي هذه المنظمات به[١].

وعند وصول المنظمات التنصيرية إلى أفريقيا تبحث أولاً عن مصادر التمويل، رغم إمكانات الدعم الكبيرة المكرسة لخدمتها، وتعمل المنظمات على تأمين التمويل الذاتي وعلى كيفية ضمان استمرار هذا التمويل بحيث تصبح بعد فترة مُعينة قادرة على تمويل نفسها بنفسها في حال انقطاع المساعدات من المحسنين في أوروبا أو في أفريقيا.

أما عن حجم النشاط التنصيري، فإننا نجد ما يذهل: ففي أفريقيا نجد أن عدد منظمات التنصير مذهلٌ للغاية، فعلى سبيل المثال لنأخذ دولة «تشاد»، وهي دولة تخاف منها منظمات التنصير ورغم ذلك يوجد فيها «٨٦» منظمة تنصيرية مقابل أربع منظمات إسلامية، وهذا ينطبق على الكاميرون وبعض الدول الواقعة في وسط أفريقيا

---

(١) راجع: مجلة «الفيصل»، العدد ٢٢٣، ص٥٣، حوار مع الداعية الإسلامي حقار بن محمد أحمد.

وشرقيها. وفي نيجيريا التي يسكنها «١١٠» ملايين مسلم يوجد ثلاث منظمات إسلامية مقابل «٢٠٦» منظمة تنصيرية، وبالتالي فهناك آلاف المنظمات التنصيرية في أفريقيا مقابل عدد لا يتجاوز عدد أصابع اليدين من المنظمات الإسلامية!

وأخيراً اتبع المنصِّرون طريقة جديدة لتسهيل العمل التنصيري، فقد أكَّد مسؤول منظمة «حدود» التنصيرية أن المنصِّرين يقومون بتنظيم شبكة موحدة، حيث تقوم منظمة بالتمويل وأخرى بإرسال المنصِّرين وثالثة، في البلد المُستهدف، بتوفير التسهيلات داخل البلاد، ويقوم المنصِّرون بتعليم أهل الأرياف في أفريقيا الميكانيكا والطب البيطري وعلوم الزراعة والطب البشري، ومع ذلك كله معلومات تنصيرية، ويستغلُّ المنصِّرون كبار السن ويعرضون عليهم منحاً دراسية لأبنائهم حتى لا يفاجأ الآباء بعودة أبنائهم وقد تنصَّروا!!!

وفي مقابل هذه الإمكانيات الضخمة للتنصير، لا بد من التساؤل: ماذا حقق المنصِّرون حتى الآن؟

نشرت دائرة معارف الكنيسة «أنسكلوبيديا» الأرقام التالية عن النشاط الكنسي وما حققه من نجاحات:

- خلال ربع قرن، أي من عام ١٩٢٥ - ١٩٥٢م، حوَّل المنصِّرون «١٣» مليون مسلم إلى الكاثوليكية، وزاد عدد البروتستانت، خلال نفس الفترة، «٣٠» مليون نسمة.
- ارتفع عدد المسيحيين في الجزر الأندونيسية النائية، مثل إيريان الغربية وكذلك في جزر المولوك، ليصل إلى ٤٤٪ بالمئة.
- تم تنصير «٨» آلاف شخص في إقليم السند بالهند في يوم واحد عام ١٩٨٥م.

ـ انخفض عدد المسلمين في «ملاوي» من ٧٠٪ إلى ٣٠٪ فقط بسبب نشاط التنصير.

ـ حقق المنصِّرون نجاحاً كبيراً وسط «٨٠» مليون مسلم من سكان دول جنوب الصحراء الأفريقية، وذلك بتحويل «١٠» ملايين من ذلك العدد إلى الديانة النصرانية[١].

ـ في أندونيسيا، نجح المنصِّرون في تنصير «٢٠» مليون مسلم، ونجحوا في رفع نسبة الكاثوليك في جزيرة تيمور الشرقية إلى ٩٠٪، مما شجع الكاثوليك للمطالبة بدولة مستقلة، وقد جرى الاستفتاء فيها لمعرفة رغبات السكان في ٣١/٨/١٩٩٩م.

وهكذا ضرب المنصِّرون ضربتهم الناجحة، وتمكَّنوا من خلق دولة مسيحية في قلب أندونيسيا المسلمة، وذلك بفضل الدعم اللامحدود من الغرب.

ـ تمكَّن المنصِّرون من بناء آلاف الكنائس في العالم الإسلامي وآلاف المراكز لتدريب المنصِّرين وإعدادهم، وبنوا آلاف المعاهد والمدارس في أفريقيا وآسيا، وبنوا جامعات عديدة؛ ففي المدينة الأفريقية الواحدة تجد عدة جامعات، ولكل جامعة مشاريع استمثارية وعلمية ووسائل للسيطرة على أفريقيا.

ـ أبعدوا المسلمين عن المناصب السياسية والقيادية الهامة في بلادهم، فكينيا مثلاً تزيد نسبة المسلمين فيها عن ٤٠٪ من نسبة السكان الكلية، ومع ذلك لم يحظَ إلا عدد محدود من المسلمين بوظيفة وزارية منذ استقلالها. وفي تنزانيا يشكل المسلمون ٧٥٪ من

---

(١) انظر: كتاب «حزام المواجهة حرب التنصير في أفريقيا»، مدبولي إسماعيل عثمان وجبر الله عمر الأمين، مرجع سابق.

مجموع السكان البالغ عددهم ٢٥,٥ مليون نسمة، ومع ذلك فإن المسيحيين، الذين يشكلون أقلية، يهيمنون على المناصب العليا وعلى مختلف الإدارات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وذلك بسبب السياسات التعليمية منذ أيام الاستعمار، حينما تم تركيز الجهود التعليمية على المسيحيين فقط، وحتى اليوم، ففي مجال التعليم هناك «٢٠٢» مدرسة ثانوية للمسيحيين مقابل ثلاث أو أربع مدارس ثانوية للمسلمين[1]، ومثال ذلك في غانا وأوغندا ومعظم الدول الأفريقية.

ـ حقق المنصِّرون نجاحات كبيرة في تشاد، التي تعد من الدول الأفريقية الرائدة في محاربة التنصير وأهدافه الاستعمارية، ورغم أن التشاديين، ومنذ بداية النشاط التنصيري، قد قاوموا هذا النشاط وقاطعوا المدارس التنصيرية والاستعمارية، وحتى أنهم نفذوا مذبحة «الكبكب» سنة ١٩١٧م، وقتلوا المنصِّرين وأحرقوا كتبهم، ولكن المنصِّرين أصروا على متابعة نشاطهم التخريبي في تشاد رغم القتل والملاحقة والمضايقة، وبذلوا جهوداً مكثفة، واستغلوا ظروف الحرب الأهلية في تشاد، وتمكَّنوا من استمالة بعض أبناء المسلمين لتقبُّل الدراسة في مدارسهم، ومع مرور الوقت أصبحت الدراسة في مدارس الكنيسة أمراً عادياً، وكانت النتيجة أن المنصِّرين تمكَّنوا، من خلال هذه المنافذ التي فتحوها، من إضعاف التمسك بتعاليم الإسلام.

أما في جنوب تشاد، حيث تسود الوثنية، فقد أفلحت حملات التنصير في إدخال كثير من أبنائه إلى النصرانية، وبذلك وُجدت

---

(١) راجع: جريدة «الاتحاد»، ملحق حديث الجمعة، عدد ١٥ مايو ١٩٩٢م.

المسيحية في تشاد بنسبة ١٥٪ من عدد السكان البالغ «٧» ملايين نسمة، وما زال هناك مجموعة من الوثنيين يتجاذبها المسلمون والنصارى[1].

وفي الحقيقة، لا يوجد هناك إحصاء دقيق لعدد المسلمين الذين تنصَّروا أو الذين تمكَّن المنصِّرون من إضعاف عقيدتهم الإسلامية، ومن هنا أتوجه إلى منظمة المؤتمر الإسلامي للنهوض بهذه المهمة ووضع الأرقام الصحيحة أمام العالم الإسلامي ليدرك المسلمون خطورة المؤامرة الصليبية على حاضرهم ومستقبلهم.

---

(١) انظر: جريدة «الجزيرة» السعودية، ملحق آفاق إسلامية، عدد ١٦/ ١٠/ ١٩٩٨م.

الفصل الثامن

التصدي للتنصير في زمن العولمة

في كتابه «المدارات الحزينة»، يقول الأنثروبولوجي الفرنسي «كلود ليفي شتراوس»: «إن ما نراه في الرحلات هو قمامتنا التي تُلقى في وجه الإنسانية، وإن الإنسانية تستقر اليوم في ثقافة آحادية»[1]، ومصدر كلامه هذا هو انمحاء العديد من القبائل في البرازيل بسبب الغزو الاستعماري. أما الصورة القائمة حالياً، بعد نهاية الحرب الباردة، فهي صورة قاتمة عاد فيها الاستعمار، قديمه وحديثه، مُدجَّجاً بأسلحة من طراز جديد: المعلومات ـ الأنترنت ـ أقمار صناعية ـ شركات متعددة الجنسية ـ مما جعل ثقافات الجنوب مُهدَّدة باختراق ثقافة عولمية غربية، إنها ثقافة استهلاكية تعتمد على أيديولوجيا الصوت والصورة للاستحواذ على العقول وشلِّ الذهنيات، وهدفها خلق إنسان استهلاكي آحادي البعد، يُحدد أهدافه كل يوم ويغيِّر قِيَمه بعد استماعه لإعلان إعلامي، وبكلمة: إنَّ النظام الثقافي، الذي تروِّج له العولمة المدعمة بالتكنولوجيا المتطورة ليس سوى تغريب العالم، وفي المقدمة العالم الإسلامي، وكذلك تذويب خصوصيته.

---

(١) انظر: كلود ليفي شتراوس، «المدارات الحزينة»، مكتبة بلون، ١٩٥٥م، ص٣٦، ٣٧.

يقول «دافيد روثكريف»: «إن التكنولوجيا لا تحدث فقط تحولاً في العالم بل إنها تخلق عالمها المجازي أيضاً»(*). والسؤال الذي يطرح نفسه: هل تستطيع العولمة تحقيق أهدافها في «تنميط» الإنسانية إلا بواسطة تضليل الشعوب، وفي المقدمة الشعوب الإسلامية؟ وما هي أهداف العوملة في العالم الإسلامي؟.

في الحقيقة إنَّ ثقافة العولمة بدأت منذ نهاية الحرب الباردة، وحتى قبلها، بعملية واسعة وشاملة لتضليل الشعوب وإطلاق الوعود المعسولة، ومن ذلك أن الشعوب في ظل العولمة ستنعم بمباهج التكنولوجيا وزيادة الدخل ورخاء العيش، فضلاً عن توسيع أرضية المشاركة على قاعدة المجتمع المدني وحقوق الإنسان والديمقراطية، ولكن بعيداً عن هذه الدعايات الزائفة والأهداف المضللة للعولمة: فإن للعولمة أو الكوكبة أهدافاً خطيرة غير تلك المعلنة، أما أهم أهداف العولمة في العالم الإسلامي فهي:

١ ـ التحكم في الاقتصاد الإسلامي وإخضاعه لمصالح الدول الكبرى بواسطة التلاعب في أسواق الأسهم وأسعار الصرف، وما حدث في ماليزيا من خسارة «٢٠٠» مليار دولار بين لحظة وأخرى خير مثال على ذلك، وحصل مثل ذلك في أندونيسيا عام ١٩٩٧م.

٢ ـ جعل العالم الإسلامي سوقاً مفتوحة لسلع الغرب، وجعل المسلم مجرد مستهلك وتابع للغرب يُسدد فاتورة غذائه في حينها بدون تأخير أو مماطلة.

٣ ـ احتكار التكنولوجيا المتطورة وحجبها عن العالم الإسلامي ليظل تابعاً ومتخلِّفاً، بل ولتنمية التخلُّف أكثر فأكثر.

(*) دافيد روثكريف، مجلة «الثقافة العالمية» العدد ٨٥، ص٢٩.

المقصود **بالعالم المجازي**: تباعد الصورة بين الصناعة الإعلانية والواقع، ورسم صورة خيالية للأحداث، موجودة في السينما والتلفزيون فقط.

٤ ـ تذويب الحضارة الإسلامية لأنها تحمل قيماً مُضادة ومُغايرة لقِيَم الحضارة الغربية المسيحية الصهيونية، وهذا ما أكده المفكر الاستراتيجي الأمريكي «صموئيل هانينجتون» حين صرح أنه لا مجال ولا إمكانية للتعايش مع الحضارة الإسلامية لأنها تختلف عن الحضارة الغربية، وأن المواجهة التي انتهت مع الشيوعية تركت المجال مفتوحاً أمام مواجهة جديدة وبخاصة مع الحضارة الإسلامية. إذن العولمة تريد تذويب الحضارة الإسلامية لأنها تتعارض مع الحضارة الغربية، هكذا وبكل وضوح.

٥ ـ تهدف العولمة إلى القضاء على العروبة، باعتبارها رابطة قومية جامعة ومُضادة لحركة العولمة التي تستلزم القضاء على أية رابطة غير الانتماء إلى الفكرة الإنسانية العالمية، وعلى هذا فالوحدة العربية أو الإسلامية ينبغي أن تختفيا في عصر العولمة لأنهما يمكّنان العرب والمسلمين من الوقوف أمام تيار العولمة أو عرقلته والحد من جموحه، والأخطر من ذلك كله هو تسرُّب بعض أفكار العولمة إلى بلداننا العربية والإسلامية، إذ بدأ بعض الكُتّاب، من ذوي اللون الأمريكي خاصة، التبشير بانتهاء العروبة، وأخذوا يصفونها بأنها فكرة محلية وقبلية لا تتفق مع مناخ العولمة، لا بل إنَّ العالم الإسلامي يشهد اليوم حملة خطيرة للغاية في وسائل الإعلام وفي الصحف بشأن الدعوة إلى وحدة الأديان «الإسلام واليهودية والمسيحية»، وقد تفرَّع عن ذلك دعوة إلى بناء المساجد والكنائس والمعابد في محيط واحد في رحاب الجامعات والمطارات والساحات العامة، ودعوة إلى طباعة القرآن الكريم والتوراة والإنجيل في غلاف واحد. وبالفعل بدأ المهتمون بهذه الدعوة الخطيرة والمُدمرة إلى عقد المؤتمرات والندوات وتأسيس الجمعيات في الشرق والغرب. والسؤال الآن: أليست هذه الدعوة

العولمية منسجمة تماماً مع أهداف التنصير وأغراضه ووسائله؟ نعم، إنها لكذلك، لأن هدفها هو القضاء على الإسلام.

إنَّ هذه الدعوة تريد مساواة الإسلام بالأديان السابقة له والتي نسخها بأحكامه الفريدة والمرنة، وتريد مساواة المسلم مع غيره من النصارى واليهود، لكن، مما يثلج صدورنا ويريح أعصابنا أن علماء المسلمين قد تصدوا لهذه الدعوة الآثمة ووصفوها بأنها دعوة ضالة، وكان الشيخ عبد العزيز بن باز قد بادر إلى إصدار فتوى بشأن هذه الدعوة، وكانت آخر فتوى يصدرها قبل وفاته(*)، فقال: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران/١٩]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران/ ٨٥]. وأكَّد أن القرآن قد نسخ التوراة والإنجيل، وأن كل من لم يدخل في الإسلام يُعدُّ خاسراً، وأكَّد أخيراً أن الدعوة إلى وحدة الأديان وصهرها في قالب واحد هي دعوة خبيثة وماكرة غرضها خلط الحق بالباطل وهدم الإسلام وتقويض دعائمه، وأن الدعوة إلى وحدة الأديان إذا صدرت عن مسلم فهي ردة صريحة عن الإسلام، ولا يجوز لمسلم طباعة التوراة والإنجيل منفردين فكيف مع القرآن الكريم في غلاف واحد، كما لا يجوز لمسلم الاستجابة لدعوة بناء مسجد وكنيسة ومعبد في مجمع واحد لما في ذلك من الاعتراف بدين يعبد(* *) الله غير دين

(*) توفي المرحوم ابن باز في صبيحة يوم الخميس ٢٧/ ١/ ١٤٢٠هـ الموافق ١٣/ ٥/ ١٩٩٩م، وهو من مواليد ١٣٣٠هـ.

(* *) حقيقة الأمر أن الإسلام هو الدين الوحيد على الأرض الذي يفرد الله بصفات الكمال والجلال، ويعترف بوحدة الألوهية لله وبسريان حكمه وتشريعه الكامل على الناس، ومردُّ ذلك أن القرآن الكريم هو آخر الكتب المنزلة، وقد تعهد الله بحفظه، وعلى هذا ليس الأمر في وجود مشكلة في =

الإسلام، وإنكار ظهوره على الدين كله[1].

ما أريد قوله والتأكيد عليه أن العولمة جاءت لتخدم أهداف التنصير، وبالتالي فإن خطر التنصير أصبح مضاعفاً في مُناخ العولمة التي تشكل دعماً لا نظير له للمنصِّرين، ولكن المسلم الحق لا يخيفه ازدواج الخطر، كما أكّد الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران/ ١٧٣].

وأخيراً، لا بد من التأكيد على أن العولمة صارت مشروع الأمبريالية المستقبلي، وصار واضحاً، بما لا يقبل الجدل، أن تدمير العالم الإسلامي هو، حسب منطق العولمة وأفق تحققها المحتمل، أمر ضروري لانتصار الغرب، وقد صرح صاحبا كتاب «فخ العولمة» فقالا: «إنَّ ٢٠٪ من سكان الكرة الأرضية هم وحدهم من سيكون بإمكانهم أن يستمروا في العيش في حدود منتصف القرن المقبل». ومن هنا فإن التصدي للتنصير في ظل العولمة يستلزم، أكثر من أي وقت مضى، استعادة سؤال الهوية الحضارية وتأسيس استراتيجية واضحة تمد أمتنا العربية والإسلامية بعناصر الممانعة وتدفعها إلى تجاوز وتخطي حالة التراجع الحضاري الذي تشهده الآن، وأعتقد جازماً أنه بإمكان المسلمين التصدي للتنصير في زمن العولمة، وأعتقد أيضاً أن المسلمين لا يمكن تدميرهم بالسهولة التي يتصورها المنصِّرون وأسيادهم الذين يحاولون فرض العولمة، وأنا

= الأديان الأخرى لأن الأصل واحد، بل المشكلة في تحريف اليهودية والمسيحية الحقيقيتين!

(١) يمكن الاطلاع على فتوى ابن باز في جريدة «الاتحاد»، عدد الجمعة ٢٨ محرم ١٤٢٠هـ/ ١٤ مايو ١٩٩٩م.

على ثقة راسخة أن المسلمين قادرون على الإمساك بزمام المبادرة لإنقاذ دينهم وحضارتهم، وهم أقوياء بما يكفي للتصدي للعولمة والتنصير، رغم أن التنصير قد اخترق جميع الدول الإسلامية إن لم يكن بالمؤسسات التعليمية أو المستشفى أو الكنيسة فبالكتاب والإذاعات والتلفزة والصحافة، وبالأنترنت وبكافة اللغات، ومع ذلك فبإمكان العالم الإسلامي أن يتصدى للتنصير بالوسائل التالية:

١ ـ **تحقيق المناعة الذاتية**: يقول المفكر الإسلامي المرحوم محمد الغزالي: «أنا أؤمن بالمناعة الذاتية، ومعناها أن يكون المسلم عارفاً بدينه معرفة صحيحة، وعارفاً بالباطل الذي جاء دينه ليدفعَه ويقضيَ عليه، فعندما يكون المسلم بهذه المتانة فإن مُنصِّري الأرض جميعاً، ولو نالوا أعلى الدرجات العلمية، لن يتمكنوا من زعزعة عقيدته». وأكَّد الغزالي: «أنه لا بد أن يتغيَّر التفكير الإسلامي ليتجاوب مع الفكر الذي بدأ أصلاً من القرآن ونسيناه نحن، فمضى عليه القِدَم ووصلوا بعد عصر الإحياء إلى ما وصلوا إليه، أما نحن فلا نزال للأسف سلباً وإيجاباً ننظر إلى عقيدتنا ونستدل لها أو نقاتل دونها بالمنطق الأرسطي أو بالعقل القديم، ولذلك نناقش قضايا لا وجود لها الآن، والراسخون في العلم المادي نفسه يضحكون من هذه القضايا لأنها قضايا ابتعد عنها العلم.

إنَّ الفكر الإسلامي لكي يكون سليماً يجب أن يستغل التقدم العلمي لدعم عقائده وشرح العقيدة الإسلامية على ضوئه، ومن هنا فإنني أرفض، فيما أكتب، العودة إلى علم الكلام وطرقه الأولى في إثبات العقائد، بل أنظر إلى العلم الحديث وما وصل إليه»[1].

---

(١) انظر: مجلة «الفيصل»، العدد ١٧١، ص٥٣، حوار مع المفكر محمد الغزالي.

والسؤال الآن: كيف تتكون المناعة الذاتية التي أكَّد عليها «الغزالي»؟

في الواقع، إنها تتكون بتحصين الإنسان المسلم، منذ الطفولة، بالثقافة الإسلامية، وذلك بإدخال العقيدة الإسلامية في كل مراحل الدراسة وجعلها مادة أساسية، وكذلك تقع على الآباء مسؤولية كبيرة في تنشئة أولادهم نشأة إسلامية، وهذه الحقيقة عبَّر عنها أحد الأمراء الأفغان، في خطاب له أمام مسامع الطلبة في مدرسة «لاهور»، فقال: «لا خوف عليكم من الدين المسيحي أو أي دين آخر ينتزع منكم العقيدة الإسلامية عقب اقتباسكم التعليم الغربي، ولكن ينبغي لكم أن تقوموا قبل كل شيء باقتباس العقيدة الإسلامية وأنتم في مقتبل العُمر»[(١)]. وعلى هذا فالتمسك بالإسلام يُعدُّ الحصن الحصين والدرع المتين الذي تتكسر عليه سهام المنصِّرين، فهذا التمسك والتشرب لمبادئ الإسلام يحوِّل المسلم إلى صخرة صُلبة شامخة ضاربة في أعماق الأرض بحيث تصمد في وجه الأعاصير الغربية (العولمة والتنصير). إنَّ تَمثُّلَ مبادئ الإسلام يخلق لدى المسلم مناعة تحميه من جراثيم المنصِّرين كما تحميه من وباء الإيدز تماماً.

٢ ـ **تنظيم دعوات التبشير لنشر الإسلام:** لقد مرَّ زمن طويل بالدعاة المسلمين لم يبشروا بدينهم التبشير اللائق والمناسب به، وتركوا الساحة للمنصِّرين كي ينفثوا سمومهم ويزحفوا إلى المناطق الإسلامية ويتخذوا منها أوكاراً، ومن ثم الهجوم وشن الغارات وباستمرار على المسلمين، ورغم كل ذلك الطوفان الهائل المُعزز

---

(١) انظر: «الغارة على العالم الإسلامي»، مرجع سابق، ص٦٩.

بالإمكانات المادية والمعنوية فإن المسلمين لم ينهضوا من كبوتهم ولم يصحوا من غفلتهم، لذلك أصبح الباب مفتوحاً والميدان خالياً والحلبة فسيحة لدعاة التنصير النصراني، وقد حاول عدد من المفكرين المسلمين تنبيه الأمة الإسلامية لمخاطر التنصير ودعوا إلى إعداد الدعاة، وكان في مقدمة هؤلاء المفكر الإسلامي الكبير عباس محمود العقاد.

فقبل ثلاثين عاماً، أطلق العقاد صرخته الهادرة محذراً فيها من مخاطر التنصير، فقال: «علمنا نحن المسلمين ـ آسفين ـ أننا لم نكترث زمناً طويلاً من الأزمان قط بتنظيم دعوات التبشير لنشر الدعوة الإسلامية وعقيدتها، فلنعلم الآن أن المسألة قد تجاوزت أن تكون إهمالاً لنشر الدين، وصارت إلى ما هو أسوأ وأدهى الآن، هي مسألة الإهمال في الدفاع والتسليم بالهزيمة في إبان فرصة الدفاع، وقد تذهب هذه الفرصة ولا تعود»[١].

أمّا الدعاة الذين كان المسلمون يرسلونهم للنهوض بالدعوة الإسلامية، فقد وصفهم الدكتور «عبد الحليم محمود» قائلاً: «إنَّ مبعوثي الحكومة ومبعوثي الأزهر إنما بُعثوا لتعليم الحساب والخط واللغة العربية في مدارس إسلامية ابتدائية وإعدادية وثانوية... ليس لنا في الخارج مبعوثون، وإذا كان الدين الإسلامي ينتشر فإنما ينتشر بقوته الذاتية رغم الهجوم عليه ورغم العقبات التي تعترض طريقه[٢]، وفي الظروف الحالية التي تعاني فيها الأمة الإسلامية من مخاطر التنصير والعولمة ومحاولات التغريب والتذويب والصهر،

---

(١) راجع: العقاد، كتاب «ما يقال عن الإسلام»، الطبعة الأولى، القاهرة، ص٤٢.

(٢) مجلة «الأزهر»، رجب ١٣٩٨هـ.

لا بد من الاهتمام بنشر الدعوة الإسلامية وتنظيمها، والحال أنها تفتقر الآن وبشكل واضح إلى حُسن التنظيم، وأول ما يجب الاهتمام به هو إعداد الدُعاة إعداداً شاملاً ليتمكّنوا من التبشير بالإسلام.

فما هي الصفات التي يجب توافرها في الدعاة اليوم؟

أ ـ صفات شخصية: مثل شدة الملاحظة والبديهة الحاضرة وطلاقة اللسان، وأن يكون الداعية مُتزن الشخصية وجميل الهيئة والهندام وأن يتصف أيضاً بسعة الصدر والتواضع، والصبر على الأذى، وكذلك رباطة الجأش والثقة بالنفس.

ب ـ صفات ثقافية: يجب إعداد الداعية إعداداً ثقافياً شاملاً بحيث يجب أن يكون لديه معرفة مقبولة بالدراسات التوراتية والإنجيلية، وأن يكون لديه معرفة واسعة بالتناقضات الموجودة بين العهدين القديم والجديد وبالنُسخ التي حُذف منها، وأن يعرف تمام المعرفة أن النُسخ الأصلية لكتب العهد الجديد، وهي إغريقية، قد فُنيت منذ مدة طويلة، وأن يعرف أن كل النسخ التي استخدمها النصارى في الفترة التي سبقت مجمع «نيقية»، قد غشيها نفس المصير، وأن يعرف أنه حتى قبل اختراع الطباعة لم يكن قد تم الوصول إلى اتفاق كامل في أي نص من نصوص العهد الجديد، وأن التغييرات قد حدثت فيها ـ أي الأناجيل ـ مثل إضافة وإدخال فقرات بكاملها، ولهذا فإن من واجب المسلمين تأسيس قسم للدراسات التوراتية والإنجيلية، وأن يكون هذا القسم خاصاً بتخريج الدعاة الذين لديهم مقدرة على المناظرة، وعندما يمتلك الداعية المسلم هذه المعلومات فإنه يستطيع إدخال القساوسة أنفسهم في الإسلام.

أما الحال الآن فهو أنَّ الدول العربية والإسلامية تُرسل الدُعاة في أغلب الأحيان وهم لا يعرفون غير القرآن الكريم وشيئاً من الحديث الشريف، ويطلبون منهم إدارة منظمة إسلامية أو الإشراف على مركز ثقافي إسلامي، وغالباً ما يفشلون في عملهم الدعوي.

إنَّ الظروف الحالية تتطلب أن يكون الداعية شيخاً طبيباً وشيخاً إدارياً وشيخاً محاسباً وشيخاً معلماً، وهكذا... ونحن نفتقر إلى ذلك[1]، كما أنه يجب على الداعية أو المُرشد الإسلامي أن يكون عالماً بالقرآن والسُّنة النبوية الشريفة وسيرة الخلفاء الراشدين، وأن يكون دارساً لعلم النفس دراسة معقولة ليعرف خواص العقل البشري ومناحي تفكيره والغرائز التي أودعها الله النفس الإنسانية، وكذلك علم الأخلاق وعلم الاجتماع وعلم التاريخ، وفوق كل ذلك يجب أن يكون عالماً بلغات ولهجات ورطانات[*] البلد الذي يعمل فيه، ويجب أن يكون للداعية منهج واضح في دعوته، وأن يعرف المجتمعات المُستهدفة، فإذا كان الكفرة يقيمون الحجة على وجود الله (كما يتصورون) فيجب على المسلمين دحض حججهم بالطرق العلمية والواقعية والطبيعية لإثبات وجود الله وتنزيهه، وإفراده بالعظمة والمجد، كما دلَّ القرآن على ذلك.

أما بالنسبة للمؤمنين في أوروبا وآسيا وغيرها، والذين يعتنقون المسيحية فيمكن أن يتفهموا أكثر من غيرهم لأنهم يؤمنون بوجود الله فطرياً، وعلى الداعية أن يتعرف على توجهات وقِيَم ومعتقدات

---

(١) راجع: مجلة «الفيصل»، حوار مع الداعية حقار محمد أحمد، العدد ٢٢٣، ص٥٤.

(*) **الرطانة**: التكلم بطريقة غير واضحة أو غير مفهومة. يرطن بالعربية: يتكلم بطريقة خطأ.

الجماعة التي يتوجه إليها، وبصفة عامة يجب أن يكون سلوك المسلم مُعبراً تعبيراً صحيحاً عن الإسلام، سواء كان هذا المسلم داعية أو حاكماً أو محكوماً.

هذه هي أهم الصفات التي يجب أن يتمتع بها الداعية الإسلامي في هذا العصر، وأحبُّ أن أذكر الأمة الإسلامية أن أكثر الدعاة اليوم تشغلهم الدنيا عن الدين، فهم يسعون لاكتساب لقمة العيش حتى أن بعض الدُعاة يخجلون أن يخاطبوا الفقراء حين يرون أن حاجة هؤلاء إلى اللقمة أو الكساء والدواء أولى من حاجتهم إلى الكلمة.

من هنا نجد أن الداعية الإسلامي لا يُزوَّد بإمكانات مادية كافية، لذلك يسعى لتأمين معاشه، وهذا يقلل من المسافة الزمنية التي كان من الواجب عليه أن يجعلها للدعوة، ومن ناحية أخرى لم يجند الأغنياء وأصحاب الأموال ما منحهم الله من مال في خدمة الدعوة الإسلامية، في حين ينفقون الملايين على أعمال اللهو ومن أجل الحصول على المناصب الزائلة، على أنه من المفترض أن تُخصَّص هذه الأموال في إعداد برامج لتعريف غير المسلمين في العالم بالإسلام من خلال وسائل الإعلام وتأليف الكتب. أقول، وللأسف: إنَّ العلماء مقصِّرون والأغنياء مقصِّرون، ولم يؤدوا واجبهم نحو الدعوة الإسلامية كما يجب.

٣ ـ على الدول العربية والإسلامية أن تبادر فوراً إلى إنشاء المزيد من المراكز الثقافية والإسلامية، وإنشاء جامعة واحدة على الأقل في كل دولة أفريقية أو آسيوية أو أوروبية أو أمريكية، بل في كل محافظة من محافظات هذه الدول، وأن يكون المنهاج في هذه المدارس أو الجامعات مزدوجاً، تُدرس فيه المواد الشرعية والمواد

العلمية على حد سواء لتكون شهادتها معترفاً بها لكي لا يُهمَّش مُتَخَرِّجوها في الحياة، كما يجب الاهتمام، بشكل خاص، بتدريس اللغة العربية واللغات الحية المتداولة عالمياً حتى يستطيع الخريجون إيصال صوت الإسلام إلى الناس، ويجب أن يكون في هذه الجامعات قسمٌ خاص لتخريج الدعاة، من الواجب أيضاً إنشاء المساجد ومراكز الأيتام في البلدان الآسيوية والأفريقية التي تتواجد فيها أقليات إسلامية.

٤ ـ على الحكومات الإسلامية التصدي للمنصِّرين وتعقُّب نشاطاتهم وطردهم فوراً من البلاد وإصدار القرارات التي تَحُد من تحركاتهم، ويجب شن حملة إعلامية مُكثفة في وسائل الإعلام، المقروءة والمرئية والمسموعة، لفضح نشاطات المنصِّرين وأهدافهم وأساليبهم، وكذلك بث برامج تعريفية شاملة عن الدين الإسلامي، وتوزيع الكتب الإسلامية في المدارس والمساجد والجمعيات الإسلامية والمراكز العلمية. وبهذه المناسبة لا بد من الإشادة بالخطوات الفعالة التي اتخذتها ماليزيا وبروناي للحد من أخطار المنصِّرين، وكذلك حكومة المالديف التي أقدمت مؤخراً، على اتخاذ عدة إجراءات ضد المنصِّرين مثل عدم سماحها للمنصِّرين بالتشويش على عقيدة الشعب المسلم في المالديف ولا بنشر المذاهب الهدامة والمنحرفة، وقد أقدمت حكومة المالديف في عام ١٩٩٨م على القيام بحملة توعية لشعبها عن طريق وسائل الإعلام، وأصدرت النشرات والكتيبات ومقالات التوعية في المجلات، كما عملت الحكومة المالديفية إلى مصادرة أي مقال أو كتاب يسيء إلى الإسلام، لا بل إنَّ حكومة المالديف قامت بالتفتيش في منازل الأجانب بحثاً عن النشاطات التنصيرية، وقد أخذت تعهدات على

«١٩» نصرانياً من ستة بلدان بعدم الاشتغال بالعمل التنصيري ضد المسلمين تحت طائلة الطرد النهائي من البلاد[١].

٥ ـ على الحكومات العربية والإسلامية تسخير إعلامها لخدمة الدعوة الإسلامية وللرد على نشاطات المنصِّرين الذين يملكون، هم وأسيادهم، معظم وكالات الأنباء العالمية، ويسيطرون على ٩٠٪ من المواد الإخبارية التي يتم تداولها في العالم كله، كما يسيطرون على معظم صحف العالم وعلى آلاف الإذاعات وآلاف القنوات الفضائية، أمَّا ما تقوم به وسائل الإعلام العربية اليوم من استقطاع للإعلانات واستهداف الربح السريع وصنع النجوم، وما تلجأ إليه من ترفيه وإثارة المتعة الجنسية، فهذه الأمور كلها لا تخدم الشعب ولا الوطن ولا الدين، ومن هنا فمن الواجب توظيف الإعلام الإسلامي برمته من أجل الدعوة الإسلامية، ولإسماع الصوت الإسلامي للعالم الخارجي، وهذا يتطلب إعداد برامج إسلامية إعداداً جيداً، وبمختلف لغات العالم، كما يتطلب الأمر إنشاء قمر صناعي إسلامي لبث البرامج الإسلامية في جميع أنحاء العالم، ومن الواحب أيضاً استخدام الأنترنت للدعوة إلى الإسلام وشرح مبادئه والرد على تخرُّصات[*] أعدائه.

إن أيَّ غني، مسلم أو عربي، يستطيع أن يمتلك جهاز كومبيوتر مجهزاً بـ«مودم» ومتصلاً بخط هاتف أن يُعلن عن رأيه ويوصله إلى ملايين الناس في شتى أصقاع المعمورة بكلفة ضئيلة جداً، وبكلمة: فإن أي شخص مسلم ملتزم بإسلامه وبقضايا وطنه يستطيع أن يبني

---

(١) انظر: جريدة «الجزيرة» ٢٦/ ٢/ ١٩٩٩م، وجريدة «القبس» عدد ١٦/ ١٠/ ١٩٩٨م.

(*) **تخرصات**: أكاذيب مفتعلة.

موقعاً جذاباً ومكيناً يقف فيه على قدم المساواة مع أكبر امبراطورية إعلامية.

صحيح أن الغربيين يشكلون معظم مستخدمي شبكة الأنترنت، لكن ذلك لا يمنع المسلمين من دخول هذه الشبكة واستخدامها في تقديم دينهم وحضارتهم ووجههم الحقيقي للعالم، كما يجب توظيف الصحافة العربية والإسلامية لخدمة القضية الإسلامية ورصد وتعقُّب وفضح أساليب ونشاطات المنصِّرين.

٦ ـ على كل مسلم أن يكون يقظاً في كل حين، وأن لا ينسى أن للمنصِّرين عيوناً وأوكاراً وجواسيس في كل مكان، وهم منتشرون كالماء والهواء، فكل طبيب أجنبي هو منصِّر، وكل ممرض وكل مُمرضة وكل مُعلم وكل خبير وكل صحفي، كلهم منصِّرون بكل تأكيد، عملاً بالقاعدة: إن سوء الظن بالأعداء من حسن الفطن.

٧ ـ على الدول العربية والإسلامية أن تعمد فوراً إلى إغلاق منافذ التنصير، ألا وهي منافذ الخدمات الإنسانية، وعلى الدول العربية والإسلامية أن تبادر فوراً إلى إرسال المعونات الإنسانية إلى اللاجئين والمنكوبين من أبناء المسلمين، بحيث تصل هذه المعونات قبل وصول المعونات التي ترسلها منظمات التنصير، لأنه في حالة الكوارث والمجاعات لا يستطيع الإنسان المنكوب أو الجائع أو المريض رفض المساعدة، وليس أمامه سوى قبولها من أي مصدر جاءت، وقديماً قال الشاعر: (والجوعُ يُرضي الأُسودَ بالجيفِ). وفي حال تحرُّك المشاعر الإنسانية من قبل أي جهة في العالم وإرسال معونات أو نجدات، فيجب أن تُسلَّم هذه المعونات إلى مؤسسات وطنية خاضعة للإشراف الوطني الأهلي، بحيث لا

يعبث بها الجهاز البيروقراطي الذي باع ضميره منذ أمد طويل للشيطان، وبذلك نُغلق أهم المنافذ التي يسلكها المنصِّرون للوصول إلى فقراء المسلمين وتحطيم عقولهم وتشويه تعاليم الدين في قلوبهم.

٨ - يجب على الدول العربية والإسلامية المبادرة فوراً إلى تشكيل منظمة لمقاومة التنصير وأن تكون مهمتها تعقُّب ورصد نشاطات المنصِّرين، وأن تكون مدعومة من قِبَل كل الحكومات العربية والإسلامية، مادياً وإعلامياً.

٩ - يجب على الدول العربية والإسلامية أن تُشرف، بشكل فعلي، على المؤسسات الأجنبية المختلفة القائمة في بلدانها وأن تخضعها للرقابة الإسلامية الواعية، ويجب إغلاق كل مؤسسة يثبت تعاملها مع المنصِّرين، كما يجب إغلاق أندية الروتاري الصهيونية الصليبية أينما وجدت، سواء في السودان أو مصر أو البحرين أو لبنان، أو أي بلد عربي أو إسلامي، لأن هذه الأندية تعمل على توسيع مجالات تأثيرها المباشر على أفكار الأشبال والشباب قبل أن تتبلور شخصيتهم الدينية والقومية والوطنية النقية، كما أن بعض أعضاء المنطقة الروتارية، التي تضم الأردن ومصر والسودان والبحرين وقبرص ولبنان، لهم علاقة بأعضاء المنطقة الروتارية التي تضم إسرائيل[١]، ومن الضروري مراقبة الجمعيات الثقافية والعلمية والرياضية والطبية الأجنبية العاملة في الأقطار العربية والإسلامية.

وبقي أن أُردد مقولة الدكتور «عبد الودود شلبي»: «أفيقوا أيَّها

---

(١) راجع: مجلة «الأسبوع الأدبي» السورية، الصادرة عن اتحاد الكُتّاب العرب في دمشق، صفر ١٤١٨هـ الموافق ١٩٩٧/٦/٧م، العدد ٥٦٤.

المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية». فالدعوة إلى الإسلام فريضة، إذا تركها المسلمون يكونون كلهم عصاةً لأمر الله تعالى مستحقين لعذابه، وإذا قام بها بعضهم سقط الحرج عن الباقين، والدفاع عن الإسلام عند ظهور الشبه وإلقاء الشكوك في عقائده وأصوله فرضٌ أيضاً، فإذا سكت المكلفون كانوا عُصاة أيضاً مستحقين لعذابه، وإذا قام بها بعضهم سقط الإثم عن الباقين.

لقد آن الأوان أن يفتح المسلمون عيونهم لدرء الخطر الماثل والجاهز والمتحرك دوماً للقضاء على دينهم وكيانهم. إن التقاعس عن التبشير بالإسلام لم يعد يهدد دنيانا فقط، وإنما بات يهدد ديننا ووجودنا برمته؛ إن ما نحن فيه ينذرنا بالدمار والهلاك جميعاً، فهل حان الوقت لنقوم من أجل سماع صوت الله الذي يدعونا لنصرة أنفسنا وقومنا وديننا؟ إنَّ التنصير في مناخ العولمة يريد محونا عن وجه الأرض، وإن أعماله التخريبية تزداد اتساعاً لاستئصال الإسلام من جذوره. إنهم لم يحققوا تلك النجاحات التي ذكرتُها لجودة بضاعتهم وإنَّما يرجع ذلك إلى نشاطهم الواسع الذي لا يعرف الكلل، ولتقاعسنا عن نصرة الحق الذي هو أمانة في أعناقنا.

يجب أن لا نخاف من إمكانات المنصِّرين المدعومين بكل أسباب القوة «من تكنولوجيا ومعدات اتصال حديثة وأموال وغيرها»، وذلك لأن سلاح الباطل مهما كان قوياً يظل ضعيفاً أمام المؤمنين، ونحن في الإسلام لسنا بحاجة إلى بذل جهود متكافئة مع جهود المنصِّرين لإبطال عملهم وإفشال مساعيهم، وذلك لأن الدعوة إلى الإسلام سهلة في اللفظ مُيسرة في المعنى، طريقها مُعبَّد وهدفها واضح، ولا نجد صعوبة في إيصال مبادئ الإسلام إلى الناس وذلك لأن الإسلام هو دين الحق ولا يصعب فهمه، **لأن**

العقل أساس رسالته(*) ومناط تعاليمه وحارس دعوته، لهذا فإنه من المستحيل على أية قوة، مهما بلغت من الجبروت، أن تنتزع الإسلام من قلوب المؤمنين به، وبالتالي فالتبشير بهذا الدين لا يتطلب استخدام أساليب البطش والتضليل بل يتطلب المسالمة وقوة الحجة والقدرة على الإقناع لأنه دين العقل، وما يقوله هذا الدين يقوله ويقبله العقل، وقديماً عبَّر إعرابي بسيط عن هذه الحقيقة فقال حين سئل: لماذا آمنت بمحمد؟ فقال ببساطة متناهية: ما رأيت محمداً يقول في أمرٍ إفعل والعقل يقول لا تفعل، وما رأيت محمداً يقول في أمر لا تفعل والعقل يقول إفعلْ..

انتهى

محمود عبد الرحمن

(*) راجع: مقال محمود عبد الرحمٰن «حملات التنصير ـ الهدف والتاريخ والوسيلة» في جريدة «الاتحاد» الظبيانية، عدد ١١ رمضان ١٤١٣هـ الموافق ٤ مارس ١٩٩٣م.

المصادر والمراجع

الكتب والمقالات

- **الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ١٧٩٨ ـ ١٩١٤م**: د. علي محافظة، الأهلية للنشر، بيروت، ١٩٧٨م.
- **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري**: د. محمود حمدي زقزوق.
- **الاستعمار الفكري والروحي**: ف. ي. يرموشكين، ترجمة نجيب غبرة، دار الشيخ للدراسات، بيروت.
- **الإسلام على مفترق الطرق**: محمد أسد.
- **أفريقيا المسلمة، الهوية الضائعة**: الخليل النحوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م.
- **أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية**: د. عبد الودود شلبي.
- **أوروبا والتخلف في أفريقيا**: د. والتر رودني، ترجمة د. أحمد القصير، «عالم المعرفة»، الكويت، ١٩٨٨م.
- **تاريخ التعليم في الصومال**: محمد علي عبد الكريم وعبد القادر شيخ عبد الله وعبد الله شيخ يوسف، مقديشو، ١٩٧٨م.
- **التبشير في منطقة الخليج**: عبد المالك خلف التميمي، منشورات شركة كاظمة، ١٩٨٢م.
- **التبشير والاستعمار في البلاد العربية**: د. مصطفى خالدي وعمر فروخ، ط٢، المكتبة العصرية، بيروت.
- **التزوير المقدس**: عبد الودود شلبي.

- **تطور حركة الجهاد الصومالي ١٩٠٠ ـ ١٩٦٠م**: تمام همام تمام، القاهرة، ١٩٨٣م.
- **تلخيص كتاب سليمان البستاني**: أمين حسن، مقال منشور في مجلة «العالم الإسلامي»، ١٩٨٧م.
- **التنصير في أفريقيا وغياب المواجهة**: مقال منشور في جريدة «الشرق الأوسط»، العدد ٦٠٩٩، تاريخ ١٠/ ٨/ ١٩٩٥م.
- **جمال الدين الأفغاني**: عبد القادر المغربي، سلسلة «اقرأ»، ط٢، دار المعارف، مصر.
- **الحركة الصليبية**: سعيد عاشور.
- **حزام المواجهة، حروب التنصير في أفريقيا**: جبر الله عمر الأمين ومدبولي إسماعيل عثمان.
- **حضارة العرب**: جوستاف لوبون.
- **حملات التنصير ـ تاريخها وأهدافها ـ**: محمود عبد الرحمٰن، جريدة «الاتحاد»، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- **حملات التنصير تجتاح البلدان العربية**: د. رأفت غنيمي الشيخ، مقال منشور في جريدة «الاتحاد» الظبيانية، ١٦ ذي الحجة ١٤١٩هـ.
- **حملات التنصير، الهدف والتاريخ والوسيلة**: محمود عبد الرحمٰن، مقال في جريدة «الاتحاد»، ١١ رمضان ١٤١٣هـ/ ٤ مارس ١٩٩٣م.
- **الدعوة إلى الإسلام**: أرنولد توماس، ط٣.
- **الدعوة إلى العامية، من يوقظها؟**: د. وليد قصاب، مقال في مجلة الفيصل، العدد ٢٢٤.
- **دفاع عن الثقافة العربية**: فتحي خليل، دار الفجر الجديد، ١٩٥٩م.
- **دور الاستعمار في تغريب أفريقيا**: د. عز الدين موسى، مقال منشور في جريدة «الشرق الأوسط» ١٩/ ٦/ ١٩٩٥م.

- **السلاح والخبز**: د. عبد الرزاق فارس، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- **ظلام من الغرب**: محمد الغزالي، دار الكتاب العربي، ط١، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، مصر.
- **العقائد الوثنية في الديانة النصرانية**: محمد طاهر التنير، ط. بيروت، ١٩٩٨م.
- **الغارة على العالم الإسلامي**: أ.ل. شاتليه، لخَّصها ونقلها إلى العربية محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، إصدار مكتبة أسامة بن زيد.
- **الفصحى في مواجهة التحديات**: نذير مكتبي.
- **الفكر التربوي الحديث**: سعيد إسماعيل علي، عالم المعرفة، ١٩٨٧م.
- **القرآن والمبشرون**: الخوري حداد، ١٩٧٢م، بيروت.
- **قوى الشر المتحالفة**: محمد محمد الدهان.
- **الكشوف الجغرافية، دوافعها وحقيقتها**: محمود شاكر، المكتب الإسلامي، ط١، بيروت، ١٣٩٣هـ.
- **الكيان العربي**: د. عبد الوهاب يحيى، لا تاريخ.
- **كيف نواجه التنصير**: محمود عبد الرحمٰن، مقال في جريدة «الاتحاد»، ١٤ رمضان ١٤١٦هـ/ ٣ شباط ١٩٩٦م.
- **ما يقال عن الإسلام**: عباس محمود العقاد، ط١، القاهرة.
- **المدارات الحزينة**: كلود ليفي شتراوس، مكتبة بلون، ١٩٥٥م.
- **المدخل إلى الثقافة الإسلامية**: محمد رشاد سالم، الكويت، دار القلم، ط٢، ١٩٨٧م.
- **المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا**: د. عبد الله عبد الرزاق، إبراهيم عالمة، عالم المعرفة، العدد ١٣٩، الكويت، ١٩٨٩م.

- **مشكلة جنوب السودان**: عبد الغني سعودي وآخرون، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨١م.
- **المغرب العربي**: إحسان حقي، بيروت، دار اليقظة العربية، لا تاريخ.
- **الملل والنِّحَل**: الشهرستاني.
- **من الأدب الأفريقي**: د. علي شلش، سلسلة «اقرأ»، العدد ٢٤٨، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م.
- **النشاط التبشيري الألماني في فلسطين**: د. علي محافظة، مقال منشور في مجلة «دراسات تاريخية»، دمشق، العدد ٢، رمضان ١٤٠٠هـ.
- **وجهاً لوجه أمام التاريخ**: حامد حسن، مطبعة عكرمة، ١٩٩٢م، دمشق.

الجرائد والمجلات

- جريدة «**الاتحاد**» الظبيانية.
- جريدة «**الأيام**».
- جريدة «**الجزيرة**» السعودية.
- جريدة «**الرياض**» السعودية.
- جريدة «**العربي**» المصرية.
- مجلة «**الأزهر**».
- مجلة «**دراسات تاريخية**».
- مجلة «**المنار**».
- جريدة «**الاعتدال**».
- جريدة «**البيان**» الإماراتية.
- جريدة «**الحياة**».
- جريدة «**الشرق الأوسط**».
- جريدة «**القبس**» الكويتية.
- مجلة «**الأسبوع العربي**» السورية.
- مجلة «**الفيصل**».
- نشرة «**الخيرية**».

محتوى الكتاب

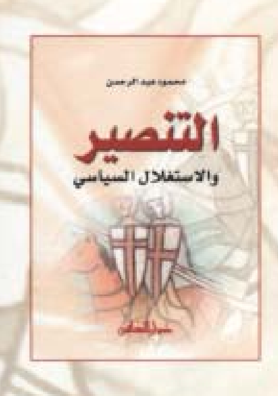
الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم: 509 - 09





في الوقت الذي يبتعد فيه معظم المسيحيين الغربيين عن دينهم ومبادئه الأخلاقية ولا تظهر علائمها في سلوكهم الفردي، تسعى معظم دولهم، على الرغم من علمانيتها، وكنائسهم وبعض مؤسساتهم إلى تنصير المسلمين في بلاد المسلمين، مستغلين البؤس والفقر الذي سببوه لهم، ومتَّبعين طرقاً غير أخلاقية لا تهدف إلى اعتناق امرئ جديد النصرانية بقدر ما تهدف إلى الاستغلال السياسي، والدعاية الإعلامية للطعن في الإسلام، في وقت يفترض بأتباع أي دين، وبخاصة رجال الدين منهم، الابتعاد عن الاستغلال الديني أو اللجوء إلى طرق لاأخلاقية لكسب «منتسبين» لدينهم قد لا يكونون مقتنعين به أصلاً، ويقتصر هدفهم على طلب الشهرة والمنفعة الشخصية.

في هذا الكتاب يبيّن المؤلف حقيقة التنصير ودوافعه، ويعطي لمحة موجزة عن تاريخه، ويشرح أهدافه، وطرائق تحقيق هذه الأهداف ووسائلها في الوطن العربي وأفريقيا وآسيا وأوروبا، ويذكر حصيلة التنصير بالأرقام، وغير ذلك مما يتعلق بالموضوع في حدود ما توافر له من معلومات. ويختم بمقترحات تساعد على التصدي للتنصير في زمن العولمة.

الناشر

ISBN 978-9953-18-459-3

